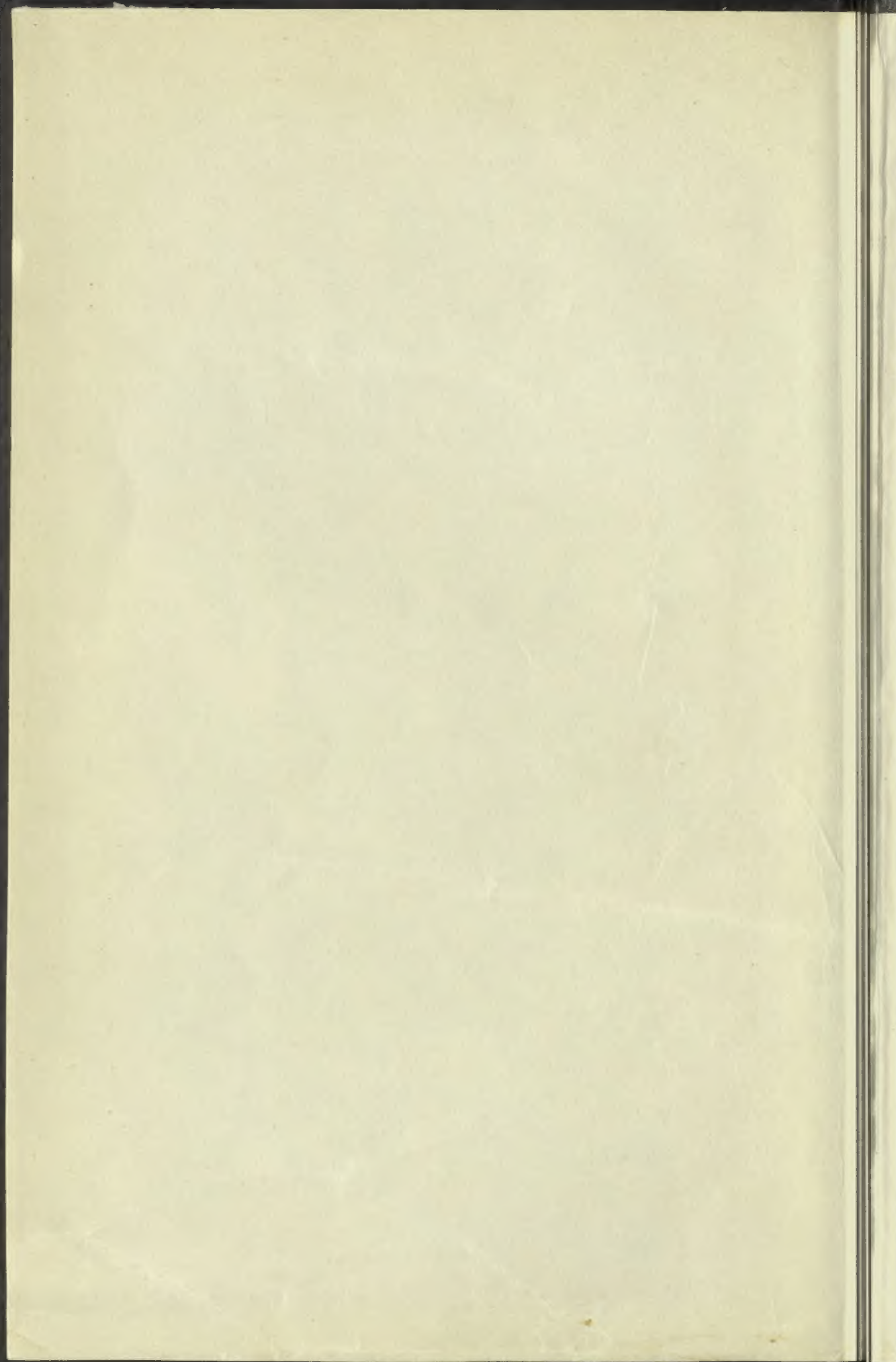
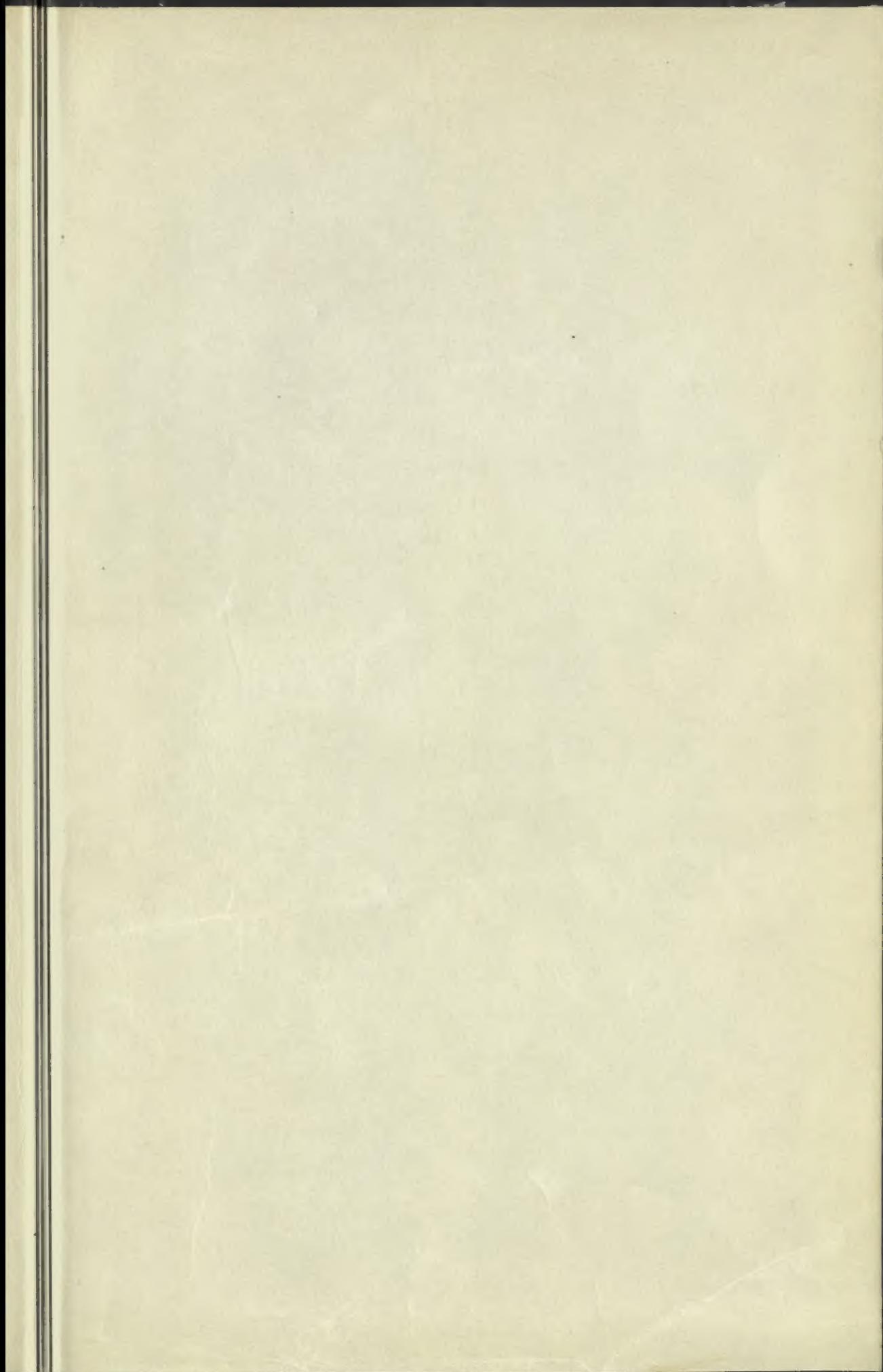
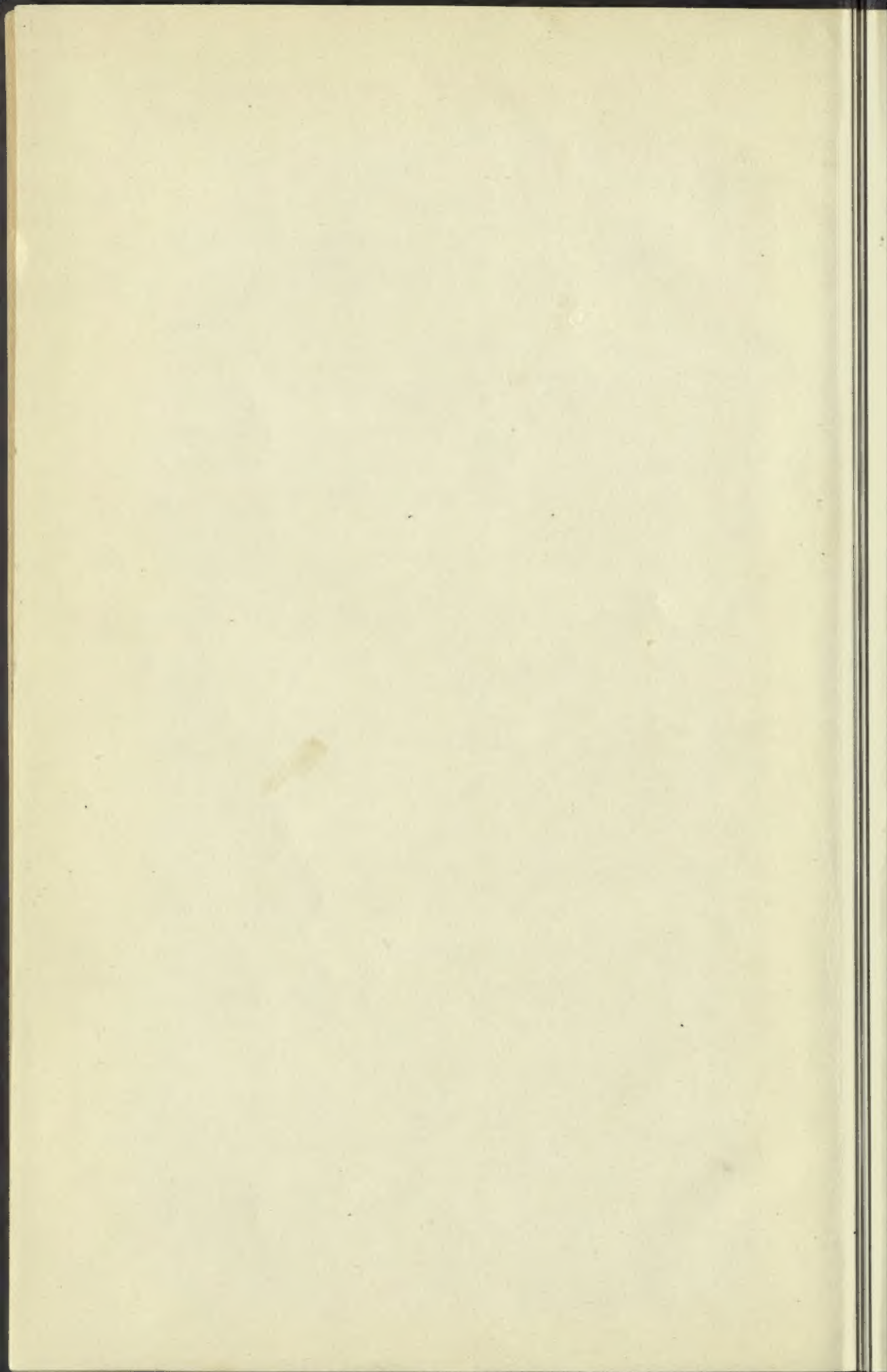


A.U.B. LIBRARY







f

Cut July 1984

396
H25tA
C.1

سليمان
ابو غز الدين
Sulaiman R. Jazaidin
19-8-15

تربية المرأة والحجاب

تأليف

محمد طلعت عرب

اكشف أبصارهم بالعجاب فشدت العجاب خير
لهن من الارتباب

(علي كرم الله وجهه)

لاندعوا نساءكم يراحن العلوج في الاسواق :
قبس الله تعالى من لا يفار
(الحسن رضي الله عنه)

ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين
العباء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا
يراها رجل
« فاطمة عليها السلام »

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتن وبئر المصائب بابتداهن .

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

498/0

الطبعة الثانية

(بمطبعة المنار بشارع درب الجاميز بمصر)

سنة ١٣٢٣ هجرية

Oct. July 1934

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي باسمه يفتح كل كتاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاء بالحكمة وفصل الخطاب ، ودعا النساء كما دعا الرجال ، الى القيام بصالح الاعمال ، والسير في طريق الكمال ، وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس ان وفقنا لجمع هذا الكتاب ، الذي تلقاه بالقبول اولو الألباب ، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية ، مع سראعة حال العصر والتوقي من شرور المدنية الغربية ، تلك المدنية التي أصلحت في الأقطار الغربية وأفسدت ، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت ، اذ فن الناس بشر ما جاءت به ، وطفقوا يتركون لأجلها خير ما كانوا عليه لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الامصار ، وتنقل في الأقطار ، حتى نفذت نسخ طبعته الاولى ، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى ، رأيت أن أزيد في فوائده ومسائله ، وأضف اليه شيئاً من أحسن الكلام وعقائله ، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية ، مقالات في « الحياة الزوجية » ، لمنشئها الذي نعرف مع حضرة قاسم بك أمين . بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين ، فاخترت أن أجعلها خاتمة للكتاب ، لأنها في الموضوع لب الباب ، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً ، وهدياً سماوياً سامياً ، في تفسير قوله تعالى في النساء « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان اقتبسه صاحب المنار من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وهما كه تقلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣)

﴿ولهنّ مثل الذي عليهم﴾ بالمعروف وللرجال عليهم درجة ﴿﴾

هذه كلمة جليّة جداً جمعت على إنجازها مالا يؤدى بالتفصيل الا في سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الامرا واحدا عبر عنه بقوله (وللرجال عليهم درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » الآية وقد أحال في معرفة ما هن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه يجب عليه مثله بإزائه ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : انني لا تزين لامرأتي كما تزين لي لهذه الآية . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أ كفاء فاما من عمل عمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ان لم يكن مثله في شخصه، فهو مثله في جنسه، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما انها متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ويكره ما يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذة عبداً يستدله ويستخدمه في مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر وإتقيا بمقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه: هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده . وهذه الأمم الأوروبية التي كن من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعزيت بتربيتهم وتعليمهن العلوم والفنون لاتزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التي

منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف وقد كان النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند الغرب أو أسوأ حالا ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد ان تعليم المسيح لم يخلص اليهم كاملاً سالمًا من الاضافات والبدع ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصرت مدنيته عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا . ذكر الاستاذ الامام في الدرس ان أحد السائحين من الافرنج زاره في الأزهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتاً مارة فيه فبهت وقال ما هذا؟ أتني تدخل الجامع!!! فقال له الامام وما وجه الغرابة في ذلك قال اننا نعتقد ان الاسلام قرر ان النساء ليس لهن أرواح وليس عليهن عبادة : فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن . . . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فيهم فبالكم بعامتهم

اذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل ما لهم عليهن الا ما يميزهم به من الرياسة فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة ان يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن ويجعل لهن في النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً غالياً بما يجب عليه عاملاً به ولا يسهل عليه ان يمتنه أو يهينه واذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجراً له عن مثلها .

كف الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما كف الرجال وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن وقرن أسماءهن باسمائهم في آيات كثيرة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين

وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب
والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة . أفيجوز بعد هذا
أن يحرم من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن
ولذي القربى والأمة والملة ؟ العلم الاجمالي بما يطلب فعنه شرط في توجه النفس اليه
اذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي به مبين لفائدة فعنه
ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله والتوقي من إهماله فكيف يمكن للنساء ان
يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالاً وتفصيلاً ؟ وكيف تسعد في
الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كاليهاثم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا
للناس والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلاً مما يجب عليه
من ذلك ويترك الباقي ومنه إغاة ذلك النصف الضعيف على التقييد بما يجب عليه
أو إلزامه به بما له عليه من السلطة والرياسة

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعبادته محدود وكن .
يطلب منها النظام بيته وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كالحكم بالأملاك
- ان كانت في بيت غنى ونعمة . يختلف باختلاف الزمان والمكان ولا حول . كما
يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال . ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل
النفقة والسكنى والخدمة الثلاثة بحال المرأة . ألا ترى ان فروض السكنى قد
اتسعت دائرتها بعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح واتمسي كافياً في الدفاع عن
الحوزة صار هذا الدفاع متوقفاً على المدافع والبنادق والبوارج وعلى عموم كثيرة
واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس ؟ . ألم تر أن تمرض المريض
ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ونصر
الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية
خاصة . أي الأمرين أفضل في نظر الاسلام . أتمرض المرأة لزوجها اذا هو
مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبات بيته ؟ وهل
يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها اذا كانت جاهلة بقانون صحة ومرض

الأدوية ؟ نعم قد تيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الأدوية السامة
أربجعل دواء مكان آخر

روى ابن المنذر وأخاكم وصححه وغيرهما عن عليّ كرم الله تعالى وجهه أنه
قل في تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » : علموا
أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم : والمراد بالأهل النساء والأولاد ذكورا وإناثا
وزاد بعضهم هنا العمد ولأمة والأهل في أصل اللغة القرابة . وإذا كان الرجل
يقتي نفسه وأهله ذرا لا خرة بتعاليمهم وتأديبهم فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا وهي
العرشة المنقصة بالشفقة وعدم النظام

والآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ما لم
يحل العرف حراما أو يحرم حلالا مما عرف بالنص والعرف يختلف باختلاف الناس
والأزمنة ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون إن حق الرجل على المرأة
أن لا تمنعه من نفسها بغير عذر شرعي وحقها عليه النفقة والسكنى الخوقالوا لا يلزمها
عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله ومكة . والأقرب
لى هداية الآية ما نقله بعض المحرّرين والمبالغة . قال في حاشية المنقح بعد ذكر
قول بأنه لا يجب عليها ما ذكر : « وقال أبو بكر بن أبي شيبة وأبو زجاني عليها
ذلك واحتجوا بقضية علي وفاطمة رضي الله عنهما فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى
على بنته بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجا من البيت من عمل رواد الخوزجاني
من طريق قول وقد قل عليه السلام « لو كنت آمر أحد أن يسجد لأحد لا أمرت
المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنقل من جبل أسود الى جبل
أحمر أو من جبل أحمر الى جبل أسود لكان نولها (أي حقها) أن تفعل ذلك »
ورواه بإسناده قل فهذا طاعة في لا منفعة فيه فكيف بموتة معاشه . وقال الشيخ
ثقي الدين يجب عليها المعروف من مثلها مثله قال في الانصاف والنصواب أن
يرجع في ذلك الى عرف البلد » : اه

وما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين بنته وربيبه وصهره (عليها السلام)

هو ما تقتضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الأعمال بين الزوجين على المرأة تدبير المنزل والقيام بالأعمال فيه وعلى الرجل السعي والكسب خارجه . وهذا هو المأثله بين الزوجين في الجملة وهو لا ينافي استعانه كل منهما بالخدمه والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله أحيانا اذا كانت هناك ضرورة وإنما ذلك هو الأصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصالحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون « لا يكف الله نفسا الا وسعها - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله » . وقوله شيخ نقي الدين وما بينه به في « الانصاف » من الرجوع الى العرف لا يعدوم في لآية قيد شعرة . واذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر في معاملتهم للنساء تجدهم يفاضلون بين بقدر الاستقامة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته الا العجز ويحمون من الا يحمده لا بالكف والجهد ويكثرن السكوى من تقصيرهن ونسألتهم عن استقارهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهاءهم انه لا يجب له عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ولا ارضاع طفل ولا ربة ولد ولا شرف على خدمه الذين نستأجرهم لذلك . ان يجب عليهن الا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع . وهذا ان الامران عدميان أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن وعدم المعارضة بالاستمتاع فالعنى انه لا يجب عليهن للرجال عمل قطيل ولا للاولاد مع وجود آبائهم ما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء . ذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على مصالح نفسها بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فالحياء الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الامور ولا تقوم مصالحهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف مثلا يعمل كل على ضد الآخر فتتفهم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرياسة لأنه أقدر

على التنفيذ بقوته وماله ومن ثم كان هو المطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ والهجر و ضرب غير المبرح ان تعين تأديباً ، يجوز ذلك لرئيس البيت لأجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة كما يجوز مثله لرئيس الأمة (الخليفة أو السلطان) لأجل مصلحة الجماعة . وأما الاعتداء على النساء لأجل التحكم أو التشفي أو شتم غيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال وكل راع مسؤول عن رعيته . وسيأتي تفصيل هذه الساطة في سورة النساء ان شاء الله تعالى

وختم الآية بقوله عز وجل (والله عزيز حكيم) قال الاستاذ الامام ابن كثير نعمة الحكمة ههنا وجهين أحدهما إعطاء المرأة من الحقوق على الرجل مثل ماله غيره . لأن كانت مهضومة الحقوق عند العرب وجميع الأمم واتاني جعل الرجل ، ليس عليها فكان من لم يرض بهذه الاحكام الحكمة يكون منازعاً لله تعالى في عزة سلطانه . ومنكر الحكمة في أحكامه ، فهي تتضمن الوعيد على العصاة كما عهدنا من سنة القرآن اهـ

هذا هو رأي فقيد الاسلام المرحوم ومن تصفح ما يلي من فصول كتابنا وجدنا ما نقله من قبل والله الهادي الى ما فيه الخير والسداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين واخوانه المرسلين
أما بعد فإنه قد كثر في هذه الايام البحث والكتابة في حالة المرأة
وما يجب عليها ولها وفي طرق تعليمها .

والفضل في فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذي وضعه
حضرة الفاضل قاسم بك أمين يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل من
جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها في حقوقها ويبحث فيه على تربية المرأة
وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء . ويقول بلزوم رفع الحجاب ووجوب
الاختلاط لأن حجاب المرأة وعدم اختلاطها بالرجال مما يقيد حريتها
التي منحها الله اياها ويمنع من قيامها بالعمل المكنتة به في الهيئة الاجتماعية
الى آخر ما يدعو اليه . ولم يكذب يظهر هذا الكتاب في عالم الوجود حتى
أشيع في بعض الجرائد انه تألفت لجنة في مصر تحت رعاية عظيم فيها

لتحرير المرأة الشرقية على الطريقة التي أشار إليها حضرة المؤلف في كتابه .
وأخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون في موضوع الكتاب وما احتوى
عليه من أفكار وأمانى . ولقد انقسموا حزبين : حزبا يرى رأي المؤلف
وهم فلائيل يمدون على الاصابع . والحزب الآخر وهو الاعظم عدداً أجمع
على استهجان ماورد بالكتاب ويقول انه يدعو الى بدعة في الدين لافي
العوائد فقط . وكلا الحزبين مسلم والحمد لله بأن الدين لا يمنع مطلقاً من
تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما
يختلفان فيما ينبغي أن تعلمه المرأة وفي طريقة التعليم والتهذيب

ولما رأينا هذا الجدل والكفاح بين فريقين يميز كل منهما قوله
بالشرع ويقول ان الحق والدين في جانبه ورأينا انه لم يكدم يخلو مجتمع من
الكلام في هذا الموضوع تاقت نفسنا الى البحث والتنقيب والدخول فيه
ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان أخطأنا فلنا من حسن النية
ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان أصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل
على عملنا أجراً فنقول :

أول شيء طرأ على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس أخذوا
يسلقون حضرة المؤلف بالسنة حداد ويحملون عليه وعلى كتابه حملات لم
تعودها على مؤلف غيره من قبل ان لا بد في الامر من شيء مهم حمل
الناس على ذلك اذ لا يمكن ان يجتمع كل الناس على ضلالة . ولا يخفى ان
السنة الخلق أقلام الحق . فأخذنا نسأل ونسأل ونبحث ونتناظر حتى علمنا ان
معظم هياج الرأي العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ في أذهانهم

من ان رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تمنيها اوروبا من قديم الزمان لغاية في النفس يدركها كل من وقف على مقاصد اوروبا بالعالم الاسلامي ويقولون ان « للاوروبايين مطامع قديمة وما آرب في النفس يظهرها » « زيادة التقرب بين العالمين الشرقي والغربي حتى ان بعض امراء المسلمين » « اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول اوروبا في نيل » « ما آربه . ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق لما كانت » « نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بافريقيا يحكمها هو » « ومن يأتي بعده من اولاده كان عاملا على جذب دول اوروبا اليه » « لتساعده على تحقيق أمنيته في مقابلة تحقيقه أمنيتهم بان يدخل العادات » « الافرنكية بين امته مما كان يظنه سهل المنال حتى انه كان كثيرا ما يتظاهر » « ويقول ان مصر قطعة من اوروبا وان اخلاق المصريين وعوائدهم التي » « ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد اوروبا وأخلاقيها ليكون » « له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم لما رآه وعلمه من مخالطة أمرائهم » « وعلمائهم وأرباب الافكار والسياسة منهم الذين يعلمون حق العلم انه لم » « يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسلامي - في المشرق لافي مصر » « وحدها - الا ان يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذي عم » « الرجال في المشرق . وكل من ادرك اسماعيل باشا يعلم ما كان قد اشيع » « في ذلك الوقت من انه كان يريد ان تخرج النساء مكشوفات الوجوه » « في الطرقات كالفرنجيات وعمت الاشاعة ارجاء القطر باجمعه » « وتحدث الناس بها في كل ناد . وقالوا ايضا انه لاجل تنفيذ هذا الفكر »

« أمر بان تخرج تلميذات مدرسة السيوفية مكشوفات الوجوه . وقد
 « رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط في عربات كثيرة »
 « يتفسحن في أرجاء المدينة ويذهبن من لها من العمر ست عشرة سنة »
 « وزيادة . وقد علم الناس ثمره هذا الفراس فقد خرجن أكثرهن على علة »
 « البغاء . ولم يقتصر العلم بهذا العزم على مصر فقط بل تعداها الى غيرها من »
 « الامصار حتى ان أحد امراء المسلمين اذ ذاك كتب اليه كتابا مطولا »
 « ينهاء فيه ويلومه على ما يتظاهر به من حب الانفصال عن الدولة وما يريد »
 « ادخاله من عادات الا فرنج بين قومه . ومما جاء في الكتاب المذكور »
 « مختصا بهذا الموضوع قوله بعد العنوان وحمد الله والصلاة على أنبيائه (١) »
 « بلغنا ورأينا من مقتضيات الاحوال ما يصدق الخبر انكم كانبتم »
 « ملوك أوروبا وتوجهتم بانفسكم اليهم تطلبون منهم الاعانة على الاستقلال »
 « بملك مصر والاستبداد بالسلطنة ليقال لكم ملك مصر أوفرعون مصر »
 « ولم يقنعكم لقب الخديوي الذي شرفكم به سلاطاننا في هذه المدة الاخيرة »
 « وذكرتم للمشار اليهم انكم تضمنون لهم ان وقعت منهم الاعانة التي »
 « تطلبونها تبديل أحكام القرآن وفصل السياسة عن الدين بالمرّة وتبيحون »
 « لنساء الامة الجديدة التي تكونونها ما تبيحه العادات الا فرنجية وقوانينها »
 « من الحضور في مجامع الرجال ومواكبهم وغير ذلك ولا تظلمونهم بمثل »
 « ما ظلمتم الشريعة الاسلامية على مدعاكم وقتلتم فيما ذكرتم لاؤلك »
 « الملوك ان السلطان العثماني لا يتيسر له ما يتيسر لكم من امثال هاته »

(١) اطلمت على هذا الكتاب عند بعض اعظم مصر ولديه ما ثبت صحته .

« الامور التي هي خلاصة التمدن الانساني في نظركم لكونه ملقبا بلقب «
« خليفة الرسول الى آخر ما ذكرتم اهـ .

« وان ارادة الوصول الى تغيير حالة المرأة المسلمة شيء كامن في نفوس «
« الفرنج لذلك كانوا يطالعون به كل من حادتهم من أدباء الشرق وعلمائه حتى «
« انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا «
« غريبا ويرثي لحالها ويصدر منه من الاقوال ما يدل على جهله بحالة «
« المرأة وحقوقها في الاسلام جهلا تاما . مع ان لكثير من فضلاء الشرق «
« مؤلفات ومقالات في حالة المرأة المسلمة وما لها من الحقوق بحسب «
« الشريعة الغراء فد ترجمت الى بعض لغات اوروبا واطلع عليها الكثير «
« من علماءها ومع ذلك تراهم مصرين على رأيهم من تماسة حالة المرأة «
« المسلمة كأن المرأة المسلمة وكأنتهم عنها في المدافعة عن حقوقها وكأنتهم «
« لما رأوا تماسة حالة المرأة عندهم وابتدأوا بما وصلت اليه بفضل الحرية «
« الزائدة الواسعة أرادوا أن تكون حالة التماسه عامة كل نساء الدنيا فهم «
« دائبون عاملون على التنفير من حالة المرأة المسلمة وما هي عليه من «
« الشقاء لتقوى كلمتهم فيتدخلون يوما ما بالقوة باسم المروءة ليحملوا دول «
« الاسلام على تغيير حالة المرأة فيتم لهم الغرض الخفي الكامن في نفوسهم «
« كما تدخلوا من قبل باسم الانسانية والعهد ليس ببعيد في مسألة الرقيق «
« وان كل من نظر الى أقوال الفرنج ومن ينسجون على منوالهم رآها «
« مزخرفة الظاهر جميلة الحواشي والاركان لماعة براقة تكاد تأخذ «
« بالالباب ولكن وأسفاه حشوها السم النافع . ولا نلام على قولنا هذا «

« لاننا ظالما سالمتنا الافرنج وظننا ان كل ما يصدر منهم حق وكل أفعالهم »
 « منزهة عن العيب فلما استسلمنا اليهم بهذه الطريقة وقعنا فيما نخافه »
 « فانطمست معالمنا ودرست آثارنا وغطى الجهل بصائرنا وأبصارنا فاصبحنا »
 « على حالة يرثي لها المدعو قبل الصديق بعد مجد باذخ وعز سابق وعلم قديم »
 « ولو قيل لنا هذا القول في أول تمارقنا بالفرنج لكننا أخذناه كما هو »
 « وعملنا به ولربما أصبحت حالة المرأة عندنا كحالة الرجل على ما يبتغيه الفرنج »
 « ولكن يسر الله وأصبحت لنا خبرة بما آرب الافرنج نحو الشرق فلا »
 « نسمع منهم قولاً الا بعد أن نطيل النظر والتنقيب فيه (١) »

(١) جاء في جريدة المقطم الفراء في عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ٩٩
 ضمن مقالة في محلياتها عنوانها « اندري ماهي قاعلة » ما يندر هؤلاء المعارضين
 في اعتقادهم حيث قالت :

وبديهي ان الامة التي تنفع العالم بقدوتها الحسنة تضرهم بقدوتها السيئة . ولعل
 أهل الشرق الأدنى أعظم الأمم اقتداء بالفرنسويين واقتباساً لأفعالهم وعاداتهم
 واصطلاحاتهم حتى انك لترى شبانهم في أكثر المدن لا يقلون شغفاً وتعلقاً بالفرنسوية
 وتحيزاً وتحزباً لها من الفرنسيين أنفسهم . فيخاف الشرقي الضرر من عاقبة خطأ
 الفرنسي وضلاله قدر ما يرجي النفع من عاقبة أفعاله الحسنة ومبادئه القويمة . ولو
 بحثنا لوجدنا ان اضراراً كثيرة سرت الينا من اختلال المبادئ القويمة في فرنسا مع
 النفع الذي جنيناه من التشبه بها في مبادئها السامية وافعالها العظيمة . فاختلال عرى
 العفاف في عاصمة فرنسا واستخفاف أهل باريس بهذا المبدأ الأدبي واطلاقهم
 السراح لشهواتهم اثر تأثيرهم من الضرر في هذا القطر وغيره من الافطار الشرقية على
 وجهين : الواحد اقتداء الذين ربوا في باريس او زاروها بأهل باريس من هذا القبيل
 فصارت العفة عندهم امراً حقيراً لا يرعون له حرمة ولا يحجلون لصاحبه قدراً .

هذا هو مجمل قولهم وداعية سخطهم واني أجل حضرة الفاضل قاسم بك أمين عن أن يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء لأمته كما هو ظاهر من كلامه على تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم أحسن وصف وقال بوجوب تربيتهما تربية تهذب أخلاقها وتقوم نفسها فلحضرة مزيد الشكر على ذلك وسيرانا في هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته على دعوتنا نخرق تلك الاذن الصماء فيهم القوم بأمر هذه التربية وننال ضالتنا التي نشدها وهي تحسين حالنا وما ذلك على الله بعزيز . وانا مع موافقتنا لحضرة على هذا المبدأ مخالفه في غيره فنستمنحه العفو عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة في الرأي والفكر فحضرة حر ولا نخاله الا بحب كل حر الفكر

ومما اتخذته خصومه حجة على ممالأته الفرنج ومجاراته لهم على أفكارهم انه قد سافر بعض النضلاء من الأتراك الى أوروبا بقصد السياحة من بضع سنين فلما كان في بلاد الانكليز وتعرف ببعض أدبائهم هناك جرم الكلام الى موضوع حالة المرأة المسلمة وهو الموضوع الذي قل ان يخلو منه مجلس فيه شرقي ووجهوا اليه أقوالا واعتراضات وانتقادات هي نفس الاعتراضات التي بنى عليها حضرة مؤلف كتاب تحرير المرأة كتابه

والوجه الآخر توهم كثيرين من الشرقيين ان التمدن الحالي ينتج في كل مكان ما أنتج في عاصمة الفرنسيين من الفجور وترك العقاف فنفروا منه ومن يستحسنه وكرهوا تعليم بناتهم وتغيير طرق المعيشة مع نساءهم وعائلاتهم وقاموا ينفون النابغين من أبناء هذا القطر كأنهم ارتكبوا وزرا حيث طلبوا للمرأة التحرير ينفون بذلك ان تغيير معيشتها العائلية والاجتماعية بعض التغيير اه

ويقولون : « انه ليس بمجيب في الامر ان الاعتراضات التي وجهت الى « الفاضل التركي هي التي بوجهها كل الفرنج الى الشرقيين . بل المجيب »
« ان هذه الاعتراضات هي بعينها التي جاءت في كتاب حضرة قاسم »
« بك أمين ولكنها بعبارة أوسع مع ان ذلك الفاضل التركي كان باوروبا »
« قبل ان يظهر كتاب تحرير المرأة بعد سنوات . وقد طبعت هذه »
« الاعتراضات ضمن رسالة باللغة التركية سنة ١٨٩٣ أرفكية بالمطبعة »
« الجامعة بمصر باسم الرحلة الاصمعية . فهل هذا أيضا من باب وقوع »
« الحافر على الحافر أو من توافق الخواطر كما كان الامر في ظهور كتاب »
« تحرير المرأة في الوقت الذي ظهرت فيه مقالة انكليزية قيل انها لاحد »
« علماء الهند المسمى القاضي أمير علي وترجمت الى العربية من جريدة »
« انكليزية في مجلة المقتطف يدعو فيها صاحبها الى مثل ما يدعو اليه »
« صاحب كتاب تحرير المرأة ؟ » - ذلك أمر لا تعرض له بنفي ولا اثبات
بل نكل فيه الحكم للقراء - انما نقول ان اعتراضات الفرنج على حالة
المرأة المسلمة وما هي عليه من التحجب لا بد ان تكون قد وجهت لحضرة
الفاضل قاسم بين أمين حينما كان يتعلم باوروبا ولكن يظهر ان حضرته لم
يخفل بها ولم يؤثر عليه أدنى تأثير . يدل على ذلك أقواله ومدافعاته عن حالة
آداب المرأة المسلمة واحتجابها في مؤلفه النفيس الذي رد به على كتاب
الدوك داركور . ولكن لا ندري أي الاسباب أثر عليه بعد ذلك فحوله عن
فكره الاول الى فكر يخالفه بالمرّة في كتاب تحرير المرأة .

ولنكتف الآن بما أوردناه ولنبحث في المرأة ووظيفتها في العالم وفي

حقيقة التربية الصحيحة والتعليم الحق اللازمين للبنين والبنات ليصلحوا ان يكونوا يوما ما أزواجا فأباء وأمهات وفيما يجب أن يتخلق به النساء ليقتن بوظيفتهن في البيوت أحسن قيام . ثم تتبع ذلك بالكلام على الحجاب أهو شرعي يأمر به الدين ويقضي به العقل أم هو بدعة وعادة سيئة ضرت ضررا بليغا بدون أن تنفع ؟ ويتخلل هذه الفصول بيان مانحن عليه الآن من لادب والتهذيب والتعالم وبيان درجة التقص فيها وطرق اصلاحها بما لا يخجل بموائدنا المستحسنة ومبادئ ديننا القويم .

وانا نقول هنا ما قاله حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله في رسالته با كورة الكلام على حقوق النساء في الاسلام : « لا يحسن قراءة هذا الكتاب انا نريد المنع من تقليد الاجانب فيما يعود علينا بالمنفعة . كلا . فان ذلك لا تنمى الشريعة المطهرة . كيف وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر الخندق لما أخبره سلمان الفارسي بأنه من أعمال الكسرويين في حروبهم وشواهد ذلك كثيرة لا نطيل بذكرها »

ونحن عملا بما تأمرنا به شريعتنا المطهرة وتقليدا للآثم الحية في الحث على تهذيب البنين والبنات وتربية نفوسهم نحض على هذه التربية الصحيحة وندعو اليها جهدا لعلنا نوفق الى الوصول الى هذه الغاية الشريفة ولكي يطابق الاسم مسماه سميننا الكتاب تربية المرأة والحجاب وهو اسم كنا نتمنى أن يجعله حضرة قاسم بك أمين عنوانا لكتابه فانه أولى وأليق به من اسم « تحرير المرأة » حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرة قد خولت لها الشريعة السمحة من نحو ثلاثة عشر قرنا حقوقا وامتيازات

لم يحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد وهي الآن قد زادت حريتها عن الحد الشرعي . والله تعالى نسأل ان يهدينا سواء السبيل فيما نقول

هذا وإننا نرجو المذرة اذا هفا اليراع هفوة فالغرض مما نقدمه الجوهر لا العرض وجل غرضنا المشاركة في البحث توصلاً الى الحقيقة التي هي ضالتنا جميعاً فما تزاممت الظنون على شيء الا انكشف . وعلى الله الاتكال في كل الأمور ومنه يرجي خير المآل .

الباب الاول

المرأة أقل من الرجال ادراكاً وحساً - وظيفتها - اقرار بعض علماء الاقربح والسيدات أنفسهن بان المرأة لا يلزم ان تتعدى وظيفتها - هل للمرأة ان تشتغل بأشغال الرجال؟ - ماهي نتائج تحرير المرأة في أوروبا؟

المرأة ووظيفتها في المجتمع الانساني

المرأة أقل من الرجل ادراكاً وحساً - أجمعت كل الشرائع المنزلة على ما سلم به الطبع والعقل من أن المرأة أضعف من الرجل وأقل منه في سائر الخيالات جسماً وادراكاً وعلى ان الرجال قوامون على النساء دون العكس . لهم عليهم السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة والاحترام حيث ان الرجل لا يمكنه أن يعيش بدون المرأة ولا المرأة بدون الرجل لانه يترتب على تألفهما عمران الكون وتحسين النوع الانساني وتكثيره وسعادة العالم المؤلف من عائلات وأفراد بسعادتهم بسعد وبقشاشهم

يشقى فقد جاء في التوراة في سفر التكوين بالاصحاح الثالث عدد ١٦ أن الله تعالى قال للمرأة : « تكثيراً أكثر اتعاب جيلك . بالوجع تلدين أولاداً . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » . وجاء فيه أيضاً أنه تعالى قال للرجل معلقاً به الكد والشقاء : « بمرق جيئتك تأكل خبزك »

وجاء في أعمال الرسل : ١ كورنتوس ص ١١ من ع ٢
« ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح . وأما
« رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله »

.....

« فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده .
« وأما المرأة فهي مجد الرجل . لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من
« الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل ،
« لهذا ينبغي أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة . غير أن ،
« الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب . لأنه ،
« كما ان المرأة هي من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة »

وقد قررت الديانة المسيحية ذلك التعليم الإلهي وأمرت المرأة ان
تخضع لرجلها وأمرت الرجل أن يتعطف على امرأته وأن يخلص لها الحب
أما الشواهد من القرآن ومن السنة على كل ما تقدم فكثيرة جداً
يعلمها حق العلم كل من اطالع عليها وكأها تثبت خضوع المرأة لسلطان
الرجل وهو نظام اقتضته حكمته سبحانه وتعالى .

وحسبنا اثباتاً لما نقوله قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء

بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم « وقوله تعالى :
 «واللاتي يخافون نشوزهن فعضوهن وأهجروهن في المضاجع وأضربوهن
 فان أطفعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا» وقوله تعالى : «ولهن مثل الذي
 عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وقوله صلى الله عليه وسلم : «لو كنت
 امرأة أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وقوله
 عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله في الضميفين : المرأة واليتيم » وقوله
 صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لنسائه وبناته . وأكمل المؤمنين
 أحسنهم خلقا مع زوجته . وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته والرجل
 راع على أهل بيته وأهله وولده وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت
 زوجها وهي مسئولة عنه » وقوله صلوات الله عليه : « استوصوا بالنساء
 خيرا فانما هن عندكم وديمة لا يملكن لانفسهن ضرا ولا نفعا وانما هن
 كاسرى بين أيديكم وانما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتموهن بكلمات
 الله فعاشروهن بالمعروف ولا تظلموهن وقوموا بحقوقهن... الخ... »
 والشواهد الحسية والعقلية على ضعف المرأة كثيرة جدا كلها مؤيدة
 لما سبق نورد منها ما ذكره حضرة فريد أفندي وجدي ضمن مقالة عنوانها
 « نظرة في تحرير المرأة » نشرت في جريدة المؤبد الفراء بمدد بها الصادقين
 في ٣٠ سبتمبر وأول أكتوبر سنة ١٨٩٩ . قال : « هل المرأة مساوية
 للرجل في سائر الحيثيات ؟؟ فالجواب لا . »
 « وهل لدينا دليل حسي على هذا الجواب السلبي اصدق من وجوده »
 « المرأة من ابتداء الخليقة للآن تحت سيطرة الرجل يوجهها كيف يشاء »

«ويحكم عليها بما تقضي أمياله؟؟»

«إذا كانت المرأة مساوية للرجل من الجهتين الجسمية والعقلية فلماذا»
«رضخت كل هذه الالوف المؤلفة من الأعوام لسلطان الرجل وجبروته؟»
«لا شك أنا إذا لاحظنا ناموس الغلبة والتهر الذي مؤداه ان»
«القوي يغلب الضعيف ويأسره علمنا جيداً ان المرأة لا تساوي الرجل»
«في جميع المواهب الطبيعية اذ لو تساوته فيها لحدثنا التاريخ باخبار التدافع»
«بين هذين الجنسین شأن كل عاملين متساويي القوة في هذا الوجود.»
«ولكن الأمر بالعكس فان المرأة ظلت راضخة لنير الرجل ولم تنل»
«مانالته من حريتها في اوروبا الا بسمي الرجل نفسه ورضاه بتخفيف»
«الوطأة عنها كما هو شأن القوي اذا أراد ان يخفف عن الضعيف»
«المقهور له شيئاً من أثقاله»

«إذا سلمنا بهذا ولا مناص من التسليم به لانه عين الواقع وجب»
«علينا أن نبحت لنتبين كنه التفاضل بين الرجل والمرأة لسدرك سر»
«انقلابها له ورضاهها بسيطرته كل تلك المدة المستظيلة فنقول :»

«هل الرجل أقوى من المرأة جسماً؟؟ الجواب نعم»

«وهذه حقيقة لا مرية فيها ألبتة . ولو سلمنا جيداً ان ضعفها»
«ناشئ من استكانتها للرجل الذي كثيراً ما حملها وبحملها أحكام عوائده»
«وتقاليد المضرة بصحتها فان أقل نظرة لحالتها الطبيعية من حيث»
«لوازم الانوثة وعوارضها ومن حيث الحمل والوضع والارضاع»
«واستفراق عواطفها في الهيمنة على أطفالها وهي الأمور التي»

«يخلو منها الرجل بالمرة - قلنا أقل نظرة في حالتها هذه التي يبعدها»
 «الفسولوجيون أمراضاً - تكفي لأن نحكم بأنها أقل من الرجل قوة ونشاطاً»
 «على أننا لا نسلم مطلقاً كما قلنا بأن المرأة لو التي حبلمها على غاربها»
 «وتحورت من كل قيد يمكنها ان تلحق شأو الرجل قوة وشدة . والا»
 «فهذه انثى الحيوانات كلها تدلنا حالتها الحيوية دلالة صريحة على ان»
 «الخالق جل شأنه خلق الاناث أضعف من الذكور في كل الانواع الحية»
 «لحكمة بالغة ومقصد عظيم . لكن اثباتنا بان الرجل أقوى من المرأة»
 «جسماً لا يفسر لنا خضوعها في سائر أدوارها فان القوة العضلية»
 «بمفردها لا تكفي للسيطرة والغلبة في العالم الانساني والا لتغلبت»
 «الوحوش على نوعنا الضعيف وأجلته عن الوجود من زمان مديد . فان»
 «كثيراً من أنواعها أشد منه قوة وأقوى عضلاً . ومع ذلك هو تغلب عليها»
 «وقهرها بقوة فكره وسعة ادراكه . اذن وجب علينا ان ننظر في هذه»
 «النقطة الى وجهة اخرى فنقول :»

«هل المرأة اضعف من الرجل ادراكاً ؟»

«نقول نعم . وأحوال الشعوب الحاضرة والغابرة تؤيد هذا القول»
 «بالشواهد الميانية فان كل الاعمال الاختراعية والاكتشافات العلمية»
 «التي بنيت عليها سعادة الانسانية صدرت من الرجل دون غيره اللهم»
 «الا بعض أمور صغيرة تمت على يد المرأة في العصور المتأخرة ولكنها»
 «غير ذات أهمية ولو جمع الملايين منها لما وازت فوائد ما أحدثته الآلة»
 «البخارية من التأثير العظيم في أحوال المدنية»

« يقول قائل نسلم لك ذلك لانه عين الواقع وليكن لا تنس انه »
« نتيجة ظلمها وحرمانها من تغذية قوتها الادراكية بالعلوم والمعارف »
« التي تهيب الانسان للاشراف على دقائق الامور واستدراار منافعها . »
« فنجيبه بأن حالة المرأة نفسها تمارض هذا القول على خط مستقيم . »
« فانا نعلم ان نمو المدركة الانسانية كما يتوقف على الدراسة لمبادئ العلوم »
« الاساسية كذلك يستلزم العمل بها واجتهاد النفس في تكميلها واستزادة »
« مادتها وهو الامر الذي لا يتأتى الا بالانقطاع لها أو على الأقل بالتعرض »
« لمناشئها . وبالتأمل في حالة الرجل والمرأة من هذه الحيثية نجد ان الاول »
« بحكم الطبيعة متعرض لنفحاتها في كل أدوار حياته فهو من المدرسة »
« الى مكابدة العمل ثم الى التعامل بين الناس سواء بالزراعة أو الصناعة »
« والتجارة وكما منشئ لتربية المدارك وتوسيع نطاق الملكات بخلاف »
« المرأة فان الوظيفة التي نيطة بها من الحمل الى الوضع الى الارضاع الى »
« التريبة مع تدبير البيت تجبرها ان تصرف معظم حياتها في الابتعاد عن »
« مصادر التغذية الفكرية . وبناء على هذا يستحيل عليها أن تبلغ شأو »
« الرجل في سعة الادراك حتى ولو سلمنا (ولو ان ذلك مناف لابحاث »
« الفسيولوجيين) ان استعداد الجنسين لقبول المعلومات بدرجة واحدة . »
« ولا يغرننا ما نسمعه عن بعض النابات بأوروبا وأمريكا في العلوم الطبيعية »
« والفلكية فانهم فضلا عن كونهم لم يبلغن شأو الرجال فيها على الاطلاق »
« جانبات على هيأتهم الاجتماعية بعدم ارادتهم الزواج الابدان يشارفون »
« سن الهرم تقريبا . وبذلك فهن باشتغالهن بما لا ينفع وطنهن بشيء يذكر »

«يحرم منه مما يطالبهن به من الذرية الصالحة فان الواحدة منهن لو تركت»
«أشغالها الفلكية مثلاً العديعة الجدوى ورضخت لحكم طبيعتها فتزوجت»
«وهي شابة لاستطاعت أن تهدي الجمعية بخمسة علماء من ذريتها يستطيع»
«الواحد منهم أن يؤدي أضعاف أعمالها مما يكون له أثر يشكره نعم»
«ان عالما العالم المتمدّن يعدد جانبا في نظر علماء العمران لا بتعادهن»
«عن الوظيفة الحيوية التي خلقهن لها الخالق عز وجل فقد ثبت بالاحصاء»
«ان المرأة العاملة لا تتزوج قبل أن يبلغ سنها الخامسة والاربعين كما روته»
«مجلة المجلات الفرنسية . فقل لي بأبيك ما ذا ينتظر منها من النسل»
«بعد هذا السن وهل يستفيد الوطن من أبحاثها في علم الطبيعة أو السياسة»
«أو التشريع مثلاً بقدر ما يخسره من حرمانها إياه من ذريتها التي ربما»
«نبت فيها فيلسوف مثل جول سيمون أو طبيعي مثل هكسلي أو عمرائي»
«مثل سبنسر ممن يفيدون الانسانية فوائد حقيقية : هذه الحالة يشكو»
«منها الغربيون أنفسهم ويعدون لها تدخلا من المرأة في غير شأنها واشتغالا»
«بغير ما هو مطلوب منها مما يبعد بها عن لوازم جنسها وقد لاحظ ذلك»
«الفيلسوف جول سيمون فقال ما معناه : اني لا أسر اذا كانت امرأتي»
«دكتورة فاني أود أن تكون المرأة امرأة وما ذلك الا لعلها انها بدكتورتها»
«في التشريع مثلاً لا يستطيع أن تجمع بين دقائق القوانين ودقائق علم»
«التربية الذي يطلب منها ويعتمد فيه عليها»

« نتيجة ما تقدم - يظهر لنا من كل ما تقدم وليس بعد الحس دليل»
«ان المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا . أما جسما فلكونها ممرضة»

«للازم الاوثة وهي كما أثبتنا أمراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة»
«الاطباء . وأما ادراكا فليكونها بحكم وظيفتها من تدبير المنزل وتربية»
«اطفالها والتحفظ عليهم غير معرضة مثل الرجل لمناشئ تنمية القوة»
«الادراكية فتكون النتيجة اللازمة لكل هذه المقدمات ان المرأة لا تساوي»
«الرجل في كل حيثية انسانية وبناء على هذا ومع ملاحظة ناموس التغلب»
«يجب ان يكون الرجل صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة»
«أحكام الطبيعة بالا قاييل . ولكن ذلك كله لا يمنع من مطالبة الرجل»
«بالاعتدال في تلك السيطرة واعطاء المرأة حقوقها في حدودها المعتدلة»
«الحقة لا في القاء حبها على غاربها وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية»
«التي كثيرا ما فتنت العباد والزهاد فضلا عن ربوات القلائد والنضاد اه .»

وظيفة المرأة - ظهر من ذلك ان للمرأة أعمالا غير ما للرجل ليست
بالاقل اهمية من أعماله ولا بالاذنى منها فائدة وهي تستغرق معظم زمن
المرأة ن لم نقل كاه : الرجل يسمى ويشقى ويكد ويتعب ويشغل ليحصل
على رزقه ورزق عياله . وامراته ترتب له بيته وتنظف له فرشه وتجهز له
أكله وتربي له أولاده وتلاحظ له خدمه وتحفظ عينه من المحارم . وهو
يسكن اليها الخ . الخ . . . قال بعضهم . « وقع خالد بن يزيد بن معاوية يوما
في عبد الله بن الزبير يصفه بالبخل وزوجته رملة بنت الزبير أخت عبد الله
حاضرة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة مع زوجها فقال لها خالد مالك لا تتكلمين ؟
أرضا بما قلته أم تنزها عن جوابي ؟ فقالت لا هذا ولا ذاك ولكن المرأة
لم تخلق للدخول بين الرجال وانما نحن رباحين للشم والضم فانا والدخول

بينكم »

وروي عن أسماء بنت زيد الانصاري رضي الله عنها أنها أتت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : « يا رسول الله اني وافدة النساء إليك . ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فأمنّا بك واتبعناك وانا معاشر النساء محصورات قواعد في بيوتكم مقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معاشر الرجال فضلم علينا بالجمعة والجماعة وعبادة المرضى وشهادة الجنائز وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى وان الرجل منكم اذا خرج حاجا أو معتمرا أو مرابطا حفظنا لكم أموالكم وغسلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في الاجر يا رسول الله ؟ » فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بوجهه الكريم ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها ؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا امرأة تهدي الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم قال . انصرفي أيها المرأة وأعلمي من خالفك ان كل شيء حسن تفعله إحداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغاءها موافقته بمدد ذلك كله . فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشارا

وقيل ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضي الله عنه وهي تفلظ عليه بالقول وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ! فلما خرج عمر رأى الرجل موليا فناداه ما حاجتك ؟ فقال له سبب مجيئه وما سمع . فقال

عمر : « يا أخي اني آتحمّلها لحقوق لها علي : انها طبّاخة لطعامي خبازة لخبزتي
غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام » فقال له الرجل :
« يا أمير المؤمنين وانا آتحمّل زوجتي » .

أليس معنى ذلك أن الله خلق المرأة للرجل للملاذ الدنياوية وحفظ
الشؤون المنزلية وأنه لم يخلق النساء لمغالبة الرجال ولا لآراء والسياسات
ولو شاء لا عطاءهن الشجاعة والبسالة والفتوة والشهامة مع ان الامر
بخلاف ذلك . ولو أرادت المرأة أن تسلك مسالك الرجال وتعود على
تحمل ثقل الاحمال لتساوي الرجل في جميع أحواله وتضاهيه في أقواله
وأفعاله أفلا يكون ذلك منها خروجا عن الوظيفة التي خصصها بها الله
سبحانه وتعالى ؟ لانه كما ان نظام الكون وسعادته قصيا بأن يخلق الناس
أطوارا وبان أعمال الرجال يجب أن تكون مقسمة بينهم وبأن يكون لكل
منهم وظيفة مخصوصة ينقطع لها فيتقنها فطائفة للسيادة وطائفة للسياسة
وطائفة للعلم وأخرى للبأس والنجدة كذلك أراد الله أن يكون لكل من
صنفي بني الانسان (المرأة والرجل) عمل مخصوص لا يتعداه والاحصل
الخلط والتشويش . وبمجموع عمليهما تتم السعادة لكليهما .

ولا يظن ظان أن هذا التقسيم في الاعمال تحكم من الرجال وان
المرأة قابلة للقيام بكل عمل منزلي أو غير منزلي لافرق بينها وبين الرجل
لانا اذا قطعنا النظر عن الانسان ورجعنا الى أنواع الحيوانات الاخرى
التي لا تصنع عندها ولا تحكم لوجدنا أن الذكور منها أقوى بطشا وأشد
بأسا وأقدر على العمل وأصبر على المشاق . وتأمل في الطيور التي تطير

جماعات وتسبح في البحار زرافات تجدها تسير تحت قيادة الذكور وتنام تحت حراستها وتنضوي تحت حمايتها وتجد الفرق بين الصنفين ظاهرا في الرواء والحسن والبنية والقوة . واذا أمعنت النظر في الحيوانات تجدها إما ييوزا وإما ولودا فالبيوض منها تقضي المدد الطوال في تحمل البيضة ثم وضعها في وكنة أو عش ثم احتضانها حتى تفرخ ثم تعهد فرخها الصغير وجلب الافوات له حتى يقوى على الطيران والتحصيل . والولود منها تقضي زمنا أطول من ذلك في الحمل والفصال والرضاع والتعهد والمدافعة بحيث يشغلها ذلك عن كل شغل .

ثم ارجع الى الانسان تجد هذا الفرق بذاته وتحكم ان المرأة كغيرها من إناث الحيوان تحتاج لان تقضي مدة من الزمان في الحمل والوحم والولادة والرضاع وتعهد الطفل حتى يترعرع وينمو ثم بعد ذلك لا تخرج من المهدة بل تشارك زوجها في تربيته وتعيده على العوائد والاعمال المطلوبة .

وهي في كل ذلك لا ينبغي أن تكون مشغولة بغير ذلك من الاعمال الخارجية كالوظائف والصنائع الشاقة والزراعة والجندية لان أعمالها السالفة الذكر تحتاج الى السكون والاطمئنان وراحة الفكر . فقد ظهر لك ان الطبيعة التي فطر الله الناس عليها جعلت المرأة في حيز مخصوص وحددت لها أمالا لا يمكن أن تكون للذكر فاذا حاول محاول تسوية المرأة بالرجل من كل الوجوه يكون قد حاول خرق سياج الطبيعة وتبديل السنة الفطرية: ولن تجد لسنة الله تبديلا .

✓ ولقد حصلت في احد المجامع مناقشة بين عدة من فتيان وفتيات

فاخذت فتاة تخطب في ان الرجال هاضمون حقوق النساء ولماذا لا تدخل المرأة في الوظائف العامة ؟ ولم لا يكون من النساء وزيرات ومديرات وقاضيات ونائبات ؟ ولم لا يشتغل الرجال ببعض الامور المنزلية ؟ فقال لها فتى من الحاضرين نحن مستعدون لتسليمكن كل هذه الوظائف ولكن على شرط أن تقمن بأعمال الجنود من حفر خنادق وبناء استحكامات ومكافحة وقت اشتعال نار الوغى واستخراج فحم ومعادن من المناجم ومباشرة حرق وزراعة في الفيضان وبناء جسور على الانهر وحفر ترع وغدران . فقالت الفتاة : في الامكان ان تقوم بهذه الاعمال اذالم تزوج ونحمل ونلد . فقال : اذا كان غرضكن أخذ هذه الوظائف مدة ثم قيام الساعة بعدها فانتظرن آخر الزمن !! . ولقد أيدت لنا ذلك المشاهدات الحسية فقد قرأنا في مجلة أنيس المجلس الصادرة في ٣٠ سبتمبر سنة ٩٩ ان عدد النساء المشتغلات في الولايات المتحدة بالفنون الجميلة والآداب قد زاد من سنة ٧٠ الى العام الماضي زيادة فاحشة و اردفت ذلك بقولها : « ولكن يظهر انه كلما أمنت المرأة في التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل في طلاقها وكان أكثر ذلك في الولايات المتحدة فان الطلاق يمتد فيها الى حد غريب غير موجود في هذه البلاد الاسلامية وسواها . »

هذا ولقد ثبت لعلماء العمران ان توزيع الاعمال أقوى معارج التقدم والمدينة فاذا اشتغل النساء باعمال والرجال باعمال كان من وراء ذلك التقدم والنجاح . وناهيك بالتفاسد الذي نراه من الرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللاتي يشتهن بالرجال . ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كلا الاثنين وروى عن عمار بن ياسر عن النبي عليه الصلاة والسلام :
 « ثلاثة لا يدخلون الجنة : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . »
 وفسر المترجلة بالتي تشبه بالرجال .

وقد قضت الشريعة الاسلامية الفراء وقوانين غالب الممالك بقصر
 السلطنة والقضاء والامامة على الرجال دون النساء . وليس عدم استخلاف
 النساء وتقليدهن هذه المناصب لعدم وجود من يصلح لذلك فقد قال
 عروة بن الزبير لذكوان : « لو طابت امرأة لامرأة بعد النبوة لاستحقت
 عائشة الخلافة » اذا لماذا ذلك وكلنا نعلم ان الشريعة السمحة لم تأت حكما
 عبثا بل لا بد لكل مبداء فررتة من حكمة مقبولة معقولة ؟ اليس ذلك لكون
 النساء يوصفن بالنقص عن الرجل في مهمات الامور الحسية والمعنوية ؟
 على أن من تقلد منهن الملك في الممالك الميعة لذلك وأفلح فلم يكمل له
 الفلاح . واذا كل له فهو من النادر الذي لا حكم له ومع ذلك يكون معظم
 الفضل ان لم يكن كله للرجال الذين يدبرون الملك في عهدهن

هذا وقد اجمع علماء التوحيد على ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا من النساء
 مع كونه بعث ما لا يحصى من الذكور : « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
 نقصص عليك » فاذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير امور الجمهور وتنظيم
 الشرائع والقوانين والوساطة بينه وبين عباد به يد الرجال ولم يجعل للنساء في
 ذلك نصيبا فأي امرأة تقصد بعد ذلك ان تتعدى طورها وأي رجل يريد
 أن يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة الباري وخالفوا الشرائع
 السماوية ومن لم يعتد بالشرائع السماوية فلا كلام لنا معه ولا جدال .

﴿ اقرار بعض علماء الافرنج والسيدات انفسهن ﴾

« بأن المرأة لا يلزم أن تتعدى وظيفتها »

وهذا هو رأي كثيرين من علماء أوروبا كما علمنا مما سبق إرادته
وتزيد عليه ما يأتي :

كتب العلامة الشهير والفيلسوف العمراني طائر الصيت جول
سيمون الذي عدد مآثره أمبراطور ألمانيا على رؤوس الاشهاد مقالة في
مجلة العلماء عن المرأة الأوروبية وسوء تأثير التربية الافراطية عليها وعلى
مجتمعها برهن فيها على ان الحقوق التي تنتحلها المرأة المتمدنة لنفسها خروج
عن الحد وغلو كانت نتيجته وخيمة للغاية وشدد النكير كثيرا على اشتغال
النساء خارج بيوتهن ومزاحمتن للرجال في الاعمال عادة ذلك مقوضا
لبناء المدنية مفسدا للنظامات العائلية واستطرد في الكلام الى أن قال :
« المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي في الحقيقة عمل عامل بسيط ولكنها
لا تؤدي عمل امرأة » ثم قال : « النساء قد صرن الآن نسا جات وطباعات الخ
وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها . وبهذا فقد اكتسبن بعض درجعات
ولكنهن في مقابلة ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضا . نعم ان الرجل
قد صار يستفيد من أجرة امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها
له في عمله » ثم قال : « وهناك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك
الدفاتر وفي محلات التجارات ويستخدمن في الحكومة كعاملات وبينهن
عدد عديد في التلغرافات والبوستة والسكك الحديدية وبنك فرنسا

والكريدي ليونيه ولكن هذه الوظائف قد ساختهن من عائلاتهن سلخا . «
ثم اطلب في مضار ذلك وختم فصله بقوله : « يقول بعض الفلاسفة ان
الحياة محفوفة بالمكاره ولكنهم ربما قالوا ذلك لانهم لم يذوقوا طعم الحب
طول عمرهم . أما أنا فاقول : ان الحياة طيبة هنيئة بشرط ان يلزم كل من
الرجل والمرأة المحل الذي خصصه الله تعالى لكل منهما . » اهـ

هذا ما قاله ذلك الفيلسوف وقد عرفنا من هو فلا يصح ان نضرب
بقوله عرض الحائط . ولتلفت الآن الى مقاله مستر (لوسن) الكاتب
الاميركي الشهير في مجلة المجلات التي هي أشهر مجلات العلم في العالم
(مجلد ٢٥) عن المرأة الاميريكية وما آل اليه امرها : وصف هذا الكاتب
الحرة المرأة الاميريكية وصف رجل لا يفره الظاهر الموه ولا تفشه خضراء
الدمن مما يجب على الشرقي ان يتدبر فيه ويستفيد منه ليتخذة عبرة
تزرعه عن التقليد عن غير روية . قال جنابه بعد كلام طويل : « أما
المنزل فيشير لهن ضجراً لا يستطعن اخفائه لانهن في الحقيقة لا يردن
ان يكن ربات عائلات بل يردن ان يكتفين بانفسهن مع انهن
لا يستطعن ان يفقدن كثيراً من الزمن لافي الخياطة ولا في المطبخ » ثم
قال : « فالمرأة الاميريكية لا تقرأ ولا تحفظ بل ولا تفكر في شيء كما يجب :
أما معظم شغلها الشاغل فهو التزين والتبرج فتراها تعتمد على ظرافتها وجمالها
لكي تسلب قواد حامل الدولارات (الريالات) الذي يعطيها الحق في ان
تصرف كما تشاء لتبل أوام ما بها من البذخ والترف » ثم قال بعد ان سرد
لها مساوي كثيرة : « هذه الحالة النفسية (شديدة التهديد لمستقبل العنصر

الاميريكي قد وصفها بدون غلو ولا تقصير حيث لم أكن شيئا مما يتعلق باستعصاء هذا الداء الدوي . « اه ملخصا من مقالة حضرة فريد أفندي وجدي نشرت بالمؤيد الاغر بعنوان (نصيحة للباحثين في تهذيب المرأة) هذا وقد نقلت الينا جريدة الاهرام الفراء في عددها الصادر في يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ من مقالة افتتاحية عنوانها (المتكلمون وحكم انكليزي عليهم) خطبة لذلك الانكليزي وهو الفيلسوف الشهير المستر « بضي » اختتمها بدمه انتشار مذهب حقوق النساء السياسية في انكلترا ونصح لفرنسا أن تتجنب هذا الخطر . وفهم بعض السيدات الانكليزيات أنفسهن ان وراء مذهب حقوق النساء ما وراءه من الخطر على المجتمع الانساني فقامت من بينهم العالمة « مس فرنسيس لو » وناهيك بالمرأة الانكليزية علما وتربية ونشرت في مجلة القرن التاسع عشر رسالة اختتمتها بما يأتي كما عربتها لنا جريدة الاهرام الفراء في عددها الصادر يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ قالت بعد ان ذكرت أعمال المؤتمر الذي عقده بعض النساء بلوندرة في في هذا العام :

« ان مؤتمرا كالذي تقدم ذكره يؤدي الى زرع المداوة والبغضاء بين »
 « الجنسين اللذين يتألف منهما النوع الانساني لان كلا منهما قد وهبه الخالق »
 « عز وجل صفات ومزايا خاصة تمكنه من القيام بالعمل الذي أرصده له »
 « الطبيعة على مبدأ التعاون والتناصر فلذلك كان كل مسمى الى تحقيق »
 « سعادة أحدهما دون النظر الى سعادة النوع كله سعيا خبيثا يؤيده رأي »
 « فائل وأمل باطل . وكان المؤتمر بذلك يدل على ضيق مداركه وخطأ آرائه »

« وقلة فطنته لانه يسعى الى خلط النابل بالحابل وتشويش نظام الجمعية »
 « البشرية كلها وقلب شرائعها الالهية وقوانينها المدنية الانسانية رأسا »
 « على عقب : وما كان أحراه أن لا يلتزم له شمل اذا كانت هذه هي الغاية »
 « التي يسعى اليها والمبادئ التي يعول عليها » اه
 واتماما للفائدة نورد هنا أيضا ما كتبه في هذا الموضوع حضرة فريد
 أفندي وجدي ضمن مقالته السالفة الذكر قال :

« هل للمرأة أن تشتغل بأشغال الرجال »

« نحن اذا عرفنا حقيقة المرأة من أنها ذلك الكائن الانساني الذي أعدته »
 « العناية الالهية لحفظ النوع البشري واستدامته ووهبته سائر الخصائص »
 « والمواهب التي يقوى بها على أداء هذه الخدمة . ثم أدركنا جيدا ان هذه »
 « الخدمة لا جل أن تؤدي كما يجب تستغرق جل أوقات المرأة علمنا بدون »
 « أدنى شبهة ان المرأة لم تخلق لتعاطى أشغالا خارج بيتها الذي يأوي اليه »
 « صغارها المحتاجون في كل لحظة للعناية والملاحظة . ثم تحققنا تبعا لذلك ان »
 « لقاء المرأة بنفسها في معترك الحياة الخارجية هو تعدمها لحدودها الطبيعية »
 « ويجب أخذ جميع الوسائل الفعالة دون انتشار ذلك التمدي بالطرق »
 « الحكيمية الحافظة لسعادة الهيئة الاجتماعية . هنا يمكن ان يعترض علينا »
 « المعارضون قائلين : ألم ترتلك الشعوب الافريقية والاسيوية مثلا كيف »
 « تشتغل النساء مع الرجال كتفا لكتف ولولا ذلك لما استقام لسكان »
 « تلك البلاد مبيشة ؟ نقول نعم كل ذلك صحيح وهو مظهر من مظاهر »
 « أسر الرجل للمرأة وأثر من آثار حرمانه اياها من حقوقها الطبيعية »

«شأن القوي مع الضعيف . ونحن في مجال لا يجوز لنا ان نتخذ حال»
«الهمجية دليلا على نظرياتنا العمرانية ولو دقق المعترضون النظر لرأوا»
«ان السبب الرئيسي لتأخر تلك الشعوب في ميادين المدنية هو اشتغال»
«المرأة بغير وظيفتها وإلزام الرجل لها بترك أولادها تحت رحمة الصدف»
«والمقتضيات الطبيعية وهي غير كافية لا بل لاغ الانسان كماله المرجو له»
«والذي خلق لاجله ولذلك فان جهابذة علماء العمران يعتبرون طرو»
«عادة الاسترقاق على ما بها من فظاعة مبدءا من مبادئ الرق البشري»
«لأن حدوثه خفف عن عاتق المرأة أثقالها ووهبها من الدعة والراحة»
«ما يسمح لها بتنمية قوتها العقلية وتربية أولادها نوعا ما . هذه حقيقة»
«عمرانية يمكن الاصطلاح عليها في كتب علم الاجتماع البشري . اذن»
«لم يبق علينا الآن الا ان نثبت أن الحياة المدنية تنافي تعاطي النساء»
«أشغال الرجال . وهل لدينا دليل أصدق من الاستناد على مشاهدات»
«علماء العمران في هذا الشأن :

« قال الاستاذ (فريرو) البحات في أحوال الانسان وتطوراته : انه »
« يوجد في إنجلترا كثير من النساء اللواتي يتعاطين أشغال لرجال ويتركن »
« الزواج بالمرأة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث أي انهن لسن برجال »
« ولا بنساء لمنافتهن للاول طبيعة وتركيبا وللاخريات وظائف وأعمالا . »
« وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درساً مدقفا فوجد أنهن يتركن الزواج »
« وانتراعن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالامومة وما يتبعها قد تغيرت »
« أحاساستهن عن أحاساس بنات جنسهن وصرن في حالة من الكآبة »

« تشبه أعراض الما ليخوليا . فكان الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة على »
 « إغفالهن حقوقهن . ثم قال : « وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة »
 « هذا الامر المنافي للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتن للرجال صار »
 « بعضهن عالة على الجمعية لا يجدن ما يشتغلن به ولو تمادى الحال على هذا »
 « المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن . « هذا موجز ما كتبه ذلك »
 « الاستاذ ومنه يتضح للقارى اللبيب وجوب الحذر من تمهيد السبل امام »
 « النساء لتعاطي أشغال الرجال بالوسائل المادلة الكافلة لراحة الجنسين »
 « وليس ذلك بالعزيز علينا لو وقف بمضنا نفسه كما هو حاصل في اوروبا »
 « على درس دقائق علم الاجتماع وارشاد الحكومات لما يرونه أضمن لحفظ »
 « أجزاء الهيئة الاجتماعية . » اهـ

اذا تقرر ذلك وعلم ان المرأة أضعف من الرجل وان الرجل راعيها
 وأن لها عملا مخصوصا محدودا لا يصح ان تعتمداه فكيف يطلب منا ان
 نسوي بين من لم يسو الله بينهما ونخالف حكمته ؟ أليس الله هو الذي
 جعل حظ الرجل مثل حظ الاتنين ؟ أليس هو كذلك الذي جعل شهادة
 الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين ؟ وليت شعري ما ذا يقول الشرقي
 المسلم بعد أن يتدبر أقوال علماء العمران السالفي الذكر : أيصح أن يصير على
 فكره الاول من ضرورة احتذاء المرأة الشرقية شاكلة المرأة الغربية أم
 يلزمه أن يتخذ هذه الاقوال عبرة ويحملها وأمثالها نصب عينيه لتتمكن من
 وضع قاعدة حكيمة لتربية نسلنا على موجهها كي ينتجن النتيجة التي ينتظرها
 منهم كل محب لبلاده وجامعته المالية . وديننا فيه والحمد لله الكفاية للحصول

على ذلك كما ترى في الباب الثاني من هذا الكتاب . واذا كنا نريد بالنساء المسلمات خيرا حقيقة ورفقا فمأعلنا الا أن تتبع ما جاء في كتاب الله العزيز وفي أحاديث نبية الهادي الى الطريق المستقيم فانهما مع هذا الفرق بين الرجل والمرأة في التركيب الطبيعي وفي الطبائع والحقوق ومع تقسيم العمل والوظائف بينهما قد حشا على حسن معاملة النساء والرفق بهن والاستيضاء بهن خيرا بآيات وأحاديث مسطورة في كتب السنة المعتمدة . وكما جعل الله سبحانه وتعالى حقوقا للرجل على المرأة طالب الرجل بما لا يقل عن تلك الحقوق بالنسبة لامراته كما هو معلوم أيضا تتوفر أسباب السعادة والوفاء بينهما . علي أن من أنصف سلم بأن المرأة عند أغلب المسلمين الآن وقبل الآن هي صاحبة الامر والنهي في بيت زوجها والقول قولها . وكم من رجل لا يمكنه أن يبدي أي رأي أو يعمل أي عمل الا بعد أن يشاور زوجته وان يكن في قلبه من مشوراتها حشرات وغصص لجهالته المترتب عليها طبعاً جهالتهما . ولنختم هذا الباب بذكر مائج عن تحرير المرأة في أوروبا ليتحقق لذي عينين ان كان يليق بنا أن نقندي بالاوروبيين في ذلك أم لا :

ماهي نتائج تحرير المرأة في أوروبا

قال حضرة فريد أفندي وجندي تحت هذا العنوان : لانظن ان « المرأة قاست من آلام الاسرفى بلد مثل ما قاسته في أوروبا من أول « أدوارها لنهاية القرن السابع عشر . ونحن هنا لانودان تتوسع في بيان « النفاطم التي كانت تعامل النساء بها في تلك البلاد الغريبة . وليكنا نقول « اجمالاً ان المرأة كانت هنا لك تعد من ضمن المعجماوات سواء بسواء . بل «

« ربما كانوا يكرمون العجاوات أكثر منهم في بعض الاحوال . »
 « فان أماننا الآن من أخبار القرون الوسطى انهم كانوا يحرمون على المرأة »
 « أكل اللحوم ويجبرونها على ملازمة المآكل النباتية كما يمنعونها من الضحك »
 « والكلام . ولكننا نر من أخبار تلك القرون انهم حرموا على الهرم تناول »
 « اللحم أو حرموها من اللعب والقفز أمام من يقتنيها . نعم بلغ أسر المرأة »
 « في الغرب الى درجة وحشية جدا حتى تطرف كثير منهم وزعموا ان المرأة »
 « ليست من نوع الانسان بل هي من نوع وسط بين الحيوان والبشر . »
 « والف أحد علمائهم في ذلك كتابا سماه هل للمرأة نفس ولكن لما ترقى »
 « المدارك ولطت الاحساسات أدرك الرجل شدة هضمه لحقوق المرأة »
 « فأخذ في اطلاق العنان لها شيئا فشيئا وساعد على ذلك فشوة الاتحاد في »
 « بعض الطبقات تحت آثار التعاليم المادية التي انتزعت منهم كثيرا من »
 « الكمالات الانسانية فالت النفوس الى الشهوات البهيمية واستلزم ذلك »
 « التفاضل عن تبرج النساء فقوي شأنهن تدريجا حتى قن في السنين الاخيرة »
 « (تحت حماية الرجل) يؤلفن الجمعيات للمطالبة بحقوقهن المضمومة التي »
 « تحولن على زعمهن التربع في دسوت الوزارات وتقلد المراكز السياسية »
 « لقيادة الشؤون الاجتماعية . وليت الامر وقف عند هذا الحد بل سرى »
 « فساد الاخلاق اليهن سريانا ينجل الكاتب من سرد وقائمه الشائنة »
 « وتعداد حوادثه المخجلة »

« ألم تر ان المرأة التي كانت محرمات عليها كل اللحم صارت تشاطر الرجال »
 « في الجلوس على المتديبات العمومية ؟ ألم ترها بعد ان كانت محجورا عليها »

« غير الصلاة وطاعة زوجها طاعة عمياء قد صارت الآن تحسوب بنت الحان »
« على رؤوس الاشهاد حتى لا تجد في ساقها قوة توصلها الى بيتها الذي فيه »
« صغارها فتطرح نفسها على أفاريز الطرقات وهي مكسرة لا تستطيع »
« حرا كما فيحملها رجال البوليس لتبيت في الضابطة . فقد دل الاحصاء في »
« بعض البلاد المتقدمة على ان البوليس يجد فيها سنويا ما يزيد عن العشرة »
« آلاف امرأة ملقاة في الطريق ثملا . ولتكن وقفن عند هذا الحد المدهش »
« فان بعض المتعلمات منهن قد فقدن فضيلة الحياء لدرجة صرن يؤلفن »
« الكتب يندون فيها بمادة الزواج مدعيات انها من آثار الوحشية الالى »
« قائلات ماهذه العادة السيئة التي تحرم المرأة من التمتع ببلاغ عواطفها »
« الحسية مشتهياتها ؟ ماهذه التقاليد التي تربط المرأة بالرجل ارتباطا دائما »
« فتجبرها على ملازمة رجل فيسحق في عينها رؤيتها من هو أجمل منه ؟ ماهذا »
« الرباط الحديدي الذي يمنع المرأة من ان تنصاع لاميال فؤادها السريع »
« التقاب الكثير الاحساس بالانفعالات المختلفة ؟ كلا . يمار على الهيئة »
« الاجتماعية ان تذر هذه التقاليد القديمة حية للآن ويجب على ربات الجمال »
« ان يبذلن وسعهن للتخلص منها بكل الطرق الممكنة . هذه كلها مقولات »
« بعض المتغاليات من نساء العالم المتقدم وهذه الحالة قد أقامت علماء العمران »
« وأقعدتهم وجعلتهم يتوقعون انهدام عظمة أوروبا بيد المرأة الضعيفة اذا »
« لم يتوصلوا الى ايقافها عند حدها »

« قال المسيو (جان فينو) مدير مجلة المجلات في فصل ذكر فيه غلواء »
« النساء في الحرية والمصائب التي جرتها على المدنية : « نقول بنهاية الاسف »

« ان المرأة التي بواسطتها تهذب أور وباستكون هي نفسها هادمة تلك المدنية »
« الزاهرة يديها بازاء هذه النزغات فان عقلاء القوم لا يدرون كيف »
« يوقفون سير هذا التيار الشديد الاندفاع الذي ابتداءً يجرف أمامه كل »
« الكمالات الاخلاقية التي بنيت على أساسها عظمة العالم المتقدم . »
« قال الكاتب الشهير (جول بوا) بعد سرده مساوي المرأة في مجبوحة »
« الحرية : « وبانتظارنا على هذه الحالة ستثني المرأة تحت سلطة جرائدها »
« وصناعاتها وفلسفتها التي لم تحسن استنتاجها للآن . فترى أفكارنا قد تشبعت »
« باخلاقها السامة التي تبعث النفوس الى البذخ البالغ حد الجنون والسفه . »
« فهي لا تقتنا تحب الينا البطالة وقلة النظام وتبرهن لنا على انه يجب على »
« الانسان ان يتسفل في آمياله لكي يصل الى معالي الامور . » هذا قول »
« كاتب من فطاحل كتابهم وما يقوله غيره في هذا المعنى لا يدخل تحت »
« الحصر فلا لزوم للاستزادة منه في هذه المجالة . ولا يحسبن القارىء ان هذا »
« ناشئ من حسد الرجال للنساء على ما نلن من حرية فان عقلاء هن ايضا قد »
« أدركن هذا الفساد ووخامة عاقبته فقمن ينصحن لآخواتهن بالاعتدال »
« والتوسط في أمورهن ولا يتأخرن عن اظهار ما يختلج بضمائرهن لمن »
« يسئلهن عن آرائهن . واليك معنى ما قالته احدى الماقلات للمسيو (جول »
« بوا) بعد ذكرها أحوال النساء : هذه الحالة هي مهواة جنس من »
« الاجناس ونهاية جيل من الناس لم يفكروا الا في شهواتهم البهيمية حتى »
« انتهى بهم الامر الى حد اليأس المهلك . الى ان قالت : « ان داء الضجر »
« العضال يتناثرا معشر النساء المتبرجات جميعا وان اذكنا ندرك ساعة هدوها »

«انها غير صالحة لشيء ما. أرح نفسك فانا سنتلاشى بهدوء وسكينة بدون»
«مقاضاتنا أمام العدالة وان كل مالنا من جمال ورواء سيصير أثرا بعد عين.»
«هذه شهادة امرأة عاقلة على بنات جنسها ممن يتغالين في الحرية والترف.»
«فهل بعد هذا يجوز لنا ان نحتذي حذو أوروبا في هذا الشأن الخطير؟»
«أليس يجب علينا بعد هذه المشاهدات ان ندرس هذه المسألة جيداً ليتضح»
«لنا مشار الفساد الذي جرته أوروبا على نفسها ولم تستطع ان تصدم تياره»
«بما لديها من وسائل وحكمة؟ نعم ان هذا من أوجب الواجبات علينا.»
«قبل ان نخطو خطوة واحدة في سبيل إعطاء المرأة حقوقها لان العاقل»
«من يتعظ بغيره.» اه

واذ قد علنا ماهي المرأة وماهي حقيقة وظيفتها وانها راعية على بيت
زوجها حافظة لامواله مربية لاولاده فلنبحث الآن فيما يلزم أن تكون
متخلقة به وفيما يلزم أن تتعلم لتؤدي وظيفتها المطلوبة منها خير تأدية فنقول:

الباب الثاني

«ما ينبغي أن تكون المرأة متخلقة به.» ويدخل في هذا البحث
«ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها.»

الفصل الاول

تمهيد — تسليم الكل بوجوب التربية — حالتنا الحاضرة
في التعليم والادب — مداواة الحالة الحاضرة

تمهيد — من المعلوم المقرر انه متى صح التواد بين الزوجين توفر

الهناء وتمت السعادة وتبادل الاحترام بين جميع أفراد العائلة وساد الوفاق
وامتنعت أسباب الشقاق وكان الامر بينهم شورى . فما أحسن الزوجين
المتتمعين في منزلهما بالسعادة والهناء وبحسن ادارة المنزل وما أحسن الزوج
الذي يحسن ارضاء زوجته والزوجة التي تحسن ارضاء زوجها

ومعرفة ارضاء أحد الزوجين للآخر فن دقيق لانه يستدعي كمال
التربية واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين أحوال المنزل المشترك
بينهما وتنظيمه وترتيبه بقدر ما يمكن ومعرفة لاعتناء بالوسائل التي تستدعيها
الصداقة بين الزوجين لا شترا كهما في المنفعة العمومية . فروابط الوداد
الا كيدة بين الزوجين يتولد منها ثقة عظيمة في أفعالهما وأقوالهما وجمع قلوب
بعضهما على بعض فيكون كل منهما قوي الوداد شريف الفؤاد . فاذا حصل
التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة التي قضت بثبوتها الزوجية واقتدى
الاولاد بالوالدين في المحبة المتبادلة وفي الاشغال المنزلية الموجبة للعمران .
وكان نساء السلف اذا خرج الرجل الى عمله يقلن له : « اتق الله ولا
تكسبن الا من حلال فاننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار . » وهم
أحدهم بالسفر فقال جيرانه لزوجته : « لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة
فقلت زوجي منذ عرفته عرفته اكلًا وما عرفته رزاقًا ولي رب رزاق :
يذهب الا كالويبقى الرزاق) هذه عبارات لو نظرها الانسان بعين الانصاف
لوجد لها صالحة لان تشرح بمجلدات تقوم عليها دعائم السياسة ونظام الملك
تسليم الكل بوجوب التربية - لذلك اهتم كل الامم بتربية البنين والبنات
وتهذيب أخلاقهم . ووجوب التربية أصبح مسلما به من الموم ومن

البديهيات التي يعترف بها كل قاص ودان . ومع ذلك كثرت المباحثات واشتغل العلماء والافاضل في هذا الموضوع لا لاثبات لزوم ذلك بل لبث الرغبة أو الرهبة أو كاتيهما في الناس لأن حب الخير وحده ليس كافيا في سعادة الاعمى بل لابد من العمل هداانا الله اليه .

ولم يقتصر الاسلام في ذلك كما يظن خصومه الذين يدعون أن لا تربية عند المسلمين خصوصا للبنات إما لاعتنا لغاية في النفس يريدون قضاءها أو جهلا منهم بأحكام الشريعة الفراء خصوصا ما يتعلق منها بمكارم الاخلاق وأحكام المعاملات بجميع أنواعها فيفترون بما يشاهدونه من سوء الاعمال وفساد الاخلاق وخرق سياج المروعة بما تأباه الانسانية فيظنون ان هذه المنكرات مقتضى الشريعة الفراء وصريح القرآن الكريم ويستنتجون من ذلك ان الدين الاسلامي الذي فيما يظنون هو هذه المنكرات انما هو امارة الدمار والموءذن بالبوار وانه عنوان الخراب وأبعد الاشياء عن نظام الممالك وعمران البلاد الى آخر ما يرمونه به مما هو منه براء

وليس الغريب جهل هؤلاء القوم أو عنادهم انما الاغرب منه ما شاهدناه من بعض جهالنا الذين يكادون ينكرون البديهيات اذا قالها القرآن ويدعونون للمستحيالات متى عزيت الى المسيو والمستر فلان..... والله في خلقه شؤون . ومن نظر بعين الانصاف وجد ان في الشريعة الاسلامية من الحث على علو الهمم وكسب المعدوم وطلب المعالي والتزهد عن سفاسف الامور وعن ان يكون المرء عالة على الناس ما لا يسمه هذا الكتاب . وكذلك فيها من آداب سنية وأخلاق زكية تضمن اصلاح النفس والجسم وحسن

التربية والاخلاق ما يكفي لممارسة الممالك وضمن السعادتين الدنيوية والاخرية. وكان السلف يمدون ابناءهم عليها فيشبون عليها فيأخذها عنهم أبناءهم وبذا أصبحت الدنيا لهم ولم تول عنهم الا يوم تولوا عن الدين وحادوا عن مبادئه ولم ياتمروا باوامره ولم ينهوا بنواحيه . يوم أهملوا تربية الاولاد التربية الحققة . التربية التي يقتضيها الدين . التربية الصحيحة التي تنطبق تمام الانطباق على أحكام القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . يوم دهمتنا المدنية الغربية على فجأة بعد ان هبطنا من عظمنا الاولى وظللنا قرونا عديدة تتوزعنا الفتن وتتقاسمنا الاحن فاحدث لدينا ذلك الانقلاب الفجائي دوار اجتماعيا جعلنا نتخبط في سيرنا ونضطرب في أعمالنا على غير هدى . يوم دهمتنا المدنية الجديدة على ما بها من بهجة ظاهرية فظننا ان ذلك منتهى ما يدركه الانسان من الكمال فالتقينا أنفسنا في مضمار التشبه والتقليد وتسايقنا في باحات التكيف بما توهمناه أصولا لذلك الكمال البشري فهبطنا الى دركة أدنى مما كنا فيها وأي هبوط .

يوم جهلنا ان الذي جاء به الاسلام من الاحوال والاحكام هو الذي مدن بلاد الدنيا على الاطلاق، وانبعثت أنوار هديده في سائر الآفاق، أيام كان الناس عاملين باحكامه فنبدنا أصوله وانقدنا لاهوائنا وأهواء غيرنا فكان جزاؤنا ما أصبحنا فيه من الفشل والاختباط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأت نبي قبلي ولو كان أخي موسى وسائر الانبياء في زمني لم يسمهم إلا اتباع شريعتي »

فاذا كنا نريد اصلاحا حقيقة المجتمة منا فما علينا الا ان نبني كما كانت اوائلنا

تبني ونفعل مثل ما فعلوا ونعمل على تربية أبنائنا تربية صحيحة حتي يأتي يوم نعيد فيه اذا استطعنا مجد آبائنا ونحصل على السمادة الداخلية والخارجية والهناء في الدارين .

وحيث كان الاطفال ذكورا وإنا نحن محتاجين للتربية - لانه لا يوجد أحد يسلم بان التربية الحاصلة الآن للذكور كافية وكافلة لتخريج رجال يصح ان يكونوا للنساء مربيات التربية الصحيحة التي ندعو اليها ويا مربيها الدين ولا ان يكونوا آباء يهذبون ويقومون أخلاق أبنائهم ويربونهم تلك التربية المطلوبة - فلذلك وجب علي كل من يرغب في تحسين حال البلاد ويفارع علي امته وملته ووطنه ان يسعى جهده في الوصول الى هذه الغاية . وياليت اللجنة أو الجمعية التي أشارت الي تشكيها الجرائد لتحرير المرأة الشرقية تقوم وتشكل لتبحث في إيجاد النجع الطرق وأساليبها لتربية البنات والبنين معا التربية الصحيحة الاسلامية . وياليتنا جميعا نقوم من غفلتنا ونهب من رقدتنا بعد ان صرنا في حالة من الجهالة وفساد الاخلاق يرثي لها العدو وقبل الصديق فنعمل بما يفرضه علينا ديننا ونقوم بما علينا من الواجبات لابنائنا . ولا غرو فالسبب الاصلي في كل هذا البلاء ملق علي عواتقنا وعواهننا ونحن مسئولون أمام الخالق سبحانه وتعالى عن تركنا بناءنا منذ نشأتهم ضحية للتغيرات الجوية والتقلبات الوسطية والاضاليل والترهات القولية بدون مراعاة أي ناموس من نواميس التربية الصحيحة . وامر الحق ماذا عملنا ؟ قصرنا عن إيجاد نسل صالح للعمل عقلا وجسما !! اطلقنا العنان لاطفالنا وهم بين حجبورنا في الكسل والرخاء والتنعم والترف وغيرها من العوامل التي تنزع من النفس

سلطات المروءة والنخوة فترتب على ذلك انه انطبع في جوهر مخمهم تلك المبادئ الفاسدة ونمت مع تلك العيوب التي تشربوها في صغرهم !! غفلنا عن كل ما هو في مصلحتنا . واهملنا تربية اولادنا فاصبحت حالتنا في التعليم والآداب كما يعلمها الكل ولا ينازع فيها أحد غير ملائمة لمصلحة الامة من كل وجه وخصوصا المسلمين منهم بعد ما أغفلت الحكومة العناية التي كانت لها قبل بامور الدين !! أصبحنا في حالة الاملاق والحقارة : لا اقدام . لا نشاط . لا فضيلة . نخبط خبط عشواء !! أصبحنا متفانين في استهلاك شرفنا و ثروتنا وجسمنا وعقلنا وكل فرد منا يشكو لآخيه تقهقره وسوء حاله ويلقي تبعة ذلك على غيره ولا يدري انه أول الناس في اهمال واجبه الاقدس !! وكثيرا ما ترى المتنور منا يصف لك الملاج الشافي وصفا جيدا ولكنه لا يجربه لنفسه . واذا لاحظت عليه ذلك أجابك لسان حاله بقول القائل :

فخذ بعلمي ولا تركن الى عملي * ينفعك علي ولا تضرك أوزاري
وما ذلك وايم الحق إلا خطأ محض فان النصيحة لا يكون لها تأثير
حتى تصدر عن حر الطبع فني الصنع بالقضائل بصير عامل بما يقول .

حالتنا الحاضرة في التعليم والادب

أما كفانا عارا أن تكون آدابنا على ما بينا وعلى ما جاء بجريدة المقطم
الاغري عدد ٩ الصادر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ بمناوان آداب الامة عنوان مجدها
ولما احتوته هذه المقالة من فوائد جمة في هذا الموضوع ننقلها بلفظها . قالت
« لانكاد نسمع بأمة بلغت ذرى العلياء حتى أنافت على السما كين »

« منزلا الا كان الادب لها رائدا ونريد بالادب هنا ممناه اللغوي أي ما »
 « يحترز به عن جميع أنواع الخطأ أو هو ملكة تعصم من قامت به عما »
 « يشينه كما عرفه صاحب المحيط فهو صولجان كل مملكة . وتاج كل رئاسة . »
 « وفخر كل أمة . بل هو لدعامة الكبرى في نجاح كل أمة وتقدمها »

« وهذا الكاتب الفرنسي الشهير المسيو ادمون ديمولان عند »
 « ما حاق بامته من التأخر والانحطاط بالنسبة الى الامة الانكليزية جارتها »
 « أعمال فكرته وأجهد قريحته حتى وقف على أسباب ذلك التأخر فجمعها »
 « في كتاب ونشره على أمته تنبيها لها من غفلتها وإيقاظا من رقدتها وهو »
 « الكتاب المشهور بسر تقدم الانكليز الذي ترجمه حضرة العالم الفقيه »
 « والمنشئ البليغ أحمد بك فتحي . ولقد وجد هذا الكاتب الشهير بعد »
 « البحث الدقيق ان السر في نجاح الامة البريطانية هذا النجاح الذي لم »
 « تبلغه أمة من الأمم الخالية والحاضرة آداب أفرادها وحسن تربيته »
 « البيتية الى أولادهم متبعين في ذلك قول الحكيم (رب الولد في طريقة »
 « فتي شاخ لا يحيد عنها) ويظهر تقدير الأمة الانكليزية للفضيلة »
 « واحتقارها للرذيلة من سقوط بارنل رئيس الحزب الارلندي السقوط »
 « الهائل وهو اذ ذاك معادل لشيخ الحرية المرحوم المستر غلادستون في »
 « مكانته . وذلك لاشتهاره بالزنا حتى بلغ به الامر ان عرض على رجال »
 « الصحافة مائة الف جنيه لكيلا يذكروا اسمه في صحفهم فابت الفضيلة »
 « التي ربوا عليها الا أن يشهروه على صفحات الجرائد تشهيرا ليكون »
 « عبرة لغيره وليقوموا بواجب الخدمة العمومية التي ندبوا أنفسهم لها »

« فعملوا وهكذا سقط . ولا يظن القارىء الكريم ان ذلك محصورين »
 « الطبقة العالية فيهم بل هو قد تناول افراد الطبقة لدنياً ايضاً »
 « واذ كر ان عسكرياً انكليزياً ركب المركبة الكهربائية وهو ثمل من »
 « الشرب لا تكاد تحمله رجلاه وجلس على المقعد الذي أمامنا ولم يكد »
 « يستقر به الجلوس حتى صعدت سيدتان مع ولدين لهما الى حيث هو »
 « جالس فنهض مسرعاً وأجلس أحد الولدين موضعه اذ لم يكن في المقعد »
 « متسع لجلوسهم جميعاً وظل واقفاً وهو في أشد التعب حتى بلغت المركبة »
 « منزله العباسية »

« وأين مافعله هذا الجندي وهو في حالته تلك مما يفعله بعض ادبائنا »
 « الذين شاركوا الغواني في لباسهن والمخنثين في أخلاقهم من ارتيادهم »
 « الطرقات والمتنديات وهم كل مارأوا سيدة عارضوها في طريقها »
 « واسمعوها من بذاءة أفوالهم ما يحمرله وجه كل حر خجلاً . وأنكى »
 « من ذلك وأشد وقاحة شراؤم الصور القبيحة وبراها أمام كل مخدرة »
 « يلتقون بها فتأخذ تلك المسكينة الرعدة من هذه السفالة ولا يزالون »
 « في أثرها حتى تلج حانوتاً أو تركب مركبة تخلصها من شرهم فيغربوا اذ »
 « ذاك في الضحك مقهقين ولا فقهية القروء سرورا بما أتوه من »
 « الشهامة والنبالة »

« وهناك نوع آخر من الوقاحة يستعمله بعض ركاب المجلات »
 « وهو انهم كلما رأوا سيدة خارجة في مركبتها للتنزه ساروا بحذائها »
 « حتى يضطروها الى اسدال ستار كوة المركبة فراراً من نظراتهم السفالة »

« وهي نهاية في الحطة وفقد الشرف. ألا يذكر هؤلاء الأغرار ان لهم »
 « امهات واخوات ؟ فكيف اذا خرجن ونالهن من مثل ذلك مانال »
 « غيرهن منهم !! فاذا لم يكن لهم وازع من دين ولاناه من أدب فخشية »
 « ان الكيل الذي به يكيلون يكال لهم به وازيد »

« هؤلاء غير رجال وخط الشيب رأسهم تجدهم عصاري كل يوم »
 « في محطة الكهرباء العمومية يركبون القطار ذهابا وجيئة وليس لهم »
 « من ارب في ركوبه سوى تهتكهم وابداء سفالتهم لكل امرأة يجذونها »
 « في القطار وحدها ولا رجل معها »

« ولما كان لا يرجي من رجال البوليس ان يراقبوا أمثال هذه »
 « المنكرات لانهما كهم في اشغالهم الخصوصية وجب على الجرائد الوطنية »
 « على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها ان تنفق على مطالبة الحكومة »
 « بان تجبر شركة الترمواي على التيام بما تكفلت به واشترطته على نفسها »
 « من جعل عربات خصوصية للنساء ويظهر ان الفئة التي عارضت سعادة »
 « العالم الاصولي قاسم بك امين في رأيه الذي ذكره في كتابه « تحرير »
 « المرأة » عن احتجاج النساء وتمنيه ان يكن عندنا مثل ما هن عند »
 « الغربيين مصيبة في معارضتها مادام عندنا شبان هذا مبلغهم من »
 « الآداب : وهم لسوء حفظ مصر غير قلائل »

« وربما اخذ البعض العجب عند قراءتهم خبر الصور المغايرة »
 « للآداب وعمما يفعل بها لانهم يتذكرون ان وزارة الداخلية أصدرت »
 « قرارا بمنع بيعها وسنت عقابا لمن يخالف أمرها . ولكن ذلك العجب »

«يزول عند ما يعرف القارىء الكريم ان تنفيذ هذا القرار موكول»
 «أمره الى رجال البوليس وهم كما يعلم الجمهور لا يعرفون من واجباتهم»
 «(أولا يريدون ان يعرفوا) سوى معا كسة باعة الفاكهة اذا لم يستجلبوا»
 «رضام ومخالفة الخوذين اذا لم يتقدموا الجمل المعلوم وما سوى ذلك»
 «فهو عندم رجس من عمل الشيطان يجتنبونه»

«ولما كان الحث على الفضيلة والنهي عن المنكر من أخص واجبات»
 «الصحف ومن أجل الخدمات التي تقدمها للوطن وبنية سيما ما يحط»
 «بشأنه ويحقر ابنائه في أعين الاجانب من مثل القفال التي مر الكلام»
 «عليها فخذوا منها تنفق على ايجاد طريقة فعالة لكبح جماح هؤلاء»
 «الأغرار انتصارا للفضيلة اذ هم انجب ابنائهم وشيعة أمثالهم البر لا»
 «المقوق والسلام»

مداداة الحالة الحاضرة — مما تقدم ينتج انه ليست تقوم لنا قاعة
 الا اذا سعينا في تحسين التربية والتعليم وجعلناهما ملائمين لمصلحة الامة من
 كل وجه وبجمل بنا ان نورد هنا كل ما لحضرة صاحب تحرير المرأة قال:
 «وقد آن الوقت على ما أظن لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية»
 «تربية تنشئ رجالا أولي علم واصالة رأي يجمعون بين المعارف»
 «والاخلاق والعلم والعمل . تربية تنفذنا من جميع العيوب التي يقذفنا بها»
 «الاجنبي في كل يوم وبكل لسان وكلها ترجع مهما اختلفت في الاسم الى»
 «سبب واحد وهو النقص في تربية نفوسنا وقد اتفق جميع أهل النظر في»
 «مصر على ان التربية هي الدواء الوحيد لذلك الداء وانتشر هذا الرأي»

«الصائب في الكتب والجرائد وأحاديث المجالس حتى صبح ان يقال انه»
«اصبح رأيا عاما وتولد عن ذلك شعور بأن مستقبل الأمة تابع لثريتها»
«ولكن أرى همم الناس موجهة الى التعليم ولا أرى أحدا يلتفت الى»
«تربية النفوس وأرى ان الحرص على التعليم منحصر في تعليم الذكور»
«مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على»
«تعليم الذكور»

فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدا ولكن
لا يؤخذنا اذا كنا نخالفه في أمر واحد فيه وهو اننا نعتقد ان التهذيب
واجب للذكور وللبنات معا لا تقديم للبعض على الآخر أو اذا كان هناك
سبب لتقديم تهذيب البعض فليبدأ بالذكور لاثننا نرى ان الرجل المربي
المهذب يمكنه ان يجعل امرأته على خلقه ويطبعمها بطبعه

وعلى ذلك تكون تربية البنات تابعة لتربية الذكور لأن الأب هو
المسئول عن حالة عائلته الاخلاقية . كيف لا وهو رئيسها وراعيها - والرعية
على دين راعيها - ومن المقرر أن أخلاق أهل كل منزل وعوائدهم مكتسبة
من أخلاق رب المنزل وعوائده فان أكثر من الموبقات والملاهي وأنواع
الشهوات سرى ذلك في بيته وعائلته وذريته :

اذا كان رب البيت بالدف مولعا * فشيعة أهل البيت كلهم الرقص
وان استقام وقام بما يجب عليه حق القيام تبعته عائلته وذريته وحاشيته
وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ويؤيده حالنا في هذه الأيام .

فيا علماء الأمة واذكياءها وياسراتها وعقلاءها منكم يطلب تعريف الآباء

واجباتهم وذلك لا يكون الا بفتح المدارس المعدة لتثقيف عقول النشأة الجديدة ولا يكفي أن يتعلموا فيها اللغة والرياضيات بل يجب أن يدرس لهم ذلك العلم الاساسي وهو فن التربية الحقيقية علميا وعمليا فليس العلم الصحيح بكثرة الرواية انما العلم بالخشية على أصول دينية ونصائح أدبية وبأن يهيا الطفل ذكرا كان أو أنثى للفضائل وبتعريفه واجبات الحياة ووظيفة الانسان فيها .

وللملاءمة التعليم لمصلحة الامة يجب أن يكون أساس التعليم في المدارس الاهلية التي تؤسس اللغة العربية وأمور الدين وآدابه التي أهملت في المدارس الاميرية مع المشي في اللغات الاجنبية والعلوم الاخرى بالنسبة للذكور حذوتلك المدارس وبذلك يكون التعليم في المدارس الاهلية مطابقا لمصلحة الامة من جميع الوجوه وبمدهذا وذلك يجب أن ينظر الى مستقبل المتعلمين وهما نحن نرى الوظائف أصبحت أضيق أبواب الرزق لهم فلا بد من مخرج آخر وهو لا يكون الا بالترشيح للاستقلال في العمل الحر أيا كان والدنيا مجال فسيح لا بناؤها العارفين وسجن ضيق للجاهلين . واذا وفق الله بعض أسخياء الامة لانشاء مدارس صناعية كانت لا بناؤها منها حياة جديدة . ولكن النتيجة الحقيقية التي يستلزمها نجاح التعليم انما تكون سرية لو وجدت (ادارة معارف أهلية) تقبض على أزمة المدارس الاهلية وتسير بها في طريق واحدة تضمن لها الغاية التي يطلبها الجميع وعسى أن يأتي يوم يسمع فيه هذا النداء وتجاب فيه الدعوة لها وما ذلك على الله بعزيز وقد كان بودنا أن تكون الحكومة مساعدة على اصلاح أخلاق

الامة ولكن يظهر ان الامل في ذلك قليل مادام الحال كما نرى فانه من المقرر الثابت ان أغلب الناس لا يرتدعون عن غي أو عن فعل قبيح الا خوف الوازع القوي أو العقاب الديوي ولذلك نرى الناس من يوم أن أمنوا عقاب الحكومة اهم على مخالفتهم واجبات ديانتهم قد دخلوا برقع الحياء فصنعوا ما شاؤوا وانتكروا حرمة الادب والدين ومع ذلك تراهم يتجنبون ارتكاب مخالفة بسيطة خشية الوقوع تحت طائلة العقاب الذي سنته الحكومة لهذه المخالفة . وحيث ان مالا يدرك كله لا يترك جله والطشاش خير من العمى كما يقال في الامثال السائرة فياليت كبراءنا وسراة أمتنا وأفاضل علمائنا يتفقدون على البحث عن الحكمة أينما وجدوها علما وعملا لينشروها بين الامة اثمارا بقوله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ولا شك ان سائر الامة تقدمهم وتتشبه بهم في طيب العلم الشرعي والعمل به واقامة العدل والقسطاس والتخلق بمكارم الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور فتصطبغ أمتنا المصرية بصبغة الدين القويم ويستقيم معوج الاخلاق وحينئذ يسهل وجود المعلمين الاكفاء ويصير في استطاعة كل واحد أن يربي أولاده ويطلع زوجته بطبعه كما قدمنا

ولعمد الحق ليس ذلك صعب المنال على من يرغب في تحسين حال بلاده ويوقف نفسه خيرا وعزها فطرق الوصول كثيرة متيسرة لكل باحث ولكل طالب فان الحقيقة بنت البحث وكل من سار على الدرب وصل . فقد كفى المسلمين اعراضا عن دوائهم واغضاء على داءهم وكفى

عاراً على مستنيري هذه الامة ان تبقى حقائق دين الله مخبئة في مطاوي
مجلداتها وهم مغرورون بزخارف افكار البشر مما يسمونه بالنظريات الفلسفية
اللهم ان المسلمين عن أسرار دينهم لمحبوبون وعن بدائمه اللاهون فبهم
اللهم ميلاً الى ترويض نفوسهم في حقائق دينك السرمدي وقانونك
الابدي وهب اللهم بصائرهم قوة تتمهم من دينهم بما تمتع به آباؤهم
الاقدمين انك رحيم بالمؤمنين

ولعمري ليس يتم لهم ذلك الا بتربية النفوس وحفظها من الامراض
ولاسبيل لذلك الا بتطهير النفوس من أدناس الاوهام وتهدئتها بالمعلومات
الصحيحة وتعويدها على مكارم السجايا وتصحيح اعتقادها . والاسلام
تكفل بكل ذلك كما لا نزاع فيه ولا مربية فلنرجع الى أحكام ان كنا نريد
لا نفسنا خيراً حقيقة : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

❦ الفصل الثاني ❦

التربية الصحيحة — تقسيمها الى ثلاثة أنواع : الرضاة بالابان وتقويم الاخلاق
وتربية العقول بالمعارف والعلوم — طرق التربية الصحيحة
— النوع الاول — النوع الثاني — النوع الثالث

التربية الصحيحة — عرف بعضهم التربية بأنها تنمية أعضاء المولود الحسية
من ابتداء ولادته الى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية
فهذا انقسمت التربية قسمين : حسية وهي تربية الجسد ومعنوية وهي
تربية الروح ومع ذلك فان لتغذية الطفل ثلاثة أنواع من الغذاء مختلفة

الموضوع : الاولى تغذية المراضع للاطفال بالالبان . الثانية تغذيتهم بارشاد المرشد بتأديبه الاولى للاطفال وتهذيب أخلاقهم وتعويدهم على التطبع بالطباع الحميدة والآداب والاخلاق الفاضلة . الثالثة تغذية عقولهم بتعليم المعارف والكمالات وهذه وظيفة الاستاذ المربي كما ان ما قبلها وظيفة المرشد المتولي أمر الصبي . فالنسبة بين الرضاع والتربية الاولى والتربية الانتهائية كالنسبة بين المروض والمربي المرشد والاستاذ . فكما أجاد المربي جادت التربية فالتربية بأنواعها الثلاثة وان كانت تظهر بيادى الراى سهلة بسيطة لا تحتاج الا الى عمل يسير الا انها فى الحقيقة وعند التأمل تستدعي عظيم اهتمام وعناية وسلوك أصول مقررة وآداب محررة ويضاف الى ذلك ما يحتاج اليه المراضع والمربون والاساتذة من قوة محبة الاطفال ومعاملتهم معاملة من طب لمن حب

وقد أنتج هذا ان التربية فن تنمية الاعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشري ذكرنا اننى طبق أصول معلومة يستفيد منها الصبي هيئة ثابتة يتبعها ويتخذها عادة وتصير له دأبا وشأنا وملكة فالتربية المعنوية حينئذ هي فن تشكيل العقول والنفوس البشرية وتكليفها بكيفية حسنة مألوفة وغايتها إيجاد ملكة راسخة فى الصغير تحمله على التخلق بحسن الاخلاق حسب الامكان بحيث تحصل من هيئة تربيته الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة ويسر . ثم ان التربية لا تقيد الصبي الذكاء ولا الألمعية فان هذه الصفات هي فى الاطفال غريزة طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتحسن الادراكات والتربية الاولى فائدتها ان يعتاد الصبي

على أن ينقاد بطبعه الى ما يريد منه مؤدبه ويختار له مرشده فغايتها المطاوعة وهذا النوع كما يكون في الانسان يكون في الحيوان بترويضه وتربينه على الاطاعة . أما تنمية العقل التي هي غذاؤه بالمعارف المعقولة المقبولة كتغذية الجسم بالطعام فهي خاصة بالانسان فالتربية المعنوية تزيد في تنمية عقول الاطفال بالمعارف وحسن الاخلاق على التناسب من حسن ادارة المرشد والمعلم فهذا يقال لمن اكتسب المعارف الجيدة والاخلاق الحسنة انه حسن التربية . وحسن تربية الآحاد ذكورا واناثا وانتشار ذلك فيهم يترتب عليه حسن تربية المجتمع الانساني وهو الامة بتمامها . فالامة التي حسنت تربية أبنائها واستعدوا لنفع أوطانهم هي التي تعد أمة سعيدة وملة حميدة . فبحسن تربية أولادها والوصول الى طريقة اسماها لا تخشى ان تأمن ابنائها على اسرار الوطن ولا على ما يكسبها الوصف الحسن بخلاف سوء التربية اذا انتشر في امة من الأمم فان فساد أخلاق بنيتها يفضي بها الى العدم حيث يفشو فيهم الانهماك على اللذات والشهوات والانتهاك للحرمان والتمرد على المحرمات كما هي حالتنا الآن كما أسلفنا القول فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

طرق التربية

التربية الاولى - تربية الولد الاولى ينبغي ان تكون في بيت ابيه وامه وهي التربية اللائقة للبيت وكل امرأة لم تربها أمها في صغرها لا ترغب في تربية أولادها في كبرها . ومن سوء التربية ان الام تكفل تربية أولادها الى غيرها بدون ان تلاحظ ذلك بنفسها فان الام بما اودع فيها من الشفقة

والرأفة على أولادها وهي أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج ابنائها وبناتها .
 فاذا ربت المرأة أولادها الى سن التمييز تربية حسية أو معنوية انتقش في
 اذهان الابناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الاخلاق وتهذيبها وسلوك
 الرفق واللين التي هي من صفات التمدن . ومن هنا وجب ان تكون
 الام متحلية بهذه الصفات لتصلح ان تربي على حسبها أولادها عالمة بكيفية
 الاعتناء بالطفل وكيفية تغذيته عارفة بطباع طفلها وعوائده ويحسن أيضا ان
 تكون الام هي التي ترضع ابنها فللرضاع تأثير ظاهر في الاولاد فقد قال
 صلى الله عليه وسلم : « الرضاع يغير الطباع » . وقال : « لا تسترضعوا الحمقاء
 فان اللبن يعدي ويروي » . ومعناه ان المرضع اذا أرضعت غلاما نزعته
 اليه أخلاقها فيشبهها . وعند عدم تمكن الام تختار المرضعة العاقلة صحيحة
 الحواس ظاهرا وباطنا معتدلة المزاج عظيمة الشدين

حكى عن الامام ابي المعالي عبد الملك الشهير بامام الحرمين اعلم اصحاب
 الشافعي رضي الله عنه في عصره على الاطلاق وهو الذي انتهت اليه رئاسة
 العلماء نحو ثلاثين سنة ولا جله بنى نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى
 بها الخطابة وكان آية من آيات الله علما وعملا ان والده كان يتعیش من نسخ
 الكتب فاجتمع له ثمن جارية ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت بامام
 الحرمين ووضعته فاوصاها ان لا تمكن أحدا من ارضاعه ثم دخل عليها يوما
 وهي مريضة والصبي يبكي وقد شاغلته امرأة من جيرانهم بشيها فامتص
 منه قليلا فشق ذلك على ابيه فاخذه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل
 اصبعه في فيه حتى أفرغ جميع ما امتصه والصبي في خلال ذلك قد كربت

نفسه تزهق وابوه يقول : « موته خير من فساد اخلاقه . » فكان الامام اذا لحقته فرة في مجلس المناظرة يقول . « هذا من بقايا تلك الرضعة » . أفترى والده هذا الامام فعل غير ما يوجبه عليه القرآن الكريم حيث يقول : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا »

التربية الثانية - وبعد ذلك تكون تربية الأولاد موافقة أحوال الأمة وطريقة ادارتها وأحكامها لينتقش في أفئدة الصبيان الاحساس والاصول الحسنة الجارية في أوطانهم . مثلا اذا كانت طبيعة البلد المولود فيها الانسان عسكرية مائلة للحرب والضرب تكون تربية الاولاد المذكور تابعة لها أصولا وفروعا وتكون تربية البنات أيضا مائلة لمحبة الشجمان والابطال وخول الرجال ليشجمن الابداء كما هو منقول ومسطور عن نساء العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام كما روي عن الخنساء بنت عمرو السلمية أنها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقات لهم من أول الليل : « يا بني والله الذي لا إله غيره انكم لبنور رجل واحد وانكم » « بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالككم ولا هجنت حسبكم » « ولا غيرت نسبكم وانتم تعلمون قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا صبروا » « وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا أصبحتم ان شاء الله » « فاغمدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين » « فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وأضمرت لظي على سياجها » « فتييموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالفنى » « والكرامة في دار الخلود والمقامة » فلما أضاء لهم الصبح باكروا مرا كزهم

وشنوا الاغارة وقتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي ان يحممني بهم في مستقر رحمته . » واذا كانت المملكة زراعية أو تجارية أو بحرية وما أشبه ذلك كان مدار التربية الصحيحة للاولاد على ذلك

ولقد دلت التجارب وبرهنت المشاهدات على ان الامة التي تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات احوالها يتقدم فيها أيضا التقدم والتمدن على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها بخلاف الامة القاصرة التربية فان تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيته . قال بعض الحكماء : « ان سمحتم لي بتحسين التربية الزمت نفسي لكم باصلاح احوال العالم بأسره . » فالتربية هي اساس الانتفاع ببناء الوطن ولذلك يجب تمويد الاطفال لاسيما ابناء الامراء والا كابر والاغنياء من الصغر على ترك الكبر والاعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللين والتلطف مع غيرهم حتى لا يتجاري أحد من عوام الناس وخواصهم على لومهم على أفعالهم وأطوارهم وحركاتهم فيلزم نحو ذلك من الاطفال في حال صغرهم بان يعتني مربي الذكور والاناث بان يطفىء من قلوبهم نار حبهم لانفسهم وحرارة حرصهم على جلب كل شيء لخاصيتهم فان حبهم للنفس بهذه الدرجة انما هو عين البغض لها لانه يجلب لهم بغض من عداهم من الاخوان . وكيف ينال السعادة من خص نفسه بالحجب ولم يجهل لاختيه قدر حبه . وفي الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه . » وهذا الحديث من أعظم آداب الدين وأساسه . وكذلك يلزم تمويد الاطفال على الآداب

الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فيمظنون الفضيلة في أعينهم ليجبوها ويتمسكوا بها ويحطون بالرديلة ليفروا منها ويستقبحوها ويمودنهم على النظافة والترتيب والاقتصاد ويحضونهم على مكارم الاخلاق قليلها وجليها بان يحسنوا لهم الصدق والوفاء والامانة والعفة والصيانة وشرف النفس وتوقير الكبير واحترام الصغير واجتناب الهزل واساءة الادب والفحش والقول والفعل وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة والدعاء لهما وتقبيل أيديهما عند الدخول اليهما لترسخ كل هذه الصفات والفضائل في أنفسهم وتنتقش في قلوبهم فلن ينسوها بعد ذلك مادام المرء يشيب على ما شب عليه . ومن المعلوم أن كل ما يصدر عن الاطفال في كبرهم من خدم جليلة وصناعات جميلة ومساع خيرية ومنافع اجتماعية ليس الا اظهارا للمبادئ التي انطبعت في ذهنيهم من تعاليمهم المنزلية حالة صغرهم ومما تلقوه من مرشدهم فتمت مع نموهم . فان كانت هذه التعاليم ليست مؤسسة على قاعدة علمية صحيحة كانت سبب تعاسة كبرى قل أن يخلص منها الطفل أو يقاومها بالدراسات الثانوية بعد نمو مجموع قواه الجسمية والعقلية . ومع تعويدهم على ذلك ينبغي أن يقبح في نظر الاولاد بالفعل وبالقول كل ما يصاد هذه الصفات بأن يمثلوا لهم حالة الكذاب الخداع المنافق الحسود الكنود المرائي في دينه ودنياه أشنع تمثيل فان الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة . ويلزم تقوية صفة الحياء في الاولاد وهم صغار فيشبون ويشيبون عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء خشه » وروى البخاري عن ابن

مسموع قال : « قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت . » فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى . ولذلك نكر رانه يجب على من يربي البنات وتعهدهن شؤونهن أن يتركن على حيائهن الذي هو زينتهن فلا تمسه التربية بمحو ولا تخفيف وان لا يجتهد أحد في إلهام الشجاعة لهن . وكذلك ما اشتغلن عليه عادة من الخوف والوجل مما ينبغي محوه من الذكور فلا بأس بإبقائه في النساء فانهن غير مخلوقات لان يحزن شجاعة الرجل كما قدمنا

وكان أهل سبارطة يربون أولادهم على طرف المملكة وكانوا يعودونهم على عدم الخوف من ظلام الليل وعلى عدم الكآبة والتشكي الحاجة لازمة وكانوا اذا بلغ الطفل سبع سنين أمروا المعلم أن يعلمه التعود على الاشغال والتجملد والمشاق والمبادرة في الطاعة وكان المعلمون يسوون بين سائر الاولاد في التعليم بالمكاتب العمومية بلا تمييز لاحد منهم بتعليم شيء وتقديمه على آخر بل يعلمون الكل مع بعضهم بطريقة واحدة لانهم مستوون في القيام بواجبات المملكة . وكانوا يعملون من ظهرت نجابته في التعليم رئيسا على من عداه ممن لم تظهر له نجابة فيحكم الانجب فيمن عداه منهم بملاحظة الشيوخ ليرد الشيوخ من أخطأ في حكمه منهم الى الصواب ويجب تأديبه على ذلك بما يليق بخطئه من العقاب . وكانت طريقة تعليم الاولاد التفاهم والتخاطب عندهم هي ان الآباء كانوا اذا اجتمعوا على مائدة عمومية يحضرون معهم أولادهم ليفتنموا فائدة محاوراة تلك المجالس وكانوا يسألونهم عن بعض أشياء مهمة فيقولون للواحد منهم ما رأيك في هذا الشيء . أو في

هذا الرجل ويحملونهم على رد الجواب بسرعة مع الاختصار وأدب الكلام وكان هذا هو السبب الأعظم في كثرة خول الرجال وكبراء الأبطال في بلاد اليونان وكذلك في مدينة (أثينا) كانوا يعتنون بتعليم الأولاد لعلهم أن يبقوا عز المملكة إنما يكون بذلك ويحثون على الاستقلال بالحرف والصنائع وكل من يثبت عليه من أهالي المدينة أنه لم يتعاط حرفة وصناعة وأتم بذلك ثلاث مرات فانه يفضح على رؤوس الأشهاد كما كان يفضح كل ولد يسرف في أمواله أو يحرم أبويه من القوت إلا إذا كانا لم يعلماه صنعة فانه كان لا عقاب عليه بذلك

وكان من أحكام هذه المدينة انه لا يجب على المرأة أن تتجهز لزوجها عند الابتناء بها بأكثر من ثلاثة أثواب وأمتعة قليلة الثمن خوفا على أهلها من الفقر وإن من اجتمع بغير زوجته وعاشرها أو خالط النساء المتبرجات لا يكون من أرباب مشورة المدينة لانه لا يؤتمن على مصلحة الأهالي وإن من سكر من أرباب مشورة المدينة فعقابه القتل . فبهذا صارت تربية عموم اليونان كاملة فاضلة في أغلب الأزمان .

ذلك كان حال التربية عند الاقوام الذين خلوا وكانت سبباني رفعتهم وعزتهم ومنعتهم قتل لي بأبيك هل أنت بشيء أعظم مما يدعوا اليه القرآن الشريف والشريعة السمحة ؟ أيوجد أمة أحسن ممن تهذب أخلاق أبنائها على ما وردت به تلك الشريعة الفراء ؟ كلا - اللهم كلا - هذا وجميع هذه التعاليم والتدريبات التي أشرنا اليها هي المسماة بالدروس الأولية للطفل والتي يجب تلقينها له سواء كان ذكرا أو أنثى بواسطة الامهات والآباء والاقارب

والاصدقاء المرشدين الذين هم أساتذة هذه المدارس المنزلية. هذه الدروس هي الاساس الأقوم والمبدأ المحكم للتربية والواسطة الوحيدة لجعل الطفل مستعدا لان يتلقى دروسا أعلى وبدون هذا الاساس لا يمكن التحصل على الثمرة المقصودة من الطفل اللازمة لذاته وعشيرته لانه بدونها لا يكون تهذيبه فيما بعد ممكنا بل تكون كل التعاليم التي تلقى اليه صورية لا تؤثر على وجدانه بشيء مهما أجهد النفس في تعديلها لان الطبع يفلب الطبع. ولا جدال في أن اهمالنا هذه التربية الاولى هو السبب الاصلي في تقهقرنا ويلزمنا أن ننوه هنا أن لا تربية تصلح الا اذا كان القائم بها مرشدا كان أو مرييا من أهل وأقارب ومراضع أو معلما متخلقا بالاخلاق التي يراد تطبيع الاولاد عليها حتى يكونوا قدوة حسنة لهم بهم يقتدون وعلى منوالهم ينسجون. وبخلاف ذلك لا يمكن ولا يؤمل أن تحصل فائدة اذ القدوة السيئة تؤثر تأثيرها على النفوس وتسيء اخلاق الاولاد منذ صغرهم فيشبون على ذلك ويفسدون. وهناك الطامة الكبرى حيث لا يفيد دواء ويعظم الداء. ومن هذا عرفنا ما يجب على الام أن تكون متصفة به من الاخلاق لتحسن تربية اولادها فان الام ان لم تتذرع هي أيضا باصول التربية ولم تحل بمكارم الاخلاق يشب طفلها عديم المنفعة ساقط المنزلة ويعيش طول عمره ككرة يلعب بها من هو أقوى منه ويموت غير مأسوف عليه وليس من ينكر انه وإن كان الاب هو صاحب التأثير المهم والاولى في التربية فان الام كذلك هي الحجر الاساسي للعائلة فقي امكانها ان تضم أفرادها وتشقهم وذلك تبعا لاميالها التي اكتسبتها من معلوماتها أثناء صغرها

التربية الثالثة - التعليم — لا أظن أنه يوجد أحد يكره أن تحسن حالة بيته ولا أن لا يساعد ويعين على ما يوجب هذا التحسين . ولكن كل من يشاهد ما نحن عليه من الآداب وكيفية التعليم الناقص الغير ملائم لمصلحة الأمة الذي يتعلمه البنون والبنات الآن فإنه ولا شك يفضل الجهالة التامة على ذلك التعليم الصوري الكثيرة مضارة الممدوم المنافع .

فإذا تهذبت أخلاق الاولاد بالآداب الصحيحة كما قدمنا فليس من يقول بعدم تعليم البنات ما يساعد على زيادة تحسین حال بيتها وتوسيع نطاق معارفها فيما يتعلق بواجباتها من مواد العلم الاموي حتى تصير كعملة صالحة وعملية من غير اخراجها عن وظيفتها حيث انها متصيرة أما والام هي الحجر الاساسي للعائلة كما قدمنا . والدين لم يمنع مطلقا من ذلك فحسبنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وقد كان في زمنه صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء فالتعليم الذي لا بأس من أن يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آانس الانسان منهن رشدا واستعدادا له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة في ضمن تعليم القرآن الشريف وأمور الدين — لتعرف البنات ما يجب عليها وما يجب لهن من الحقوق والواجبات — ومبادئ الحساب والهندسة والجغرافية ومختصر تاريخ بلادهن فان هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويصلحن به لمشاركه الرجل في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم . ويجدر بنا أن ننبه هنا بوجه عام بأنه ينبغي للمرشد أو المعلم أن يرغب الاولاد في التحصيل ويدلهم على مكائده ويصرف عنهم الهموم الشاغلة

لهم ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والفرائد وينصحهم في الدين فبذلك تطهر قلوبهم ويزكو علمهم ويجب عليه أيضا ان يأذن في بعض الاوقات الاولاد باللعب ويكون لعبا جميلا غير متمعب لهم ليستريحوا من كثرة الادب . وهذه الرياضة ترويح النفس وتحرك الحرارة الفريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس فان النفس تمل من الدؤوب في الجدة وترتاح الى بعض المباح من اللهو . قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحنظلة : ساعة وساعة . وقال علي رضي الله عنه : روحوا القلوب فانها تمل كما تمل الابدان . وقال أيضا : سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : يا بلال روحنا .

وينبغي ان يكون لنساء هذه الاعصر في خدمتهن لمنزلهن اقتداء بنساء النبي صلى الله عليه وسلم : فان نساء النبي كن يسمين على عيالهن ويخدن زوجهن ويمتنن انفسهن . ولذلك يلزم ان يتعلمن شيئا من فن تدبير المنزل ومن مبادئ القوانين الصحية وما يلزم النساء من الخياطة والتطريز والطبخ . الخ . قال النبي صلى الله عليه وسلم لام سلمة : « اذا أدت المرأة » فريضة ربها وأطاعت بعلمها وحركت المغزل كانت كأنها تسبح ومادام » المغزل في يدها كانت كأنها تصلي جماعة واذا طبخت القدر لاجل » أطفالها تساقطت ذنوبها . »

هذا ما يمكن تعليمه لمن واطن ان فيه الكفاية للقيام بوظيفتهن أحسن قيام وهذه التربية هي المناسبة لوظيفتهن فاننا لو أخذنا بنتا وعلمناها القراءة

والكتابة والمقائد والآداب الدينية والعبادات وطرفاً من قانون الصحة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاولاد والاشغال اليدوية . الخ . ثم قصرناها في بيتها فيكون منزلها هو المدرسة الثانوية لهذا التعليم الابتدائي تجري تطبيق ما تعلمته بالعمل فيه لأن وظيفتها التي ينهاها تقتضي جميع هذه المعارف كما لا يشكره أحد وبذلك لا تنسى ما تعلمته ولا تتغير اخلاقها . وما الفائدة من تعليمها ما تنساه ولا يمكنها ان تمارسه ولا ان تعمل به في منزلها لخروجه عن حدود وظيفتها ؟ على ان لا شيء يمنع المرأة من التوسع في العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به . كما ان لا شيء يمنعها عند اقتضاء الحاجة من ان تتعاطى من الاعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقاتها .

ومما يلزم تعويدهن عليه وتأديهن على تركه الصلاة والصوم وانواع العبادات التي يأمر بها الدين اذ بخلافها يكون العلم ناقصاً ولا فائدة منه مادام غير مقرون بالعمل . فاذا ربينا البنت الناشئة على هذه المبادئ وحليناها بهذه الكمالات ومنعناها من الابتدال وقوينا فيها فضيلة الحياء بالاحتجاب الذي به تمام التربية كما ستري أمكنها أن تنفع وتفيد واستطاعت أن تنصح والدتها التي لم يسبق لها دراسة وقامت بوظيفتها أحسن قيام وامتنعت أسباب الشكاية والبلاء .

أما ما يذهب اليه بعضنا من وجوب تعليم المرأة المسلمة على الطريقة الاوربية واتخاذ حالة المرأة الغربية مثالا لذلك فما يزيد أحوالنا فساداً وليس ذلك لكون طبيعتنا مضادة لطبيعة الغربي ولا لأننا نحب ان

نبتى على جهالتنا ولكن لأن علماء العمران في العالمين القديم والجديد (في أوروبا وأمريكا) يرفعون عقيرتهم كل يوم منذرين قومهم - كما علمنا مما اقتطفناه ومما سنورده في الفصل الآتي من أقوال بعضهم - بسوء العاقبة من غلواء النساء في الحرية وخروجهن عن الدائرة التي أراد الله أن يشغلن بها. وما على الشرقي الذي يعتبر أن المرأة الأوروبية والأمريكية ما كان نزلا من سماء المدينة على أرض الحرية الآن يقرأ ما قاله وما يقوله علماء بلادهما عنهما حتى تنشأ لديه فكرة عامة على وظيفة المرأة ومستقبلها والماقبل من اعتبر واتعظ بغيره. قال العلامة جول سيمون: «كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون» «من عدم الاعتناء بهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم» «من أن ذلك التهذيب قد بلغ حد الإفراط . نعم لانك اذا اخرجنا من» «تقريب الى افراط هائل» «فلنتق الله في أنفسنا وأهلينا ولنقلد بروية وتديير. والله تعالى أعظم مسئول في توفيق الأمور واصلاح الحال .

❦ الفصل الثالث ❦

❦ الحجاب ❦

العفة والامانة والحياء - الحجاب أعظم قائد للعفة - الحجاب شرعي

يأمر به الدين - دفع اعتراضات - الحجاب الحالي وما يتهددنا

به - ما هو الاصلح في حالة المرأة التحجب أم الابتذال ؟

العفة والامانة والحياء - كل من تأمل في أحكام الشرع الشريف ومبادئه

وجدها تحت على الفضائل ومكارم الاخلاق ونهي عن الرذائل ومن

ضمن ما تحض عليه العفة التي هي أمانة كل من الزوجين لصاحبه وهي فضيلة دقيقة تفيد أن لا يصدر من أحد الزوجين ما يخدش صداقته للآخر وهي لذلك ينبغي أن يحرص عليها ولو كانت عزيزة وقل من اتصف بها في أعلى درجات كمالها فهي عصمة معنوية وهي أساس روابط الجمعية البشرية لان عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط أحد الطرفين بالآخر ومشروط فيه الامانة ضمنا على الوجه الذي قضته الحكمة الإلهية فتقتصر أحد الزوجين في تأدية حقوق الزوجية بعدم مضاد الامانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء. وبالنظر للعرف يقتضي ان تكون الامانة في المرأة أو كدوان كانا مشتركين فيها وسبب ذلك ان جميع الأمم على اختلاف مشاربها ونحلها قد اتفقت على ان تطالب المرأة بالصيانة والعفة وسلوك سبيل الحياء أكثر مما تطالب به الرجل . قال عليه الصلاة والسلام : الحياء حسن ولكنه من النساء أحسن . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أراد ان يهلك عبدا نزع منه الحياء » وقال صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء » وقال أيضا صلوات الله عليه : « ان الله يحب الحيي الحليم ويبغض الفاجر البذي » . فلذلك وجب ان تعود البنت من صغرها على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لدينه القويم كما قدمنا لأن المرأة متى خلعت ثوب الحياء فكأنها تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون حيث ان خلع ثوب الحياء منها علامة قوية على نية خدش الامانة التي يترتب عليها من العواقب الوخيمة مالا نهاية له . فان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته الربانية وضع الذلل

في بطون الامهات فلا يباح للنساء هتك حرمة هذا النسب فاذا تخلت المرأة عن العصمة ربما دست في العائلة ما ليس منها . وناهيك بما يترتب على ذلك من المضار والفساد . فأوجب العقل والنقل والشرع والطبع على الزوجين في كل مكان وفي كل زمان أن يعمدا على الامانة التامة كما يقتضيه عقد الزواج فلذلك وجب أن يتمسك كل منهما مع غاية الدقة والالتباه بهذه الفضيلة التي يترتب عليها صون النسب فتمتنع الوسوس والشكوك والريبة في طهارة الانساب التي حفظها من ضروريات الدين والملك والعمران كما هو معلوم للعموم ولا يختلف فيه اثنان .

الحجاب اعظم قائد للعفة

فنظرا لما تقدم ولكون الغيرة من الايمان وما من امرىء لا يفار الا منكوس القلب كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم كل الامم بما يدفع الارتياح ويريح القلب والفؤاد من الوسوس والاهام ولم يكن ديننا القويم بالمقصر في تبين انجع دواء لهذه الادواء فأمر بالحجاب بمعنييه (١) وتمسك به المسلمون في كل عصورهم وبلدانهم لانه الطريق المغني عن الغيرة ومما يوجب زيادة ائتلاف المرأة بأهلها يؤكد ارتباطها

(١) جاء في كتاب « صناجة الطرب في تقدمات العرب » تأليف نوفل اقددي بن

نعمه الله جرس نوفل الطرابلسي ما يأتي لدى كلامه على العشق في الاعراب: « لا يخفى بان اصل دواعي العشق في البادية هو لكون نساء العرب في الجاهلية لم يتبرقن اصلا لان لبس البراقع للنساء هو امر حادث في نساء الحضرة اوجبه الشريعة الاسلامية منذ انزلت آية الحجاب ومن ثم امرت بعدم تمكّن الرجال من رؤية النساء

بزوجها وأمنه عليها ورضاها بحاله . كيف لا وهو بلا شك أحسن وأفيد
ما جرب الاقوام من طرق الاحتراس للصوص والعفة ولا راحة النفس
من الشكوك والارتباب فلقد دلت التجارب على أن لاناظاق عفة يفيد ولا
تربية تقوى على صد تيار القوة الشهوانية الغريزية فى الانسان ولا على رد
جماعها عند الثوران مهما بلغ تهذيب المرأة فان كثرة علومها تصل الى حد
التلطف والتحايل على أداء الغرض بصورة لا تنكر عليها - متى تهيات
لذلك الاسباب - لا الى مغالبة الفطريات والغرائز . (١)

قال حضرة أحمد زكي بك سكرتير ثانى مجلس النظار فى كتابه السفر
الى المؤتمر بعد ان اورد شواهد عديدة على ما يقول : « ان المرأة بعد كل
تهذيب اراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعي الشهوات والتفانى فى
الملاذ . فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملاح فى الطعام . فان التعليم ليس
بقادر أن ينزع منهن هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التى يبتئنها
فى عقول الاطفال . »

وقال أيضا بعد أن اورد نقلا عن بعض العلماء الالمانيين فى الفرق
الفاحش بين خيانة المرأة الغربية والمرأة الشرقية لزوجها فى عرضه : « فاذا

(١) جاء فى جرنال فرنسا الرسمي من سنوات ان عدد الزناة فى فرنسا من
الرجال واحد وسبعون من المائة . ولا بد وان يكون العدد قد ازداد لتقدم الفساد . وجاء
فى تاريخ موسيم كيف ان كثيرين ممن باغوا فى مجرد الترية اقصاصها وفى المعارف
منتهاها من أعيان الرجال والنساء استمعى جوح نفوسهم الشهوية عن الانقياد لمقتضى
الترية وهوى بها الى الخفيض فيما تنزه الاسماع عن ذكره فلم يجمعه من ارادة .

سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجته ذلك الالماني (١) رأينا أن في التحجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة في صيانة الاعراض . « وفي الواقع فليس من ينكر أن اجتماع النساء والرجال في مكان واحد - خصوصا بلباس الزينة الذي يستحيل أن تخرج أو تختلط المرأة بدونه - يحدث تيار غرام كهربائي لا يقطعه الا الوصال : فان الانسان ليس في سعته مغالبة شهواته بالوازع العقلي ولا بالوازع الديني اذا أيسح الابتذال كما اعترف بذلك كثيرون وذهبت أقوال بعضهم مجرى الامثال . وناهيك بالمثل الالماني القائل « يلزم أن نحفظ البنت وسط الاربعة أناجيل أو وسط أربعة جدران » اشارة الى أن لاشيء يفيدها سوى الحجاب لاستحالة العمل بالشق الاول .

(١) جاء في (تقويم ترويح النفوس) المكتوب باللغة الفرنسية عن سنة ١٨٩٣ ما خلاصته ان العلامة الالماني (كستر) أحد أسانذة (ليبسيك) وصاحب التصانيف العديدة المشهورة نشر كتابا فيه ابحت علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على حركة ازدياد المواليد ونقصها في البلدان المختلفة مستندا على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج الآتية بحسب التعديل المتوسط وهي :

ان المرأة الالمانية تحون زوجها في عرضه ٧ مرات والبلجيكية ست مرات وأربعة احماس مرة (بحسب التعديل المتوسط) والانكليزية خمس مرات والنمساوية اربع مرات ونصف مرة والهولندية اربع مرات والسويدية او الدانمركية مرتين والاطليانية مرة وخمسة اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانية سبعة اثمان المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة . والعصرية والبشناقية وانقي من الجيل الاسود والبلغارية ثلثي مرة . والتركية (ويعنون بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرقيات) عشر المرة الواحدة . « اه من كتاب السفر الى المؤتمر .

لذلك حافظ المسلمون على الحجاب كما قلنا وحذروا من تركه :
فكان الصحابة رضي الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب التي في الجدران
لئلا يطلع منها النساء على الرجال أو الرجال على النساء . ورأى معاذ
امراته تطلع في الكوة فضربها . وكان علي كرم الله وجهه يقول :
اكفف أبصارهم بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهم من الارتباب .
وليس خروجهم بأضر من دخول من لا يوثق به عليهم فان استطعت
أن لا يعرفن غيرك فافعل . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة
عليها السلام : أي شيء خير لامرأة ؟ فقالت : « ان لا ترى رجلا ولا يراها
رجل . » أي من الاجانب فضمها اليه وقال : « ذرية بعضها من بعض . »
وقال الحسن رضي الله عنه : « لا تدعوا نساءكم فيزاحمن العلوج في الاسواق فبجح
الله تعالى من لا يغار . » وقال عمر رضي الله عنه : « أغروا النساء يلزم الحجاب . »
إشارة الى انهن لا يرغبن الخروج في الهيئة الرثة . ولقد بلغ حرص الصحابة
على تشديد الحجاب الى ان اجتهد بعضهم في منع النساء حتى من الخروج
الى المساجد فاتوا حياحيبت النساء في القعود في منازلهم . يدل على ذلك
ماروي عن عمر وعن الزبير بن العوام رضي الله عنهما فانهما لما شق عليهما
خروج زوجتيهما الى المسجد للصلاة ولم يكن في استطاعتهما منهما عن
ذلك لحديث « اذا استأذنت امرأة أحدكم الى المسجد فلا يمنعها » فعرض
كل منهما لزوجته ليلة في ظهر المسجد وهي لا تراه وضربها على عجزتها
فرجعت امرأة عمر قائلة : « نعم مارأيت فقد فسد الزمان » وقالت عاتكة
امراة الزبير لما قدمت عن الخروج وسألها زوجها ألا تحزجين يا عاتكة :

« كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا . »
 فهل بعد هذا دليل واثبات على ان الحجاب دافع أوهاما وارتياها
 وشكوكا وحصن حصين للعفة والصيانة؟ وهل بعد ذلك دليل واثبات على
 ان الصحابة كانوا يحجبون نساءهم وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحسن
 ذلك ويعجب به؟ وسنورد طرفا من أحاديثه الشريفة في هذا المعنى . فهلا
 يكون لنا اسوة حسنة بهم جميعا وهم هداة الانام؟ أليست هذه سنة مثلى
 يجب ان نسير عليها مادام في الدنيا رجال ونساء؟

الحجاب شرعي يأمر به الدين

اذا تقرر ذلك وعلمنا ان الحجاب من لوازم العفة والامانة والصون
 وان الصحابة كانوا متمسكين به ويتفانون في تشديده لانه اصل من اصول
 الادب ولأن المحافظة على العرض من أهم أركان مكارم الاخلاق التي
 بعث النبي صلى الله عليه وسلم لتسميها وثبت ان الحجاب احسن حصن
 لهذه المحافظة وجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة حائنين عليه
 أمرين به . ولو كان القرآن والسنة لم يأمر بالحجاب لما تمسك به الصحابة
 ورضوا بمخالفتهما ولما أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المخالفة
 لأمر الله بل لما حض على استعمال الحجاب بمعنييه وهما القصر في البيت
 وستر الوجه كما ستري . فلتنورد اذا بعض النصوص القرآنية والاحاديث
 النبوية والواردة في هذا الشأن ولنتظرا أمر الله بالحجاب وحث عليه رسوله
 أم لا . فنقول :

قال حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة :

« لو ان في الشريعة الاسلامية نصوصا تقضي بالحجاب على ما هو »
 « معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتناب البحث فيه »
 « ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مفسرة في ظاهره »
 « الامر لأن الاوامر الالهية يجب الازعان لها بدون بحث ولا »
 « مناقشة . لكننا لانجد نصا في الشريعة يوجب الحجاب على هذه »
 « الطريقة المعهودة . وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم »
 « فاستحسنوها واخذوا بها وبالفوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر »
 « العادات الضارة التي تمكن في الناس باسم الدين والدين براء منها . »
 « ولذلك لا نرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب ان نلم بها »
 « ونبين حكم الشريعة في شأنها وحاجة الناس الى تغييرها » اهـ .

ونحن لانلام اذا كنا نخالفه في هذا الفكر وقلنا ان في الشريعة نصوصا
 تقضي بالحجاب الشرعي ونعني به ستر البدن باكملها وملازمة المرأة
 خدرها الا لضرورة . اما الحجاب الحالي فلا شك انه بدعة لم يأمر بها
 دين ولم يقل بها شرع ولذلك لا نرى مانعا من البحث في تلك النصوص :
 جاء في الكتاب العزيز : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
 فروجهم ذلك اذكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . » وقل للمؤمنات يغضن
 من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن
 بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا بمولتهن أو آبائهن أو آباء بمولتهن
 أو أبنائهن أو ابناء بمولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو
 نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو

الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن »

هذه آية جمعت فأوعت إذ أمرت الرجل والمرأة معا بفض النظر
وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بأن لا يبدن زينتتهن الا
ما ظهر منها أي من الزينة لاني لست ادري ما الداعية للتكاف في التأويل
والقول كما قال حضرة صاحب تحرير المرأة من ان الشريعة أباحت في
هذه الآية ان تظهر المرأة بعض أعضاء من جسمها امام الاجنبي عنها
مادام المعنى ظاهرا لا يحتاج لهذا التمسك .

ولقد حلت لنا هذا الاشكال السيدة عائشة رضي الله عنها وناهيك
بالسيدة عائشة فانها هي التي قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم - كما
يعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه - « خذوا نصف دينكم
عن هذه الحميراء » فقد سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت : « هي الكحل
والخضاب » . أفليس هذا القول هو الفصل والحاسم لكل نزاع في
هذا الموضوع ؟

والا فما معنى ان تمنع المرأة من ابداء زينتها ويرخص لها بكشف
الوجه ؟ واذا لم يكن الوجه هو عين الفتنة واعظم زينة يجب عدم ابدائها
فما هي إذا الزينة التي اشار اليها القرآن الكريم ؟ جاء في البحر : « والا قرب
دخول الخلقة في الزينة » وأي زينة أحسن من الخلقة المعتدلة »

ولم يختلف أحد من الصحابة في ذلك ولا في ان المقصود من هذه
الآية منع كشف الوجه بحضرة الاجانب بدليل استعمالهم الحجاب

وحنهم على تشديده كما أسلفنا وبديل فهم الآية على هذا الوجه كما ستري :
 روي عن ميسون الكلالية أن معاوية دخل عليها - لانه كان
 زوجها - ومعه خصي فتقنعت منه . فقال هو خصي فقالت : « يا معاوية
 أترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله تعالى ؟ » . فلو كان كشف الوجه مباحا
 ما تقنعت وما عدته حراما حرمة الله . بل ولما اعتذر لها معاوية بأنه خصي
 أي داخل في ظنه في ضمن أولي الاربة الذين قد يباح التكشف بحضرتهم ولما
 أقرها على ما فعلت (١) وكان عمر يقول : القناع للحرائر : ويمنع الاماء من
 التشبه بهن في ذلك وأخرج أبو داود والنسائي عن عائشة انها قالت :
 « أو مات امرأة من وراء ستر يدها كتاب الى رسول الله صلى الله

(١) كان العرب لا يعرفون خصاية الانسان أصلا . وكان ذلك شائعا في الروم فلم يرد
 في الشرع نص في استعمال الحصيان الاستعمال الذي كان عليه بعض العائلات الكبيرة
 لعهد غير بعيد انما كان أمرا استعمال الحصيان من الامور الاجتهادية قياسا على غير
 أولي الاربة الذين أباح الله في الآية السابقة ابداء الزينة امامهم . والاربة هي حاجة
 الرجال الى النساء . وكان معاوية في عهد خلافته أول من رأى هذا وجعله مذهبا اجتهدا
 فلما اقتنى خصيا وأراد أن يدخله على بعض نسائه كما تقدم امتنعت من ذلك فاحتج بكونه
 خصيا فقالت له ان المثلة به لم تحل منه ما حرم الله . ولم ير غيره من أهل الاجتهاد جواز
 ذلك فكان استعمال الناس للخصيان تقليدا لمذهب معاوية الذي هو من الشرعيات
 الاجتهادية دون النصية . ولقد ترتب على ذلك من الآثار المذمومة ما لو اطلع عليه
 معاوية لكان عساه أن يحكم بتحريمه : وليس مانع من استعمال الاغوات سببا للخط
 من الدين فهو بدعة دخلت بلادنا كغيرها من البدع ولم تكن من عوائد المسلمين السابقة
 ولا اللاحقة ولم يرد بها شرع فلا ينسب الى الشرع ما خرج عن حدوده ولا يصح أن
 ينسب الى الدين ما حدث بالبدعة

عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم يده فقال ما أدري أي رجل أم يد امرأة فقالت بل يد امرأة فقال : لو كنت امرأة لغيرت أظفارك « يعني بالحناء . فهلا يؤخذ من هذا أن النساء كن يتبرقعن وكن يستترن حتى عن النبي ؟ وهلا كان قول علي : « كفف أبصارهن بالحجاب » ، أعظم دليل عن أن المراد بنفض الابصار لزوم الحجاب ؟

وهل يفهم لذلك معنى سوى أن جميع الصحابة كانوا فاهمين أن النساء مأمورات بالتقنع وانهم كانوا حريصين على تنفيذ ذلك الأمر ؟ أليس إذا أشكل أمر يرجع إلى القرآن والسنة أو الاجماع ؟ وهذا هو القرآن أمر بالحجاب بهذه الآية وبما سترى من الآيات . وهذه هي السنة حائنة عليه كما رأيت وكما سترى . واجماع الصحابة متفق عليه كما رأيت . وإذا نظرنا إلى العادة التي كانت جارية وقت نزول هذه الآية وجدنا حضرة محرر المرأة نفسه يقول : « ان الانتقاب والتبرقع هما من العادات القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده » ، فما هو وجه الاشكال اذا ؟ هل قال أئمة الدين وعلماء المسلمين بما يخالف ذلك الاجماع وبكشف الوجه واليدين مطلقا كما يدعون عليهم ؟ أين الدليل على هذا القول وهاكم الأئمة كلهم تابعون لقول الله العظيم وسنة نبيه الكريم ولم يقل أحد منهم برفع الحجاب ؟ غاية ما قالوه جواز كشف الوجه والكفين اذا حلت ضرورة تبيح ذلك المحذور وأمنت الفتنة . فيا بعد هذا القول مما يتقولون عليهم !!

ولزيادة الإيضاح نقول انه لم يختلف كذلك أحد من الصحابة في

أن المراد من قوله تعالى : « الا مظهر منها » ، ليس هو الا الزينة بدليل انهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة ولو كان الامر بخلاف ذلك وكان القصد استثناء بعض أعضاء كما يزعمون لسألوها عن الأعضاء التي لا تدخل تحت حكم عدم الابداء

وجاء في تفسير روح المعاني للعلامة الشيخ الألوسي : « ولا يبدن زينتهن الا مظهر منها » أي الا ما جرت المادة والجلبة على ظهوره والاصل فيه الظهور كالحاتم والفتحة والكحل والخضاب فلا مؤاخذه في ابدائه للجانب وانما المؤاخذه في ابداء ما خفي من الزينة كالسوار والدمليج والقلادة والخلخال والا كليل والوشاح والقرط . وذكر الزين دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها الا لمن استثنى في الآية بعد » وقال ابن المنير وهو مالكي مشهور . « الزينة على حقيقتها وما يأتي انشاء الله تعالى من قوله عز وجل . « ولا يضربن بأرجلهن الآية » ويحقق ان ابداء الزينة مقصود بالهي . وأيضا لو كان المراد من الزينة موقعها للزم أن يحل للجانب النظر الى مظهر من مواقع الزين الظاهرة وهذا باطل : لان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة . »

وروى الطبراني والحاكم وصححه ابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود أن « مظهر » ، الثياب والجلباب وفي رواية الاقتصار على الثياب وعليها اقتصر الامام أحمد . وقد جاء اطلاق الزينة عليها في قوله تعالى

« وخذوا زينتكم عند كل مسجد »، على ما في البحر . وروي عن ابن عباس ان ما ظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة . وعن الحسن انه الخاتم والسوار وقال ابن بحر . « الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله تعالى وعلى ما يزين به من فضل لباس والمراد في الآية النهي عن ابداء ذلك لمن ليس بحرم واستثنى ما لم يمكن اخفاؤه في بعض الاوقات » وقال بعض المفسرين : « إن قوله تعالى « و ماظهر منها » أي من غير اظهار بأن كشفته ربح أو لضرورة »

هذا وهل يمكن باختلاط الرجال مع النساء وكشف وجوههن غض بصر الرجل عن المرأة وبالعكس كما هو صريح هذه الآية الشريفة ؟ أليست مبادئ ميل الانسان الى الشهوات انما هي الاجتماع . والميل للشئ لا يكون الا بمد رؤيته والرؤية كما أجمع العقلاء سبب التعلق والفتنة ؟ أليس وجوب الغض المأمور به في هذه الآية يوجب حرمة الاختلاط لاستحالة الاختلاط مع غض النظر ؟ أما تدل هذه الآية على طلب المبالغة في الاحتياط في أمر النساء وعلى ان الاحوط لهن لزوم البيت الذي هو محل شغلهن والتباعد عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم لعدم الضرورة لذلك وتباعدن عن الحضور في المجتمعات والهيآت ؟ ألم تدل التجارب على انه متى تأثرت العين بنقل الصورة وصلت الحركة الاستحسانية الى المخ في أسرع وقت وهو يردّها الى الاعضاء هيأما وثورة غرام ؟ جاء في بعض الآثار : أن النظر سهم مسموم من سهام ابليس . وقال الالوسي في تفسير قوله تعالى « ذلك اذكى لهم » : « أي أظهر من دنس الريّة وأنفع من حيث الدين »

والدنيا فان النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية والدنيوية ما لا يخفى »
قال الشاعر :

والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين المين موقوف على الخطر
يسر مقلته ماساء مهجته * لامرحبا بانتفاع جاء بالضرر
ولسنا نتكلف ايراد دليل على ذلك اعظم مما ذكر فى اسباب نزول
هذه الآية فان سبب الواقعة التي ترتب عليها نزولها كان الفتنة من النظر الى
محاسن امرأة فى الطريق فافتتن الرجل واختبل فى فكره وعقله وسيره حتى
اختبط فى حائط وهو لا يدري ماذا يفعل ولا يعي وسال دمه كما ترى :
اخرج ابن مردويه عن على كرم الله وجهه قال : « مر رجل على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرقات المدينة فنظر الى
امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان انه لم ينظر أحدهما للآخر الا
اعجابا به فينما الرجل يمشى الى جنب حائط وهو ينظر اليها اذ استقبله
الحائط فشق انفه فقال : والله لأغسل الدم حتى آتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره أمري . فاتاه فقص عليه قصته فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم : هذا عقوبة ذنبك . وأنزل الله تعالى هذه الآية . » فامر
الرجال بفض الابصار وبمحفظ فروجهم وأمر النساء بذلك وبشيء آخر
ازيد منه : وهو ستر الزينة والمحاسن وعدم إبدائها حتى لا يعود احد يفتتن
بهن . ومن هذا لزم ستر وجه المرأة لانه داعية الفتنة كما قدمنا .

ولو كان المراد من هذه الآية اظهار بعض أعضاء وهي الوجه
والكفان بدون قيد ولا لضرورة فبم تفسر قوله تعالى : « والقواعد من

النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستغفن خير لهن والله سامع عليم .، جاء في تفسير روح المعاني : « أي ان استغفنهن خير لهن من الوضع لبعده من التهمة فكل ساقطة لاقطة » وجاء فيه ايضا ان المراد بثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار (١)

فهذه آية دلت على وجوب الستر والاحتجاب على الكواعب واباحت لقواعد ان يرفعن قناعهن ان اردن وان يكن التستر وعدم رفع ذلك خيرا لهن واسلم وابعدهن التهمة

على انه اذا كانت وجوههن وايديهن مكشوفة من الاصل فماذا يمكن ان يباح لهن ازيد من ذلك ؟ هل يمكن أن يقال ان الله أمرهن ببدء باقي بدنهن وجسمهن ؟ اللهم ان هذا تضليل ومغالطة لا يرضيانك !

هذا وحرصا على الحجاب وحثا على وجوبه وتشديده قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا من يؤذن لكم . واذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكنم أطهر لقلوبكم وقلوبهن » أي أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال لما يترتب على الرؤية من التعلق والتفتة كما اسلفنا

(١) اخرج ابن المنذر عن ميمون بن بهرام انه قال في مصحف ابي بن كعب ومصحف ابن مسعود : « فليس عليهن جناح ان يضعن جلايهن . » واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما انهما كانا يقرآن كذلك ولعله لذلك اقتصر البعض في تفسير الثياب على الجلباب .

القول . وقال أيضا : « يانسأ النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فهذه آيات تفيد جميعها ان الله سبحانه وتعالى أمر بالحجاب بمآنيه كلها وانها وان كان المخاطب بها نساء النبي لكن المقصود منها بلا شك امر نساء المؤمنين كلهن بهذا الحكم تبعاً لهن . لانها انما تأمر بأداب والادب مطلوب للجميع . قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات . هذه آداب أمر الله بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الامة تبع لهن في ذلك » ولا شك ان هذا من باب الخصوص الذي يقصد منه العموم وهي قاعدة أصولية اتفق عليها فحول علماء الاصول فقالوا « ان العبرة في أي الكتاب واخبار السنة بعموم المنفط لا بخصوص السبب » ولا يعتد بقول من يقول ان هذه الآيات خاصة بنساء النبي ولا تنطبق على غيرهن بدليل قوله تعالى « لستن كاحد من النساء » اذ لماذا لانقول ان الحجاب كان معروفا مستعملاً عند جميع نساء المسلمين كما ثبت مما قدمنا ولم يكن غير محتجب الا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن معتبرات امهات المؤمنين بقوله تعالى : « وأزواجه أمهاتهم » ولا موجب للام ان تحتجب على ابنها فظن انهن لذلك غير داخلات في حكم ذلك المنع والاحتجاب . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لهن ان الحجاب واجب عليهن أيضا لانهن لسن كاحد من النساء في الثواب والعقاب بل يضاعف لهن كل من ذلك لعلو مقامهن ومكانتهن : قال الله تعالى : « يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف له العذاب ضعفين . ومن يقتل

منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما» قال في ذلك ابن عباس رضي الله عنه : « يريد ليس قدر كن عندي مثل قدر غير كن من النساء الصالحات : أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي ان اتقين الله فأطعنه فان الاكرم عند الله الاتقى »

ولعمري ليس في ذلك شيء من الغرابة . أليس العمل الواحد يعمل به شخص فيعاقب عليه عقوبة خفيفة ويعمله الآخر فيضاعف عقابه : أليس من أصول التشريع ان التعذير يختلف باختلاف درجات الانسان : أليس البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الإشارة : والا فما معنى ان نساء النبي المعتبرات كما قمنا أمهات المؤمنين فلا يجوز النظر اليهن ولا التطلع لهن يؤمرن بالاحتجاب عن أولادهن وغيرهن ممن يطعم فيهن لا يؤمرن به ؟ ولو أضفنا الى ما تقدمه إرادته من الاحاديث وأخبار الصحابة وأقوالهم قول عائشة رضي الله عنها : « رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن في الدين » ازال كل شك وارتفع كل التباس وعلمنا أن جميع النساء كن مأمورات بالحجاب عاملات به : وهذا ما يستفاد أيضا من أسباب نزول آية الحجاب . أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال : « قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يا رسول الله يدخل عليك البار والتاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب . فأنزل الله تعالى آية الحجاب : وأخرج ابن جرير عن عائشة : « ان أزواج النبي عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل اذا برزن الى المناصع وهو صميم أفيح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول

للنبي . احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل انتظارا لامر ربه . والا فهو كان أشد غيرة كما تدل على ذلك أحاديثه الشريفة . فخرجت سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضي الله تعالى عنه بصوته الأعلى : قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب . « وفي مجمع البيان للطبري : « ان مجاهدا روى عن عائشة انها كانت تأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فرم عمر فدعاه عليه الصلاة والسلام فأكل فأصاب أصبعه أصبع عائشة فقال : لو أطاع فيمكن مارأتكن عين : فنزلت آية الحجاب . »

ولا يبعد ان يكون مجموع ما ذكر سببا لنزوله : ومنه يستفاد ان الحجاب كان معهودا واجبا على نساء المؤمنين ولم يكن ينقص الا ان تحجب نساء النبي . والا فلماذا كان حرص عمر لهذا الحد بخصوص امهات المؤمنين وترك نسائه وباقي النساء ؟ أما كان الأولى به ان يبدأ بنفسه خصوصا وشدة غيرة مشهورة معلومة ؟

وفضلا على ذلك فان في قوله تعالى : « ولا تهرجن تبرج الجاهلية الأولى » اشارة لطيفة الى ان هذه العادة .- عادة التبرج وهو الظهور وعدم التستر انما كانت عادة الجاهلية الاولى التي لا شرع لها واندثرت بزوال تلك العصور - عصور الجاهلية والهمجية والتوحش - فلم يعد يليق الرجوع اليها في زمن التمدن الحقيقي وقد بزغ نور الاسلام . ولو كان المقصود احتجاب نساء النبي فقط دون باقي النساء لكان التبرج باقيا

ولما صح ان يقال عنه : « تبرج الجاهلية الاولى » بل كان الاقرب ان يقال : « ولا تبرجن تبرج باقي النساء لانكن لستن كاحد منهن » هذا وقوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن . ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » قد أزال كل التباس ان كان هناك وجه الالتباس وجاء متمما للحكم بستر المرأة جميع بدنها وتعميم هذا الحكم على جميع النساء في جميع الاوقات ليلا ونهارا .

وفي الواقع أليس معنى ذلك ان نساء المؤمنين عامة أمرن بان يغطين وجوههن التي يعرفن بها . وأي شيء يعرف الانسان به غير وجهه قال عمر رضي الله عنه : « القناع للحرائر لكيلا يؤذين » وقال السدي في أسباب النزول : « كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء اذا كان الليل خرجن فقضين الحاجة وكان فساق المدينة يخرجون فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمة فكانوا يراودونها فأنزل الله تعالى هذه الآية » الا يفهم من ذلك ان القناع كان مستعملا لدى الخروج نهارا وان بعضهم كن يخرجن بدونه في جنح الظلام لقضاء حاجتهن ظنا منهن ان هن من ظلام الليل وحليته حجابا آخر يغنيهن عنه فغاب ظنهن وتطاول الاشرار عليهن فشدد الله تعالى في الامر بالتستر وبأن لا يرفعن الحجاب متى برزن من خدرورهن ليلا كان أو نهارا لما في ذلك من زيادة الصون والحرص على الآداب . ولقد اتفق أغلب المفسرين على ان المراد من ذلك وجوب ستر

المرأة رأسها ووجهها وجميع بدنها بحيث لا يظهر منها الا عينا واحدة وقيل عيناها. قال ابن عباس في ذلك : « أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة » . وقال أبو حيان : « أي ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن أحد ولا يلقين بما يكرهن لان المرأة اذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها أحد بخلاف المتبرجة فانه مطموع فيها » وعن أم سلمة قالت : « لما نزلت هذه الآية - يدنين عليهن من جلابيبهن - خرج نساء الانصار كأن علي رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن البسة سود يلبسها »

والاحاديث الشريفة على وجوب الحجاب بمعنييه كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يأتي : أخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي في سننه عن أم سلمة : « انها بينما كانت هي وميمونة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن أم كلثوم فدخل عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت أم سلمة : يا رسول الله هو أعمى لا يبصر فقال : أفعميا وان أتما ؟ ألستما تبصرانه ؟ » واستدل به من قال بحرمه نظر المرأة الى شيء من الرجل الاجنبي مطلقا .

وأخرج الترمذي والبخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في قعر بيتها » وأخرج البخاري عن أنس قال : « جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ذهبت الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فهل لنا من عمل ندرك به

فضل المجاهدين؟ فقال عليه الصلاة والسلام: من قعدت منك في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى»

على ان الشرع قد صرح للنساء بالخروج في أحوال مخصوصة عند الضرورة كخروجهن للمسجد والحج وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الاقارب وغير ذلك بشروط مذكورة في محلها . والمراد أن لا يكن خراجات ولاجات طوافات في الطرق والاسواق وبيوت الناس بدون ضرورة ولا حاجة وبيتن أولى بهن وأحوج لهن . وهذا لا ينافي خروجهن لما فيه مصلحة دينية ولا ان يخرجن لحاجتهن مع التستر وعدم الابتذال برضا أزواجهن وان يكن القمود أسلم . قال عليه الصلاة والسلام: « ليس للنساء نصيب في الخروج الا مضطرة » . وقالت عائشة: « لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج » فاذا كان هذا حال النساء في ذلك الوقت فكيف حالهن اليوم الذي كثرت فيه المفاسد بفضل الحرية الواسعة والابتذال ولا رادع من حاكم ولا من دين؟

والاحاديث كثيرة على ان صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في المسجد مبالغة في سترها وعلى ان الاجدر بها ملازمة البيوت وعدم الخروج منها خصوصا والرجل متكفل بقوتها ونفقاتها . وكذلك الشرع أباح للمرأة الاختلاط مع محارمها وهم غير قليلين وحرم عليها الاختلاط مع أجنبي والخلوة به . روى البخاري عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم »

وقال : « والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما .
ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين وحمأة خير له من أن يزحم منكبيه
منكب امرأة لا تحل له ، »

﴿ دفع اعتراضات ﴾

يقول حضرة محرر المرأة ان في كتاب الروض في المذهب الشافعي
نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة وعكسه جائز وهو
قول مرجوح كما يظهر مما يأتي ،

جاء في الزواجر في مذهب الشافعي : « الوجه والكفان ظهرهما
وبطنهما الى الكوعين عورة في النظر من المرأة ولو أمة على الاصح وان
كانا ليسا عورة من الحرة في الصلاة . »

وذكر في الزواجر أيضا : « حرمة سائر ما انفصل من المرأة لان رؤية
البعض ربما جر الى رؤية الكل فكان اللائق حرمة نظره ايضا بل قال :
حرم أئمتنا النظر لقلامه ظفر المرأة المنفصلة ولو من يدها »
وجاء في تفسير روح المعاني ما يأتي :

« وذهب بعض الشافعية الى حل النظر الى الوجه والكف ان أمنت
الفتنة وليس بمعول عليه عندهم . وفسر بعض اجلهم « ما ظهر » ، بالوجه
والكفين بعد ان ساق الآية دليلا على ان عورة الحرة ماسواهما وعلى
حرمة نظرهما بمظنة الفتنة فدل ذلك على انه ليس كل ما يحرم نظره عورة
وانت تعلم ان اباحة ابداء الوجه والكفين حسبما تقتضيه الآية عندهم مع
القول بحرمة النظر اليهما مطلقا في غاية البعد فتأمل »

وجاء في المنهج ما ملخصه انه يحرم نظر نحو فحل ولو مرافقا شيئا من
كبيرة أجنبية ولوامة وأمن الفتنة الا الحاجة مع امن الفتنة
ولسنا ندري لماذا اخذ حضرة صاحب تحرير المرأة بالقول المرجوح
من مذهب الشافعي وترك القول الراجح الذي عليه الممول عندهم . بل
ولماذا نسب الى ابن عابدين اباحة كشف الوجه والكفين امام الاجنبي
مطلقا بلا قيد مع ان مذكوره ابن عابدين يفيد الاباحة عند الضرورات
ومع امن الفتنة والكل مسلم بان الضرورات تبيح المحظورات . (١)
وكذلك ما جاء في شرح الدليل لمذهب الحنابلة يفيد ان نظر الرجل
البالغ ولو مجبوا بالشيء ما من الحرة التي تشتهى لا يجوز الا لضرورة .
ويدحض ما قاله حضرة محمدر المرأة من ان حكم كشف الوجه والكفين
معروف كذلك عند المالكية والحنابلة . وكذلك ما نقله حضرته عن
الزيلعي فهو في حق الصلاة

(١) جاء في كتاب الجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس
في هذا الخصوص ما يأتي ملخصا : هذه (أي العبارة التي جاءت بكتاب تحرير المرأة
عن ابن عابدين) ليست عبارة ابن عابدين وانما هي عبارة شرح التوير فان هذه
العبارة التي نقلها لاتعلق لها بما نحن فيه ولا مساس لها بالموضوع فانها متعلقة بالصلاة
وشروطها والموضوع ستر المرأة عن الاجانب . نعم مذكوره من قوله وتسمح الشابة
من كشف الوجه وكتب عليه ابن عابدين أي تهى عنه له مساس بما نحن فيه لكنه
شاهد عليه لاله . لو انصف لنقل من الدر وحاشية ابن عابدين ما يناسب الموضوع
المذكور في باب الحظر والاباحة . وعبارة الدر هناك : وينظر من الاجنبية ولو
كافرة الى وجهها وكفيها فقط لضرورة قبل والقدم والذراع اذا اجرت نفسها للخبز .

وكأنني بمن يقول بجواز النظر لوجه المرأة عند امن الفتنة فضى بتحريم ذلك على الاطلاق في قالب الاباحة لأنه علق ذلك على أمر مستحيل خصوصا في هذه الايام - مهما كابر نصراء الابتذال واحسنوا الظن في أحوال هذا الزمان - وهو امن الفتنة . فليس من ينكر ان الرؤية سبب التعلق وان للانسان النظرة الاولى وليس له الثانية : يدل على ذلك أمر الله سبحانه وتعالى لكل من الرجل والمرأة بغض البصر اجتنابا لما يترتب على النظر من الفتنة فمن حام حول الحمى أو شك ان يقع فيه .

وأما سؤاله : « لماذا اختص النساء بالاحتجاب والتبرقع ولم لم تبرقع الرجال لان كليهما أمور بغض الابصار » . فهو قول مردود ايضا لان من تأمل بهذه الآية الشريفة وجدها كما اسلفنا القول تطالب الرجال بامر ين : هما غرض البصر وحفظ الفرج وتطالب النساء بذلك كله وبامر ثالث هو عدم ابداء الزينة والمحاسن بسترها بالحجاب والتبرقع كما قدمنا . وهذا امر اتفردن به ولم يشترك معهن فيه الرجال ومن ذلك يعلم السرفى أن النساء كلفن بالحجاب والتبرقع دون الرجال ولله في اوامره حكم .

وزيادة على ذلك فانه لما كان لكل من الزوجين وظيفة مخصوصة كما قدمنا وكانت وظيفة الرجل خارج بيته للسمي على معاشه ومعاش أهله ولعمار الدنيا بنمو الفلاحة والتجارة والصناعة الخ ووظيفة المرأة منزلية داخل البيت وخروجها استثناء لضرورة فتكليفها بالتبرقع اقل ضررا ممن الاصل في خلقته بمقتضى الحكمة الالهية وجوده خارج بيته . فضلا على ان اغلب الفتنة من النساء لانه قد اقتضت حكمة الله تعالى ان خلق النساء والرجال

من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض ومع ذلك جعل النساء رأس الشهوات في قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث . » وذلك لتقدم النساء في قلوب الرجال على جميعها وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : « من شقوتنا ان الله تعالى قد منا حين ذكر الشهوات : » وروى البخاري عن اسامة بن زيد قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تركت فتنة بعدي اضر على الرجال من النساء »

يقول نصراء الابطال ان في الاختلاط فوائد ومزايا وانه بمجرد تعليم البنت ماهي الفقة ومزاياها تتعنف ويؤمن عليها من الاختلاط والخروج والدخول فنقول : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان النفس ميالة بالطبع الى الشهوات اشد الميل ولا علم ولا تربية تقوى على صد تيار هوى الانسان وشهواته اذا تهيات أسبابه كما دلت عليه الشواهد العديدة فاحتجاب النساء كما تستدعيه وظيفتهن مما يجعل التربية تؤثر تأثيرها الحسن وهو أحفظ لحرمتهم وأسلم لشرف الرجل لما في الاطلاق من الذهاب بعفتهم كما دلت عليه المشاهدات وكما يستفاد من أقوال علماء التمدن الحالي .

ولا شك ان السبب في افراط بعض النساء المتمدنات وخروجهن عن حدودهن الطبيعية وسوء نتيجة التربية عندهن هو اختلاطهن بالرجال وعدم احتجابهن . اذ لو كان الحجاب مقررا عندهن قبل هذا الغلو الذي وقعن فيه لاثرت فيهن التربية تأثيرا حسنا كما قلنا ولما انتهت بهن الى هذه الحالة التي لا يستحسنها عاقل : فهذه بعض نساء الشرق الفلاحات اللاتي

يجتمعن بالرجال اجتماعا ماصدفة أو لفرض صحيح لما لم تسبح لهم محادثة
الشبان ومغازلة الغلمان ومخاصرة الفتيان ندر فيهن ترك العفة لعدم توفر
الدواعي . فالعفيفة في نساء الغرب مع هذا الاختلاط الكلي حكيمة
قاهرة لفطرتها دأمة الحرب بين لذتها وشرها .

وزد على ذلك ما يترتب على الاختلاط من المضار التي ربما جرت
الى خراب البيت وتشيت العائلة فان المرأة اذا كانت تنظر لغير زوجها في
جميع الاوقات وتطلع على معاش الناس مع اختلاف الحالات فان ذلك
قد يحرك عندها الشهوات ويجدد لها لوازم ربما أوقعت بينها وبين زوجها
المنازعات والمخاصمات فيؤول الامر الى الفرقة وخراب البيت . وكذلك
لا يعود من الاختلاط سوى تضررها بزوجها أو تضرر زوجها بها لانه
لو فرض ان زوجها فقير أو متقدم في السن واجتمعت بمن هو أغنى منه
أو أصغر لبطرت معيشة زوجها وكرهت الإقامة معه وكذلك الزوج ربما
عرضت له خواطر نفسية باجتماعها على أغنى منه أو أصغر فيؤول الامر
كذلك الى الفرقة وخراب المنزل . وكما ان الرجل لا تسمح نفسه برؤية
غيره لحرمه فكذلك المرأة لا تسمح نفسها برؤية غيرها لزوجها اذ النساء
أشد غيرة من الرجال كما هو معلوم . كل هذه أمور مؤيدة بالتجارب
الصادقة وبالمشاهدات الحسية وليس بعدد الحس دليل . ولنا نظن ان
أحدا ممن يخالطون المائلات غير المحتجيات ينكر ذلك .

يقول حضرة محرر المرأة ان البرقع والنقاب غير معروفين في الاسلام
وهذا قول يدفعه ما جاء في نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبي صلى

الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب . وهل لذلك معنى سوى ان النقاب كان موجودا ومعروفا وانه كان معمولاً به وواجباً وكان النساء يستعملنه حتى في وقت الاحرام فهذه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في هذه الحالة فقط ؟ يدل على استعمال النساء اياه ما تقدم من الاخبار . والافعال وقول عمر رضي الله عنه لجارية رآها مقنعة : « التي القناع لا تشبهني بالحرائر » وقوله لأخرى « يا لكاء أنتشبهين بالحرائر » وقوله « القناع للحرائر كيلا يؤذين » . واذا سلمنا بأن البرقع والنقاب كانا من العوائد القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده كما يقول حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة فكيف أمكنه أن يوفق بين هذا القول وبين ما قاله عند تفسير قوله تعالى : « الا مظهر منها » أي ما كان النساء متمعدات على اظهاره وقت نزول الآية وهو الوجه والكفان ؟ أليس في ذلك تناقض لا يخفى ؟

يقول حضرة محرم المرأة ان بعض الأئمة قال بجواز كشف الوجه في أحوال كالعليم ولاداء الشهادة وللطبيب الخ . أليست هذه هي أحوال الضرورة التي علق عليها الأئمة جواز رفع الحجاب ؟ ألم يجارنا حضرة بهذا القول ، ويسلم معنا من حيث لا يقصد بوجوب الحجاب وبأنه الاصل في الشرع ؟ أليس معنى « الجواز » ان الاصل عدم الجواز ؟

أما ما قيل عن علم عائشة فهو حجة على قائله لانها كانت محتجبة حجاباً تاماً بالاجماع والحجاب لم يمنعها من أن تكون بالصفة التي قالها حضرة . وكذلك كان كل النساء المسلمات اللاتي نبغن وبلغن درجة من العلم والمعارف

والكمال لا ينكرها أحد : فكن يعلمن الرجال ويحادثنهم من وراء حجاب
وان افتخر بعض كتاب وعلماء أوروبا بنسأهم وجعلوا لهم نصيبا وافرا
من أعمالهم فلكن فاقن في ذلك نساء مسلمات محتجبات .

فالحجاب لم يمنع وان يمنع مطلقا من تحصيل العلم الصحيح النافع
ولا تدريسه لمن يردن . قالت عائشة : « رحم الله نساء الانصار لم يكن
الحجاب يمنعهن أن يتفقن في الدين »

واذا قيل ان الحجاب هو المانع من التعليم ومن الترقى وانه الباعث
على الجهالة فكيف يمكننا أن نوفق بين هذا القول وبين ما نرى عليه كثيرا
من رجالنا من الجهالة العمياء والانحطاط الادبي الذي ما بعده انحطاط .
هل هؤلاء أيضا سبب جهلهم الحجاب ؟ وهل أفنى ثرواتهم وأضاع
شرفهم الحجاب ؟

ولو قيل بان بعض سيئات مسلمات في صدر الاسلام خرجن
ليتعلنن أو ليعلمن فليس معنى ذلك انهن تركن الحجاب بمعنييه وخرجن
مكشوفات الوجه بل الذي يمكن أن يقال انهن تركن أحد شقيه وحافظن
على الآخر .

وأما ما هو منسوب الى عمر من أنه دعى زوجته للأكل مع أجنبي
فضلا عن كونه غير ثابت فإن لنا من غيرة عمر رضي الله عنه حتى على
نساء غيره ومن أدب زوجته ام كلثوم بنت فاطمة بضع الرسول ومن
سيره في بيته على ما يوافق الحجاب التام وحرصه عليه ما يدفع صحة هذه الرواية
وكذلك ما روي عن عائشة من « أن اسماء بنت أبي بكر دخلت علي

النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه » فيكفيها لا ثبات ضعفه ايراد ما جاء بكتاب حسن الاسوة نفسه عن هذا القول من أنه رواه أبو داود وقال : « هذا مرسل خالد بن دريك وهو لم يدرك عائشة ! » فكيف اذا اتخذته قضية مسلمة بعد ذلك ونستشهد به خصوصاً مع ما هو مشهور عن أسماء بنت أبي بكر من شدة التستر وعدم التبرج وستر الوجه حتى في وقت الاحرام ؟ قالت فاطمة بنت المنذر : « كنا نخرم وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر » أما نساء الارياف عندنا وهن اللاتي اتخذهن حضرة صاحب تحرير المرأة حجة على مخالفة الشرع في عدم احتجابهن فقيه نظر : لانه ليس من ينكر ان نساء الوجوه والاعيان منهن لا يخرجن من خدورهن واذا خرجن تبرعن . وأما نساء غيرهم من أهل القرى فعدم احتجاب بعضهن لضرورة مساعدة أزواجهن على اكتساب رزقهم وهذه الضرورة مما تبيح المحظور شرعاً وداخلة في ما يمكن إباحته استثناء بشرط عدم الابتذال ولو أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن (١) على ان أهل القرية الواحدة يعتبرون

(١) - ان اشترك النساء مع الرجال للضرورة لم تحظره الشريعة الفراء وله شواهد كثيرة منها أن زوجة الزبير كانت تنقل النوى لعلف فرسه من مسافة بعيدة ونقد لقبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فارادان ينيخ لحملها على ناقه رافعة عليها وهي حاملة النوى فاستحيت من ذلك . وكان من نساء في عهد النبوة وراء الجيش من يداوي الكملى ويسقي العماش ويجبر تكسر ويأسو الجرح . ومنهن من كن يشتغلن بالغزل والنسج والخياطة وغير ذلك مما يناسبهن اعانة للرجال . غير ان ذلك كله لا يشترط فيه الابتذال وعدم الحجاب كما أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن .

أنفسهم كاهل بيت واحد وعائلة واحدة ولذا ترى الواحدة منهم اذا قبل
 أجنبي على القرية احتجبت بطرف من ثيابها أو أدارت وجهها نحو حائط
 ان كانت غير متبرقة كما ان الواحدة منهم تجدها في الغالب ان لم تكن في
 مهنة يبتها مرافقة لزوجها أو أحد أقاربها المحارم وليس من يجترى على
 التعرض لها لمحافظة الجميع هناك لعمد قريب على الآداب والدين أكثر
 من حالة المدن . ومع ذلك فعند فلاحى الارياف عادة هي لجام لعدم
 الابتذال وهي اعلان بكاره البنت ليلة زفافها على رؤوس الاشهاد فان
 البنت متى عرفت ان ليلة زفافها سيأتي والدها وأهلها مطرفي رؤوسهم
 واضمي أيديهم على قلوبهم حتى يتحققوا من شرف عرضهم وينتظرون
 بفروغ صبر اشهار بكارتها ليفهموا الناس ان عرضهم محفوظ ولم يمسه
 أدنى ريب بسبب المخالطة أظنها لا تقدم على أمر مطلقا مما يثلم شرف عائلتها
 وأهلها ويحط بقدرهم امام الجمهور في تلك الليلة الموعودة بل ربما أدى
 الى الفتك بها تخلصا من العار .

ومع كل فاذا كان الفلاحات أو كل نساء العالم قد تركن الحجاب
 وابتذلن هل هذا يحط من أصل الدين ؟ كلا . فالشرع شيء والواقع
 شيء آخر ويسوءنا ان نذكر هنا ان الفساد الذي مرى بيننا في المدن ابتداء
 ان يدخل ويفشو في الارياف بفضل الحرية وبسبب الاختلاط وبعدم
 غيرة الأكابر والحكام على الدين فلا يبعد ان تصبح حالة فساد الاخلاق
 هناك مماثلة لما نحن فيه ويصبح الادب والكمال في خبر كان فلا حول
 ولا قوة الا بالله .

ولو نظرنا الى الفرنج واختلاط النساء عندهم بالرجال لرأينا ان السبب الاعظم في ذلك في مبدأ الامر طبيعة أرضهم وما تلزمهم به حالتهم المعاشية من الكد والنصب فلزم ان تساعد النساء الرجال في تحصيل العيش والاكتساب فبرزن من خدورهن ثم رفعن حجابهن واسترسلن في الابتذال وتعودن على الاطلاق وذقن لذة الحرية الواسعة فلم يعد يمكن أحدا ان يعيدهن لما كن عليه ولأن يحجبهن مهما قامت الدلائل الحسية والعقلية والبراهين الساطعة على فساد هذا الحال اللهم الا اذا كان لهن من انفسهن وازع وهذا قليل نادر وصعب على النفوس التي ذافت طعم الهوى ولذة الاطلاق . وهذا ما نخافه ونخشى عقباه لو جربنا ما يشير علينا به كتاب تحرير المرأة فنكون كالغراب الذي حاول ان يقلد مشية الطاووس فاخبط في سيره ونسي مشيته الاصلية .

ولسنا ننكر ان التفريط الذي بدا منا في أمر الحجاب ومبادئ عدم الغيرة التي سرت فينا ربما ادى بنا الى تمام التكشف والابتذال ان لم نتدارك الامر ونتلافاه بعزيمة لاتكل وهمة لاتعرف الملل .

اما الافتخار بان نساء الافرنج باوروبا يشتغلن في التجارة والصناعة و... الخ فلا محل له وليس هو في الحقيقة ونفس الامر الا مضرة من مضار الاختلاط لانه لما كثر الاختلاط وزاد الابتذال عدل كثير من الرجال عن الزواج اكتفاء بمن يجتمعون عليهم فكثرت الزنا واولاد الزنا الذين يسمونهم اولادا طبيعيين (١) يعيشون بلا أب ولا مرب ولا مال

(١) احصى عدد الذين يولدون في ممالك أوروبا من غير زواج شرعي فوجد

يسد عوزهم فيلزمون ان يبحثوا على عيشهم بادنى الدنيا وبكل الحيل
فكثر المتشردون وبلت البسلا بالاشتراكين والاعداميين وغيرهم .
والنساء منهم اصبحن يفرطن في كل مرتخص وغال لديهن التماسا للرزق
ويستخدمن في أماكن تجارية ويشغلن في كل ما يرتهن جالبا لهن رزقا
لينقوتن وليجمن مهورا ربما يحصان به على رجل : ولو ان الواحدة منهن
وجدت زوجا يكفيها اظنها تلزم بيته وتوفر عليها هذه الاتعاب .

انظر الى بعض الفرنسيات تر الواحدة تزيد في العمر عن الاربعين
والخمسين سنة وهي لاتزال بدون زواج لانها لاتقدر على المهر ولان الرجال
مشغولون عنها بغيرها فتضطرها الحالة الى ان تشتغل وتكد وتعبد لنا كل
ولتجمع المهر . ولست أفهم مطلقا أسباب الانتقاد على قصر المرأة المسلمة
في بيتها ومنعها من الاختلاط بغير محرم لها وها بعض نساء الفرنج العاقلات
العظيمات يأتقن من عوائد بلادهن : فهن لا يستقبلن أحدا الا في أوقات
مخصوصة ولا يسمحن بمقابلتهن الا لرجال مخصوصين قد لا يزيدون ممن
يجوز للمرأة المسلمة أن تقابلهم وتجتمع بهم من المحارم . أليس ذلك رجوعا
من عقلاء الفرنج واستحسانا لبعض عوائدنا التي يقبحونها لنا ؟ أليس ذلك

عدد من كل الف مولود كما يأتي : ابرلاندا ٠٢٦ روسيا ٠٢٨ هولاندا ٠٣٢ انكلترا
٠٤٨ ايطاليا ٠٧٤ فرنسا ٠٨٢ اسكتلندا ٠٨٢ اسوج ٠١٠٠ بافاريا ٠١٤ النمسا ٠١٤٦
(المقتطف)

وهذا العدد لمن تحقق بحجتهن بلاأب شرعي وربما كان فيمن ينسبون الى الآباء بحكم
المعاصرة وهم ادعياء في الواقع ما يزيد على هذه الاعداد ولكن للستر بالازواج لم يعدوا .

لكون تلك المادة عندهم - عادة الاختلاط والابتذال - يثن منها عقلاؤهم؛
 هذا ولقد وافق على ذلك كثير من علماء الفرنج واستحسنوا الحجاب
 ودونوا ذلك في كتبهم وقالوا : ان المرأة لا يلزمها أن تفارق منزلها ولا أن
 تجتمع برجل وناهيك بالمثل الألماني الذي سبق إirاده وهو : « يجب أن
 تحفظ البنت بين الأربعة أجيال أو بين أربعة جدران » نقول ذلك ولو
 غضب بعض أنصار التبذل يبننا الذين يريدون أن نقسبه بما يمدده المتمدنون
 أنفسهم فسادا . ولست أقول ان ذلك منهم لسوء قصد بل لعدم التدقيق
 في البحث فانهم لو دققوا البحث والتنقيب لقالوا غير ما قالوه ولعدلوا عما
 اليه هم الآن ذاهبون .

الحجاب الحالي وما يهددنا به

علمنا مما تقدم ما نحن عليه من الجهالة وسوء الحال وفساد الاخلاق الذي
 جر فساد العائلات . وما أمرع سريان الفساد في شرايين العباد . أصبح
 كتاب الله بين أيدينا وما من عامل به ! أصبح الحق ينادينا بأننا قد خنا
 أنفسنا وأهلينا وبلادنا وما من سامع ! أصبحنا نفتخر بتعلم اللغات وفشور
 من بعض العلوم وما علمنا ان تعلم ذلك شيء والتطبع بالمبادئ الشريفة
 الثابتة شيء آخر لا يوجد في الأبناء الا حكمة الآباء والتربية الصحيحة
 التي قد جهلناها جهلنا ما علينا من الواجبات لانفسنا ولاهلينا ! أصبحنا لا
 هم لنا الا أن نفتخر بتقليد الفرنج تقليدا أعمى في كل ما فيه ضررنا وباليقنا كنا
 نقدم في فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع فصرنا لا نتقدم خطوة الى المدنية
 الغربية ولا تترقى حاجياتنا الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل !

ولقد نال النساء نصيبهن من هذا التفريط في أمور الدين فخفن الحجاب وبرزن من خدورهن وصرن ولأجأت طوافات في الشوارع والمنزهات متبرجات متزينات يبدو منهن من الاشارات والحركات في الطرق ما يأنف منه الذوق السليم . ولعمري الحق ما هذه الامور التي نراها الا مخالفة كلها للدين ولصریح القرآن الكريم القاضي بغض البصر وعدم التبرج وعدم ابداء الزينة . ولكن ماذا نقول والغيرة على الشرع قد انعدمت أو كادت والفضيلة ذهبت وذهب رجالها والآداب اندرست ومات ذووها؟ والا فما معنى أن يروا أشد المنكرات بأعينهم امام محلات عبادتهم وفي طريقهم بل وفي بيوتهم ولا يعملون على محوها كأن غض الابصار الذي أمروا به هو صرف النظر وغض الطرف عما هو جار من تلك البدع والمنكرات . والله في خلقه شؤون .

ولا شك ان الضرر الذي أصبحنا فيه ما هو الامقدمة اضرار اخرى أشد وأنكى مادنا على غفلتنا هذه مسترسلين وعن صوا الحنا ساهين .

فيا قوم ان كان معتذرا علينا اصلاح ماتم فسادہ فلتحافظ على الأقل على ما بقي ان كان هناك بقية . فقد حصل الآن من النساء تساهل كبير في أمر الحجاب ولم يحصل لنا من وراء ذلك الا كثرة الفجور منهن وانها كهن حرمة الآداب وكثرة الفسوق والفساد وهذا أمر لا يخفى على أحد ويعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه حيث قال :

« ربما يقول قائل ان ما نسمعه اليوم عن كثير من النساء أكثر مما »

« كنا نسمعه سابقا وان الاشاعات عن الفساد أشد انتشارا بل ربما كان »

« الفساد في الواقع أوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنة مثلاً . ولا
 « منشأ لذلك الا رقة الحجاب . فالحالة القديمة على ما فيها كانت أصون
 « للاعراض وأحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التي طرأت على النساء
 « فنجيب عن ذلك بأننا لا ننكر ان بعض الطباع الفاسدة من الرجال
 « والنساء معا وجدت سبيلاً من تخفيف الحجاب الى تعارف بعضها
 « ببعض واثان ما تميل اليه من المنكر بل يزيد عليه انه لو استمر تخفيف
 « الحجاب يتقدم بالسرعة التي سار بها الى الآن - والنفوس على ماهي
 « عليه - لعمت البلوى وازداد الفساد انتشاراً »

« وقال أيضاً : « على ان البرقع والنقاب مما يزيد في خوف الفتنة
 « لان هذا النقاب الابيض الرقيق الذي تبدو من ورائه المحاسن وتختفي
 « من خلفه العيوب - والبرقع الذي يخفي تحته طرف الانف والقم
 « والشدقان ويظهر منه الجبين والحوارب والعيون والحدود والاصداغ
 « وصفحات العنق - هذان الساتران يمدان في الحقيقة من الزينة التي
 « تحت رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفي بمد الافتتان
 « بكثير ظهر . ولو أن المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع
 « خلقها ما يرد في الغالب البصر عنها »

نعم هذا هو الواقع ولكن هل هو مقتضى الشرع ؟ حاشا لله وكلا .
 ان الدين والحياء والعقل ومكارم الاخلاق والادب كل ذلك بريء من
 هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال . فالشرع كما علمنا يقتضي
 بستر المرأة وجهها وبدنها ولا يمتثلها خدرها الا لضرورة وبإذن زوجها .

ولكن قد طرأ علينا بفضل الحرية والاختلاط ورقة الحجاب وعدم الرهبة والخشية التي كنا نحسب حسابها من الله ومن الخلق ما قد يطرأ على غيرنا من الامور المخالفة لطبائعنا المخالفة لديننا وشرائعنا فصار داء فاستحكم فينا ويهددنا بتمام الوهن والانحلال ان لم يدركنا الله بلطف من عنده ويهملنا التوفيق والسداد في قولنا وعملنا . فان من قارن بين بلاد الشرق قبل استيطان الاجانب بها وقبل استيلاء بعض دول أوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من الآداب العامة رأى فرقا عظيما وتباينا كبيرا عما كانت عليه : كان المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون في الشرق يرون تحريم الزنا من الجمة الشرعية وقبحه من الجمة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج بعض نساء الارياض مكشوفات الوجوه فانه ما كان يجراً رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء من ذلك اهلك في الحال بايقاع اهلها به وربما أوقع به أجنبي منها . وكان الناس على اختلاف اديانهم يتحاشون وجود النساء معهم في المجامع واختلاطهم بهن في الافراح ويمتنع كل الامتناع دخول امرأة في مجمع لهم . واذا لعب الهوى بمقل امرأة تركت بلدها واقليمها وسكنت في بلد آخر خوفا من فتك اهلها بها ولا يمكنها ان تنتسب الى اهلها أو تخبر باسمها الاصيل بل تغيره وتدعي النسبة لغير اهلها سترا عليهم وخوفا من عثورهم بها . وكان لا توجد بنى في بيت متظاهرة بالبغاء بل تنسתר بقدر الامكان خوفا من علم الحكومة بها فان الحكومات الشرقية كانت محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية فكانت اذا عثرت بنى عاقبتها وبعدها خشة ان يسري

ضررها الى جاراتها . ولذلك كانت الاعراض مصنونة والرجال آمنين على
 بيوتهم غابوا أو حضروا لعدم اشتغال افكارهم بشيء يشوش عليهم من
 جهة النساء واذا سافر أحدهم سفراً بعيداً أو قريباً أوصى جاره على بيته
 فيتمهده أهله وأولاده ويقضي حوائجهم ويفار عليهم غيرته على أهله ويحافظ
 عليهم محافظته على بيته وعرضه . وربما جاور الرجل اخاه من الصفر الى
 الشيخوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه مرة فضلاً عن تعرضه
 لحرمة . وكان الرجال المسلمون أبعد خلق الله عن الحمر والنساء ما كانت
 تدوقها ولا كان الرجال يدخلونها عليهم لعلمهم ان ما بعد سكر المرأة الا
 الافتضاح والميل الى البغاء . فلما حصل الاختلاط بيننا وبين الاجانب
 بتدخلهم في بلادنا بالتجارة والتغلب وبأسفارنا في بلادهم فسدت أخلاق
 الرجال والنساء بما دخل من مسمى المدينة الغربية حيث دخل الشرق
 الكثير من نساءهم البغايا وفتحت المحلات جهاراً وتعرضن للشباب
 والكمهول في الطرقات وتزينن باحسن ما يمكنهن وخرجن يعرضن انفسهن
 على المسارة في الطرقات فاستلبن عقول الشبان ثم جذبن ضعفاء العقول وما
 زال الفساد يترقى من صورة الى افظع منها حتى فسدت اخلاق كثير من
 النساء الشرقيات فأخذ نساء الشرق يتجرأن على الخروج من البيوت سرا
 ثم تظاهرن فخرجن جهراً ثم تهادين حتى صارت المرأة تترك زوجها وتفتح
 لها محلاً في بلده أو حارته وانتهى الامر لشرب النساء الحمر فزاد التهلك
 وضاعت اعراض كثيرة واقتضحت مخدرات وذهب مجد بيوت عالية
 بخروج بعض نساءها لهذا الامر الشنيع . ثم ترقى التجور الى ان صار

النساء يحضرون مجالس اللهو ويذهبن الى التيارات ويشربن الخمر وهن بحضرة رجالهن . وصار الرجل لا يأمن اخاه على زوجته والجار لا يخاف الا من جاره ووقعت الشبهة على كل مار في الطريق واصبح أصحاب الاعراض النقية في حروب شديدة بما يقاسونه من السعي خلف الصيانة والحفظ والخوف من الانحدار في هذا التيار القبيح الذي جرف البيوت المقفلة على من فيها فهدم اسوار صيانتها وزلزل اركان عفتها وترك من كان فيها كالدر في الصدف متبدلا بين الناس معرضا للفساد وقد وقف الناس بعضهم على اسرار بعض فحدث كل صاحبه بمن يعرفها من النساء وما فعل بها من القبيح واخذ كل يشيع ماسمعه عن امرأة غيره وهو لا يدري ان غيره يشيع على امرأته ما هو اشنع وافظع .

وقد تهاونت بعض الحكومات الشرقية في هذا الباب تهاون الراضي بهذا الابتذال ورخص بعضها فيه بأمر رسمي وعالج البغايا للزناة باطباء عن عنده بدعوى المحافظة على الصحة . هذه أمور لم تكن معهودة في الشرق قبل ثلاثين عاما أي قبل زيادة الاختلاط بيننا وبين الاجانب . ولا يحسب ظان أن ما نراه خاص بنا فاصر علينا بل يظهر ان ذلك مقصود كل دولة اوربية حلت بلادا شرقية لحل عروة الدين التي هي العروة الوثقى في الجامعة العصبية والالتئام الوطني (١) وما على من عنده أقل ارباب فيما وصلت اليه حالة

(١) — جاء في جريدة (الزهرة التونسية) من عدة سنين أثناء كلامها على الحكومة الفرنسية ما يأتي: «وليس لها مآثر حميدة تذكر أو صنع جميل يشكر» «سوى تكاثر الفواحش والفساد والاضرار بالعباد فنذ نفيرت الهيئة البلدية السابقة»

الآداب عندنا الآن إلا أن يتأمل في حوائث المبيعات وغيرها وفي الطرق وفي احتفالات الموالد وسواها لينظر ماذا يفعل الرجال خصوصاً المتعلمون المذهبون حسب دعواهم - ولكن على غير الدين - مع النساء والنساء مع الرجال وليحكم بعد ذلك ان كان الرجال يعطون الطريق حقه وهو غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أوصاهم بذلك النبي عليه الصلاة والسلام . وان كان النساء يستأخرن ولا يحققن الطريق ويمشين بحافاتهما كما أمرهن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ كلا ثم

« عظم مصاب المومسات الاورويات وتفاقم خطب انتشارهن بين الحرائر في معظم »
 « الشوارع المتبثرة وفي حارات الاهالي والاجانب وكثرت أسواق الفجور واشتدت »
 « وطأة اتصاها بالشوارع وأبواب دكاكينهن ونجاذبهن أبواب العابرين واتسع خرق »
 « اعتدائهن على الحيران والعبث براحتهم بألوان المنكرات آناء الليل وأطراف »
 « النهار وما لجيرانهم من ظهير ولا نصير : يقدمون العرضحالات ولا يجاوبون ويشتمكون »
 « ولا يسمعون وكيف يرجى الاصلاح من ادارة مهملة مستبدة معتدية على القوانين »
 « لاداب لها الا استخلاص الفرنكين ونصف معلوم الاختبار الطي من ساكنات »
 « حوائث مصدرة بفرش لا تبعد ذراعين عن أبوابها بدون ان تأخذها في هذا العار »
 « لومة لائمة ... » وبعد كلام طويل في الادارة وسوء أعمال الاجانب فيها قالت :
 « وطالما كتبنا المقالات المسهية والاستلفانات المطولة ويناسوه الحالة الراهنة وهتك »
 « الادارة البلدية لحرمت النظمات والموائد باباحتها للمومسات السكنى حيث يشأن »
 « واحداثها أسواناً للفسوق بأحسن مراكزها وأهم شوارع مدينة توفرت فيها »
 « محاسن المدينة وحافظ أهايا على قوانين الحياء والآداب العامة فلم تكثرت بشيء من »
 « ذلك ولم يزد لها الاعنادا وكان لسان حالها يقول : اني أفعل ما أشاء وأخالف القوانين »
 « والعاجز من لا يستبد » « نقلا عن بعض المجلات »

كلا . علم الله ما كنا نسمع قبل تخفيف الحجاب في مصر عن فعل الفواحش
الا نادرا وفي محلات مخصوصة والآن نراه قد تفشى كالوباء في كل شارع
وفي كل حارة في بيوت يسمونها بيوتا سرية تأتي اليها النساء بفضل الحرية
ورقة الحجاب !! . ولا يقال ان ذلك من عدم التربية والتعليم لانه قد
دلت المشاهدات على ان الرجال المتعلمين قبل الجاهلين لا يقدرّون على
كبح جماح شهواتهم فيوسوسون لهن ويستميلونهن وهن لا يقوين على حفظ
أنفسهن فيملن طوع الهوى رغم التعليم والتربية كما سبق بيانه .

وهذا أمر لا شك في أن حضرة محرر المرأة بصادقنا عليه فانه لا
يجعل ما يجري بكثير من نساء الغربيين من الامور التي لا ترضاها عاطفة
الحياء بسبب التكشف لأعين الرجال والاختلاط بهم وكتابه في الرد على
الدوك داركور أعظم شاهد عليه وإنا اذا نظرنا الى حال بعض العائلات
التي خففت الحجاب وتعلمت المعلوم واللغات وعرفت الموسيقى والبيانو
وتربت التربية الغربية التي يفخر بها بعضها واختلطت لوجدنا العجب
المعجب : نرى ابتذالا ما بعده ابتذال ونرى الفيرة لا مسمى لها ونرى
العفة عندهم أصبحت كما قال المقطم الاغر « أمرا حقيرا لا يرعون له حرمة
ولا يجالون لصاحبه قدرا » نرى الرجل لا يبالي بمن يدخل بيته ولا بمن
يخرج وهم لا يمدون ذلك الا واجبا من واجبات الصحبة ناسين قوله صلى
الله عليه وسلم : ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا : الديوث والمترجلة من النساء
ومدين الحمر . قيل لهما الديوث فقال : الذي لا يبالي من دخل على أهله .

وقصارى القول أن جهلنا قد أوصلنا لما نحن فيه وفسادنا جر فساد

نساءنا وأبنائنا وفجورنا أدى الى فجورهم وترتب عليه رقة الحجاب وتبرج النساء والخروج والدخول بدون موجب الا زيادة الفساد وما دنا على هذه الحال لا بد وان نصير الى رفع الحجاب بالمرّة لان الزمن في تقدم وترقي في صفوف الابتدال باسم الحرية والمدنية والترقي العمراني . والتدرج سنة طبيعية للانسان . ولا بد أن ينعدم ما بقي في دما من الفيرة على العرض والشرف ان لم نعمل على درء هذه المفسد بقدر استطاعتنا ونرجع الى أحكام ديننا القويم وتتبع سنة نبيه الهادي الى الصراط المستقيم .

هذه هي حالتنا الخاضرة وهذا هو المستقبل الذي تهددنا : النساء الآن في اطلاق ليس بعده اطلاق قد أضر بهن وبأزواجهن وببلادهن . اطلاق يثن منه العموم . حرية واسعة تركت بعضهن يستسهلن كل بداء وفجور . كل ذلك حصل بسبب جهننا وعدم اهتمامنا بأمورنا واستسلامنا لعوائد غيرنا . ولعمري الحق ما المعلوم غيرنا فان الاجانب عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلي عن بعض أصول ديننا والتنازل عن عوائدنا وانما كان ذلك بتمهون الرجال في خروج النساء والتوسع لهن في المجامع وأما كن الملاهي وابتدال الرجال في السكر والسهر في البيرات والحارات وبيوت العاهرات وتركهم نساءهم يتقلبون على حجر الانتظار حتى وقع الملل وجرو الى الخبل والخلل ثم الى تكاثر العلل والعمود على الزال وأصبحت الطرقات ممتلئة بالمومسات في صور الحرائر وفتحت القهاوي لرقص الشرقيات بين أهلهن والاجانب واسود وجه المجد بما يسفه أحلام الشرقيين ويلحقهم بالقروء في التقليد الاعمي

وبدلاً من أن يقوم من بيننا من يدعو إلى الحث على مداواة هذا الداء بالتربية الإسلامية الحقة وتقييد تلك الحرية نرى الأمر قد انعكس وقام بهضنا - ولسنا نغني بالبعض شخصاً معيناً أو أشخاصاً معينين . كلا . بل كلامنا عمومي - يدعو إلى التوسع فيها باسم الشفقة والمرحمة وبطاب تحرير المرأة من الظلم الذي هي فيه برفع الحجاب وبالاختلاط . على أن الرجل - وهو أصل كل هذا البلاء - هو أولى بالتحرير من الجهالة ومن الفساد الذي أصبح فيه . وإذا دعى ذلك البعض إلى تربية اختار تلك التربية الغربية التي أوردنا حكم بعض الأوروبيين أنفسهم عليها فلا لزوم للاعادة .

ولا لوم على الفرنج إذا حاولوا الوصول إلى غاية لهم إنما اللوم كله على بعض المصريين المفتونين في تقليد الغربي: فانهم يوسعون تقاليدهم القديمة كلها ذماً وتقييماً بلا حق ولا رغبة في تحسين حال في أغلب الأحيان ولكن ترفلاً للأجنبي القوي . فهو لاءدأ بهم أن يثيروا خواطر الأجانب على اخوانهم في الوطنية . والمتمدنون منهم على اصطلاحهم يكرهون من هو من جنسهم ان لم يتبع خطتهم . مع انهم لو تدبروا لوجدوا أن ما يمزى إلى الأفرنج من العوائد المستحسنة والفضائل ليس كله من مبتكراتهم بل أخذوا عن الشرقيين والمسلمين كل فضيلة اتصفوا بها - كما هو شأن من يريد الإصلاح الحقيقي وتركوا أهم ردائلهم كالخمر مثلاً كانت كما قال بعضهم نصرانية فاسلمت .

فيا للعجب انظر إلى الطرقات والشوارع والمنتزهات ومحلات الموبقات ترها ملأى بالنساء والبيوت أصبحت خالية خاوية واشغال المنزل مهمة

وتربية الأولاد انعدمت وفقدت ومع ذلك ندعي ان النساء محبوسات
مسجونات مهينات فيجب تحريرهن !!

واذا اعترض معترض على ذلك الكلام فما جزاؤه الا السخرية
والاستهزاء ممن تكفلوا بهذه الدعوة يرمونه طورا بالجهالة وعدم الفهم
وتارة بحب البقاء على قديم العوائد وعدم تتبعه لتتبعات العصر والمدنية
الفريية ويقولون دعوه فانه « انتيكة » ولا يفيد معه كلام ولا يفهم فوائد
الاختلاط لما يستلزمه من تشارك الجنسين في الرأي وتجاوزهما فيما يعود
على الهيئة الاجتماعية بالفلاح والنجاح وشغلها معظم اعادتهما فيما يرفع
شأن الوطن والدين !!

هذا قول يجرح كل ذي احساس شريف ويسؤنا ان نراه يصدر من
بعض متتوري هذه الامة الذين ربتهم البلاد لينفموها لا ليسنوا لها ولا هلمها
سنة سيئة يتبعهم وزرهما الذين يوم الدين . ولو سألناهم أين تلك الأثم
التي ماتت فيها الشهوات البهيمية فصار النساء فيها لا يثرن في الرجال غير
عواطف الاخلاص واحساسات الشرف ومحبة النوع غضبوا وقالوا ان
ذلك موجود ولكنكم لا تفهمون !!

أما نحن فلا نتكلف الرد عليهم بل نثبت عدم وجود هذا الامر حتى
في ارقى البلاد مدنية وادبا بلسان امرأة ليكون الكلام أكثر اخفاما :
كتبت « مدام دو صون بروتون » ، احدى رئيسات جمعية من جمعيات
النساء فصلا في مجلة المجالات (مجلد ١٧) قالت فيه مامعناه : « بينما ترى
الرجال من أهل العلم والصناعة جالسين على مائدتهم بعد الطعام يتكلمون

في الشؤون العمومية مما له ارتباط بترقية الصناعات وتنمية المعلومات ترام عند دخول امرأة عليهم يدعون الاحاديث النافعة وذكروا نتائج السياحات العلمية والمكتشفات الطبيعية ويأخذون في غير ذلك . تجد أولئك الرجال الذين كانوا قبل ساعة في غاية الثبات والرزانة قد صاروا خفاف العقول لا يتمالكون انفسهم من التبسم واخذوا يبحثون في افكارهم على تلك العبارات التافهة والتحيات ذات المعاني المتنوعة التي كانت تستعمل بعينها في زمن لوزير الخامس عشر» هذه هي مقابلات النساء بالرجال في العالم المتمدن بشهادة نفس المرأة فلتتلق الله في انفسنا ولنعتبر باحوال غيرنا .

وانا ليضحكنا ما يقولونه من اننا نريد الاختلاط ولكن مع حظر الخلوة اذ ما فهمنا كيف يمكن التوفيق بين القول والفعل في ذلك . هذه نظرية دون العمل بها خرط القناد اذ كيف تقيد حرية بعد اطلاق؟ وكيف تمنع خلوة بعد تصريح باختلاط؟ ولو كان ذلك ممكنا لوجد بعض الفرنج من الضيق الذي اصبحوا فيه مخرجاً وفرجاً .

اناشدكم الله أيها المطالبون بتحرير المرأة هلا شاهدتم حال النساء التي قد مناذكرهن : ألا تزالون مصرين على رأيكم من ان بقاء المرأة في محل شغلها وهو بيتها الذي تنتهي وظيفتها عند عتبه سجن وجبس لها ؟ إذا اشتغلت المرأة باسغال بيتها ألا يتولد فيها النشاط والحركة فيجري دمها ويتقوى جسمها ؟ ألا تعتقدون ان ستر المرأة جميع بدنها اذا برزت من خدرها احكم للرجال من مخالفة غض النظر واصون للنساء مما يترتب على هذه المخالفة من المفسد ؟ أما ترون عدم الفائدة من خروجها وبيتها أولى

بها ومحتاج لها وزوجها متكفل بمصروفها وتفقتها وبالسعي على عياله ؟ وأي ضرر على الهيئة الاجتماعية اذا خرجت غير متبرجة بدون ابتذال مستورة الوجه ولضرورة ؟ ألم يكن الأليق طلب تشديد الحجاب والحث على زيادة الاعتكاف في البيوت والرجوع الى الحجاب الشرعي مادامنا جميعا مسلمين بان الحجاب الحالي بدعة مفسدة ومادامنا كلنا متفقين على ان حالتنا الادبية وصلت لدرجة لا تطاق ؟ أما تقرون معنا بان الرجل هو سبب كل هذه البلايا والمصائب ؟ أما هو المسؤول عن كل هذه المفاسد ؟ هل العلم والتربية كافيان لمقاومة الميل النفساني اذا تحكم الدافع الشهواني متى نهأت اسبابه ؟ اظن لا . ومن يكابر فما عليه الا ان يسأل ليسمع واذا لم يصدق فليجرب . ولكن هل اذا تربت البنت تلك التربية الاسلامية الصحيحة التي اشرنا اليها وتهذبت اخلاقها ولزمت الحجاب الذي به تمام تربيتها ألا تنظم يديها تنظيـم غربية ؟ ألا تأنف من مخالطة من هي اخط منها في الدرجة وابعد عن التصون والعفة وألا تكون أهلا لأن تعرف حقوقها وواجباتها ؟ انا نرى أغلب انواع التبذير والاسراف والتفريط في العرض وعدم الفيرة تصدر من الطبقة المقال بأنها تعلمت وتهذبت رجالا ونساء . فما لهذه التربية وهذا التعليم لم يدرآ هذه المفاسد ؟ أليس لكونهما جارين على النمط الغربي الذي يثن منه نفس الغربيين كما دلت عليه أقوال أعاضم علمائهم ولان الحجاب قد خفف عند هذه الطبقة حتى كاد أن ينعدم بالمرّة ويرتفع تماما ولانهم لم يعدن يسمعن « هذا حرام وهذا حلال » ؟ بل وماذا أفاد الابتذال والاختلاط بالبلاد الاخرى سوى عدول

الكثيرين عن الزواج وتناقص عدد المواليد فيها وعدم الاهتمام بالشؤون المنزلية وكثرة المتشردين وزيادة النفقة على التزين والتحلي لما تستلزمه من النفقات دواعي الاختلاط والحضور في الاحتفالات والجمعيات حيث كل امرأة تريد أن تتألق لتحوز الاسبقية في أعين الحاضرين : وبإلها من جناية عظمى على البلاد والمباد ؟

كيف بعد ذلك يقال ان الحجاب غير لازم وانه لم يجعل لا للتعبد ولا الادب مع ان حضرة محرر المرأة نفسه قال في مبدأ كلامه على الحجاب ما يأتي بالحرف الواحد : « ربما يتوهم ناظر اني أرى الآن رفع الحجاب بالمرّة . لكن الحقيقة غير ذلك . فاني لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الادب التي يلزم التمسك بها . غير اني أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الاسلامية . »

واذا كان حضرته يعتبر الحجاب أصلاً من أصول الادب فكيف لا يكون الشرع أمر به . هل ترك الدين شيئاً من أصول الادب لم يأمر به وبحث عليه ؟ واذا كان الشرع لم ينص عليه أليست حالتنا الحاضرة تستدعي التمسك به بل وإيجاده ان لم يكن موجوداً اللهم الا اذا كان ما نراه لا يعد عند ذلك البعض فساداً ولا فجوراً ؟ وان صح ان بعض الأئمة قال بجواز التكشف مطلقاً كما يقولون - على ان الامر بالعكس - فلماذا نأخذ بقوله وترك رأي الاغلبية الموافقة لمصلحة الامة ولاصول الادب وهانحن نرى بعض علمائنا يطلبون عدم التقيد بمذهب دون مذهب في باقي المسائل الشرعية ؟

ولسنا هنا نطالب الا تنفيذ ما جاء في هذه العبارة : « الحجاب أصل من أصول الادب فيلزم التمسك به » الا أن المطلوب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشرع . . . والشرع قضى كما علمنا بأن الحجاب بمفهومه واجب وأمر به الدين وحسبه فخراً ان جعله الله تعالى من أحسن ما توصف به امرأة فقال : « حور مقصورات في الخيام » ووردت به السنة وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسوغ لموالي الاحكام ولا لاحد غيره من باب أولى ان يحكم في التحليل والتحرير بما يلائم زاجه مما يخالف الاوضاع الشرعية ولا عبرة بالاستكراه النفساني والاستحسان الطبيعي والاخذ بالرأي من غير دليل شرعي . قال أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه « اياكم والاخذ في دين الله بالرأي وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل وغوى »

نتيجة ما تقدم

ثبت مما قدمنا ان الحجاب الحالي غير شرعي . وان النساء لسن الآن محتجبات بل هن في الحقيقة متبرجات مفسدات . وان النقاب الشرعي يشترط فيه أن لا تبدو منه الا العين الواحدة أو العينان كما قرره المفسرون وكما كان الصحابة سائرين عليه . وأن الاصل في المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا أمكن أو عند عدم امكان الوصول الى ذلك يلزم على الأقل عدم المغالطة والتمسك في الشرع والدين لاعلاء فكر بخالفهما أو اظهار رأي يناقض ما أمر الله والله الهادي لسواء السبيل . وانه ليسر فأن نرى معظم الرأي العام مستهجننا مطالب نصراءه لا بتذال

فقد قرأنا في جريدة مصر الغراء انه قد ورد الى حضرة محرر المرأة خمسة وسبعون كتابا يهته فيها أصحابها على طرق هذا الباب وعلى ذهابه هذا المذهب ولكن ليس من بين هؤلاء المهثين سوى ثلاثة مسلمين !! والباقي ممن يفضلون طبعا مساواتنا لهم في هذا الامر مادام الابتذال مقدورا عليه واحتجاب المبتذلات ضربا من المحال .

وهذا الذي نراه من اخواننا المسلمين يقوي فينا الامل في تحسين الحال اذا وطدنا النفس على العمل والسمي في اصلاح نفوسنا وتقويم ما أعوج منا فعلى من يهمهم حفظ الاعراض وصون الشرف مما يخدشه أن يقدموا للحكومة الجلية بطلب السمي في منع هذا الابتذال وفي اعمال حاجزين المومسات والاحرار وتنقية الشوارع والدروب من تلك البيوت التي جلبت الضرر على كثير من الناس وبزيادة الاهتمام بامر الآداب العامة . ولئن نيل إن الحرية تقضي بدمع تمرض أحدا لا حد في أمور الخاصة قلنا : إن الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود وهذا الذي نسمع به ونراه رجوع الى البهيمية وخروج عن حد الانسانية واثن كان ذلك سائغافى بمض بلاد أوروبا فان لكل أمة عادات وروابط دينية أو بيتية وهذه الاباحة لاتناسب أخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الامة من غير أن يجني أو يغري بالجناية عليها بما يبيحه من الاحوال المحظورة . واننا نسمع انهم لا يريدون منا الا ان نطرق باب المدنية وهذا الذي نراه هو الهجومية بل الحيوانية الصرنة . لانه إما ان نقول عن زوجة الرجل شرعية لا يجوز تمدي الغير عليها أو قانونية عند من

يعتبر الزواج قانونا نظاميا وعلى كلا الأمرين يلزم أخذ الطرق اللازمة لحفظها وعدم ابتدائها وإتمامها حضر الزوج أو غاب. وهو مفرد لا يمكنه ذلك فانه فرد في مجتمع امة عظيمة فيبقى الأمر منوطا بالقائمين برعاية الامم وصيانة اعراضهم. ثم اننا نقول ان واضعي القوانين غير معصومين من الخطأ فانما هي افكار فرد أو افراد دونت بحسب استحسانهم فهي قابلة للنقض والابرام اذا رفعت الشكوى منها للقائضين على ازمة الامم ونهبوا الى اوجه النقص فيها. وهانحن نرى كل يوم ولالة الامور يدخلون التمديلات في اللوائح والقوانين حسب ما يرونه أزيد ملاءمة وأوفق لمصلحة البلاد. نرجو ان يحال بيننا وبين تلك الامور التي نراها بين ظهر انبعاثها منعا للميث في الاعراض النقية وحرصا على العوائد الاسلامية وسدا لهذا الباب الذي ما فتح بين قوم الا تركهم فوضى لا يحفظ. لهم نسب ولا يعرف لهم حسب. فليعقد أهل الشرف عزائمهم على انهم لا يغمض لهم جفن حتى تطهر المدن من هذه النجاسات التي لوئت كثيرا من طاهرات الذيل عفيفات الطباع والا فما ناب اليوم هذا سينوب ذلك غدا والآن يتكلم فلان في بيت اخيه وسيتكلم الغير في بيته فالبدار البدار يا ذوي الفيرة وجدوا في هذا الطلب المعدل الحق قبل تفاقم الخطب وفرقوا بين بيوتكم الطاهرة وبين تلك البيوت الخبيثة بحدي « هذا حرام وهذا حلال »، وامنعوا هذا الابتذال وقيدوا هذه الحرية واطلبوا الرجوع الى آداب دينكم القويم واعظم قانون يضمنه الأزواج لحفظ اعراضهم اذا عزا فقال تلك البيوت ومنع هذا الحال الى ان يشددوا في منع خروج النساء من البيوت

ويقفلوا ابوابهم في وجه كل داخلية من غير اقاربهم واصهارهم ومن يشقون بصياتهم والان بقيت الحال على ماهي عليه انجر امر الهممة شيئا فشيئا حتى لا يبقى بيت الاو للفسقة كلام في شأنه واقترأ على أهله . نجانا الله مما نخاف .
وبجمل بنا ان نختم هذا الباب بما قاله حضرة فريد افندي وجدى في مقالته
« نظرة في تحرير المرأة » بعنوان :

ماهو الاصلاح في حالة النساء التحجب ام الابتذال ؟

قال : اذا لم تثبت فرضية التحجب فبالاولى لم تثبت فرضية الابتذال
وعلى هذا يجب علينا ان نعمل بهذه القاعدة الاساسية العامة وهي : كل
ما زاد نفعه عن ضرره وجب أخذه وكل ما زاد ضرره عن نفعه وجب تركه
وكل ما تساوى فيه الطرفان كان لنا الخيرة فيه . اذا تقرر هذا نقول : ماهي
فوائد التبذل وماهي مضاره حتى نحكم بالاخذ به أو تركه على حسب هذه
القاعدة المقدمة ؟ نقول : لانرى في التبذل الافائدة واحدة . وهي سهولة
تعامل النساء مع الرجال وهذا التماثل لا تظهر فائده الا باشتغال الاوليات
بأشغال الآخريين . وقد سبق لنا ان برهنا على ان هذا ضد طبيعة المرأة
ويجب ان يعد من الامراض الاجتماعية اللازم استئصالها بالطرق الحكيمية
كما أثبتنا ذلك علميا . ولو اعترض علينا بأنه قد يستحيل محو تعامل النساء
مع الرجال مهما بذلنا من الوسائل . نقول : لو سلمنا بهذا الامر فلن يبلغ
عدد المتعاملات للضرورة جزءا من عشرة من مجموع نساء الجمعية المتمدنة
وعلى هذا فلا يجوز لنا أن نراعي الاقلية في اباحة شيء فوائده موهومة
ومضاره محققة منظورة . أما مضاره هذه فكثيرة جدا ولو لم يكن منها

الاسواق نسائنا الى الدخول في جميع الادوار التي دخلتها المرأة الغربية من جراء اختلاطها بالرجل لكفى هما وازعا قويا لرجل المشرق عن ورود هذا المورد الخطر .

ومن الأسف أنا معشر الشرقيين الجاهلين والمتجاهلين عظمة مدينتنا الاسلامية القديمة التي هي نموذج الكمال البشري قد اعتدنا أن نضرب بالاوروباي المثل في كل شيء . فان دعونا الى الاتحاد قلنا احتذوا مثال الاوروبي فيه . وإن نادينا بلزوم التماضد اشرفنا الى اقتفاء أثر الاوربي فيه وان سمينا في تحسين حالة النساء استلقتنا الانظار الى المرأة الاوربية وضرربنا بها الامثال . وهذا الامر منا نعمة من الغلطات الكبرى فان مدينة اوروبا مهما بلغ شأنها في الصناعة ناقصة من أوجه كثيرة نقصانا يؤذن باستحالة ثباتها على تلك الحالة . ولنا نقول ذلك من باب الحسد ولكن هي الحقيقة الناطقة لمن ألم باصولها وعرف اتجاه مجراها . وقد كتب الكاتب الروسي الشهير (تولستوي) مقالات ضافية الذبول مثبتا فيها أن كل أنواع الوحشية الاوربية القديمة . وجودة الآن في ارجاء البلاد المتقدمة تحت حماية العلم ولكنها تطورت في أطوار آخر وتشكلت بأشكال تفر البسطاء ولا تخفى على الالباء . وقد قرأنا مرة مقالة لكاتب في احدى جرائدهم يقول فيها ما معناه : « انا معشر الاوربيين قد رتينا في حياض المدينة ولكننا بغاية الاسف لم نكتف باقتطاف زهورها النضرة وثمارها الجنية ولكننا خلطنا ذلك بما فيها من حسك وحنظل وغرتنا الالمانى حتى بننا وقد أصبحت مدينتنا مشوبة بما كان يجب أن تبتأ منه

ولهذا هي قد آلت الى الانهيار على نفسها والسقوط بنا الى أسوأ مما كنا فيه . « ولا نشك ان من ضمن مساوي تلك المدنية هي حالة النساء فيها وقد أثبتنا ذلك من أقوال فطاحل كتابهم وعقلاء نسايتهم مما لا سبيل للمكابرة فيه . ولو كان المجال أوسع من هذا لا تدينا على الاحصائيات التي تشير الى المفاسد العامة والخاصة التي سببها المرأة الغربية بغلواتها في الحرية . يقول قائل : « نحن لم نشر بالابتدال المطلق ولكننا أشرنا بوجود كشف الوجه واليدين فقط . » نقول : « قد ثبت أن التدرج سنة عامة في كل شيء فان كشفت المرأة وجهها اليوم فمن المؤكد انها تتدرج منه الى خلع المدار للنهية غدا كما فعلت المرأة الاوربية وربما سبقتها في التبرج بعد حين قصير . » يقولون : « وما العمل اذا كانت المدنية الحالية تقتضي ذلك فهل يجوز لنا أن نحافظ على تقاليدنا القديمة المضرة رغمان مطالب الحياة المصرية ؟ » نقول : « ليس للمدنية مجرى واحد لا تمدها : فمن يكلف بدرس أشكال المدنيات القديمة يجد من التخالف في أصولها ما يجمله يحزم بأن طرقها كثيرة جدا وأحسنها ما كان سهل السلوك غير وعر الخطط مأمون العاقبة حاصلا على سائر مميزات الانسانية . ونحن لو قارنا بين المدنية الاسلامية الأولى (التي كان من اصولها احتجاب النساء) وبين المدنية الاوربية الحالية لوجدنا ان الأولى تفضل الثانية من حيثيات كثيرة : أولها انها كانت حائزة كل الكمالات الاخلاقية الصحيحة وفي التاريخ مقنع ممن كان له قلب ثانيا انها كانت أكثر تأثيرا على العقول فانها صبغت بصفتها في مدة قصيرة اما ظلت آلافا من الاعوام حافظة لما هي

فيه بدون ادنى تدرج ولا اقل ترق . ثانياً انها كانت أسرع سيرا من مدينة أوربا فانها ابلغت ذوبها في مدة عشرات من السنين أوجا من المظمة لم تزل أوروبا مقصورة عن نوالها فيه من غالب الخيئات ولا عمل لتفصيل ذلك هنا لما يستلزمه من مقالات ضافية الذبول .

بناء على كل ذلك يلزمنا أن ندير مدينتنا القديمة نظرة لتري ماهي تلك الاسس التي قامت عليها وماهي تلك القواعد التي ثبتت أركانها حتى يتحقق أكثرنا طموحا الى المعالي ان السلم اليها قد تركناه وراء ظهورنا وهننا في تيه البحث عن غيره على غير جدوى . فهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى أصوله لفنة علمية ترى انه هو المجد الصحيح الذي يجب ان تشد له رواجل الزائم والذي سيتمضح للعالم اجمع يوما ما انه هو نفس الكمال الذي ينشده الانسان وينلمسه الوجدان . نعم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك أنه دلي كل شيء شهيد) « ١ » .

هذا وبمد ان تها الكتاب للطبع وطبع معظمه قرأت في المؤيد الاغر (١) مقالة رائعة المعنى شائقة المبني لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد افندي وجدي الت بجميع اطراف هذا الموضوع بمبارة سلسة معقولة فائدا للفائدة وحفظا لهذه الدور والفرق قد رأيت ان أختتم بها كتابي ليكون ختامه مسكا ان شاء الله تعالى قل :

(١) انظر اعداد المؤيد نمرة ٢٩٠٦ و ٢٩١٣ و ٢٩١٤ بتواريخ ١٢ و ١١ و ١٢

﴿ رأى الطيعة في مسألة المرأة ﴾

« نشرنا بالمؤيد ثلاث مقالات في تهذيب المرأة ووعدنا في الاخيرة »
 « منها يبذل الوسع في تمحيص حقائق هذه المسألة المهمة قياما ببعض »
 « الواجب علينا اذ انها من أكثر المسائل ارتباطا بحياتنا الاجتماعية »
 « ولا تكفي فيها جولة قلم أو لفتة نظر . وتاريخ المرأة في البلاد المتقدمة »
 « من الادلة الواضحة على صدق ما نقول فان من يعاني درس الاحوال »
 « الاجتماعية للامم الغربية ولا سيما من حيث علاقتها بالمرأة لا يسمعه الا »
 « التسليم بأن هذه المسألة ان لم تكن أكثر الاشياء ارتباطا بحياة الامم »
 « فهي من أكثرها ارتباطا بها . »

« ان مسألة هذا شأنها من الاهمية تعموز كثيرا من الدرس والثاني »
 « وتستلزم اهتماما كلياً من سائر اصحاب الافكار في الامة حتى يكون لنا »
 « من نزاحم الظنون عليها مجاز ممد الى سرها الحقيقي . وقد أوردنا في »
 « مقالاتنا السابقة أقوال علماء العمران من القارين في هذا الموضوع مما »
 « يكفي لأن يعرفنا ان الضالة التي ننشدها لا يتوصل اليها من الطريق »
 « التي اتبعها المرأة الاوروبية ولا الاميريكية وان هناك طريقاً آخر أسلم »
 « خطة وآمن عاقبة . ولكن ما هو هذا الطريق وكيف يمكن الوصول اليه ؟ »
 « أنعمد على العرف والمادة في بحثنا عنه . مع علمنا بأن عرف اليوم قد »
 « ينتلب نكر العرف والمادة المستحسنة في هذه السنة قد تكون في تأييدها »
 « الرذيلة المستهجنة ؟ أم نقلد فيه سوانا على غير هدى وقد أذقتنا الحوادث »
 « علاقم تقليداتنا الاولى ؟ نعم لو كان أمامنا أمة تدعي أنها بلغت قمة الكمال »

« في هذه المسألة أو هي على وشك بلوغه لوجب علينا الانتداء بهاملا »
 « بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن ياتقنها »
 « حيث وجدها » ولكن الامر بالمعكس فلا نرى أينما وجهنا النظر في
 « الامم الا تشكيا من الحال وخوفا من المال . اذن لم يبق أمامنا الا
 « طريق واحد يؤدي بنا الى ضالتنا المنشودة من أسلم السبل وأقومها »
 « وليس ذلك الا باستفتاء نفس الطبيعة في هذه المسألة (قل انظروا »
 « ماذا في السموات والارض) فانها لا تضن علينا بالجواب الشافي مادعنا »
 « نجاهد في هذا السبيل باخلاص وصدق عزيمة (والذين جاهدوا فينا »
 « لنهدينهم سبلنا) ويكون حكمها في هذا الشأن غير قابل للنقض ولا التحوير »
 « كما هو شأن العرف والمادة لان الناس فيهما لا (يتبعون الا الظن »
 « وما تهوى الانفس) بخلاف نواميس الكون وقوانينه فانها ثابتة لا تتغير »
 « ولا تتبدل (ولن نجد لسنة الله تبديلا) وعليه فنحن سنسلك في بحثنا »
 « هذا عين الخطة التي يشير بها القرآن الشريف من درس نواميس
 « الكون والاعتبار بمحوادثها . لاجرم ان هذه هي الخطة المثلى ومن »
 « الغريب انها ، طابقة لما اصطاح عليه البشر بالقرون الاخيرة في الوصول »
 « الى الحقائق الصحيحة وقد سمو هذا النوع من البحث باسم (پوزيتيفزم) »
 « أي المذهب التجريبي . وقد رأينا ان نقدم بحثنا بايراد مقدمات محسوسة »
 « لا مجال للجدال فيها حتى نصل الى النتيجة التي نلسمها بكل اطمئنان »
 « فيرى كل قارئ وقتئذ بطريقة محسوسة أن ما قرره الشريعة الاسلامية »
 « هو عين ما تصرح به النواميس الطبيعية وتقتضيه الحالة البشرية »

« وسنفتح كل مقدمة بالآية التي تناسبها فنقول :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾
 « نحن لما كنا لم نعلم ان سمي المرأة في الغرب وراء نوال استقلالها المطلق »
 « من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذي درسنا بعض »
 « آثاره المحزنة في مقالاتنا السابقة وان هذه النزعة ربما انتقلت الى »
 « الشرق بطريق العدوى تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا ان نقيم الحجة في »
 « مقدمتنا الاولى على ان ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب »
 « المستحيلات الطبيعية وان الساعي في تحقيقه كالساعي في تغيير أوضاع »
 « نواميس الكون وهو مسمى يساوره لاخفاق من كل جانب . فنقول : »
 « اثبت علم التشريح ان الرجل أرقى من المرأة جسما من سائر »
 « الحيثيات وبدرجة محسوسة جدا حتى ذهب بعضهم الى ان المرأة الحالية »
 « ليست انثى الرجل الحالي بل هي انثى كائن آخر يشبهها في تركيبها »
 « وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له في الحياة »
 « فتغلب على أثنائه التي من نسلها المرأة الحالية . هذا القرض وان كان »
 « تطرفا من بعض العلماء الا أنه يدلنا على عظم الفرق بين هذين »
 « الكائنين كما نبينه تفصيلا فنقول : أثبت العلم بالتجربة أن متوسط »
 « طول الرجل يزيد عن متوسط طول المرأة باثني عشر سنتيمترا . هذه »
 « الزيادة تشاهد عند المتوحشين كما هي عند المتمدينين وعند الاطفال من »
 « كلا النوعين أيضا . وأما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجال »
 « ٤٧ كيلو وأما عند المرأة فلا يزيد عن ٤٢ ونصف . وأما من حيث »

« المجموع المضلي فانه عند المرأة أقل منه كما لا عند الرجل بكثير . قال ،
 « الدكتور (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبيرة عند ذكره هذا ،
 « المجموع : « انه أقل حجما وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته »
 « أقل سرعة وأقل ضبطا » أما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه ،
 « عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ جراما في المتوسط . أما الجهاز ،
 « التنفسي فانه لدى الرجل أقوى منه لدى المرأة فقد ثبت ان الرجل ،
 « يحرق في الساعة ١١ جراما تقريبا من الكربون وأما المرأة فلا تحرق ،
 « منه الا ستة وكسرا ولذلك فحرارة المرأة أقل من حرارة الرجل . أما ،
 « الحواس الخمس فقد أثبت الاستاذان (نيكولس وبيليه) انها أضعف »
 « عند المرأة منها عند الرجل . فهي لا تستطيع أن تدرك رائحة عطر ،
 « الليمون على بعد مخصوص الا اذا كان ضعف المقدار الذي يدركه الرجل ،
 « فيه . وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك ،
 « المخفف الا على نسبة ١/١٠٠٠ أما الرجل فيدركها على نسبة ١/١٠٠٠٠٠ .
 « أما حاسة الذوق والسمع فان الرجل أدق من المرأة فيها بكثير ويكفيك ،
 « دليلا على ذلك ان أهل الخبرة في تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق ،
 « نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء في دائرة المعارف الكبيرة . أما ،
 « حاسة اللمس فقد شوهد أن الرجل أدق من المرأة فيها . وقد برهن ،
 « الاستاذان (لومبروزو وسيرجي) وغيرهما بان المرأة تحتل الألم أكثر ،
 « من الرجل مما يدل على قلة احساسها به قال لومبروزو : وهذا من حسن ،
 « حفظ النوع الانساني فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل »

« والوضع وغيرهما ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله »
 « يرى مما مر كله ان المرأة بضعفها أكثر تعرضا لمصائب الحياة من »
 « الرجل وأشد استهدافا لأنواع الامراض منه . قال العلامة (تروسيه) »
 « في دائرة معارفه : « انه بالنسبة لضعف دم المرأة ونحو مجموعها العصبي »
 « نرى مزاجها أكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها أقل مقاومة من »
 « تركيبه فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب »
 « لديها أحوالا مرضية قليلة أو كثيرة الخطر : فان الهستيريا من أمراضها »
 « الخاصة وهي عرضة للخوروز والحمى النفاسية والسل والسرطان والجلطة »
 « عوارض محزنة هي من لوازم جنسها . »

« هنا يمكن أن يقول قائل : ان ذلك الضعف التشريحي الذي أثبتته »
 « نتيجة ضغط الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها . »
 « نقول : هب ان ذلك صحيح فاسبب رخامة صوتها ؟ على ان من الثابت »
 « علميا ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكفون نسايتهم بأعمال »
 « الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخلقة الى الآن ومع ذلك فان تلك »
 « الفروق تشاهد بيمينها بين رجالهم ونسائهم . قال الاستاذ (دوفاريني) »
 « في دائرة المعارف الكبيرة ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض »
 « متوحشي امريكا) كما يشاهد عند الباريزيين ، وعليه فلا سبيل للجدل »
 « في هذه القضية »

« أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة في الادراك فما لا مشاحة »
 « فيه حيث اثبتتها البسيكولوجيا (علم النفس) بالتجربة : فقد شوهد »

« أنه يوجد فارق جسيم بين مخي الرجل والمرأة مادة وشكلا . وكل من »
 « يعرف ان المخ هو مركز الادراك يعرف تبعا لذلك ان من كان مخه أرقى »
 « كان ادراكه أفضل . اثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار »
 « ١٠٠ جرام في المتوسط ولا يعترض علينا بان ذلك الفرق منشؤه حجم »
 « الاختلاف بين حجمي الجسمين لانه شوهده أن نسبة مخ الرجل »
 « الى جسمه هي كنسبة $\frac{1}{4}$ أما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة $\frac{1}{4}$. »
 « وفرق بين النسبتين . وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه أقل »
 « نظاما . وهذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين . »
 « وكذلك يوجد اختلاف بين المخين في المادة السنجابية التي هي النقطة »
 « المذكورة من المخ : فهي عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة »
 « محسوسة جدا . ولكن في مقابلة ذلك نجد مرا كز الاحساس والتهيج »
 « عند المرأة أحسن تركيبا منها عند الرجل . قال الاستاذ (دوفاريني) : »
 « وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الحيثية النفسية فان الرجل أكثر »
 « ذكاء وادراكا وأما المرأة فأكثر انفعالا وتهيجا . »

« لاشك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على »
 « ان مركز الادراك في الرجل أرقى منه في المرأة فيكون هو أفضل منها »
 « عقلا . ولا يمكن أن يعترض علينا بان ذلك نتيجة حرمان المرأة من »
 « التهذيب طول تلك القرون الخالية وان بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى »
 « يساوي مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها في الشعوب العريقة »
 « في الوحشية التي لاحظ لكلا الجنسين فيهما من التعلم فلو كان السبب الذي »

« رقي مخ الرجل عن المرأة هو التعلم فلماذا نشاهد تلك الفروق بنفسها »
 « عندهما وهما في حالة السذاجة الطبيعية الاولى التي لا يفضل أحدهما »
 « الآخر في مزية عقلية ما . ولكن ليهدا أنصار المدينة الغربية فقد أثبت »
 « القوم أنهم كلما ازدادوا تمدنا كلما ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة »
 « فقد جاء في دائرة المعارف الكبيرة مانصه : « الاختلاف الطبيعي يزداد »
 « وضوحا بازدياد التمدن بحيث فقد أصبح الفرق بين الأبيض والبيضاء »
 « أكبر بكثير من الفرق بين الأسود والسوداء الخ . »

« اذا تقرر هذا كله وثبت لنا بالبراهين المحسوسة ان الرجل أفضل »
 « من المرأة جسما وعقلا نقول : ان طلب مساواة الجنسين في سائر الحقوق »
 « هو عبث محض والساعي في تأسيسها كالساعي في جعل الارض تجذب »
 « الجسمين المختلفين في الوزن بدرجة واحدة وهو مما لا يتصور حصوله »
 « ولو حصل لاختل الكون ولاصبح أثرا بمد عين . فلتساعني حضرات »
 « السيدات في خشونة مقدمتي هذه فان الابحاث العلمية لا محابة فيها »
 « ولتسعن لي باختتام ما قدمته بأنهن سيبقين دائما تحت سلطة الرجال »
 « وسيطرتهن ولا عار عليهن من تحمل تلك السلطة الطبيعية بل يمار عليهن »
 « بما أتوا من الذكاء أن يسمين في نبذها : فذلك جهد يذهب ادراج الرياح »
 « ونحن بمسئ ان ازلنا هذه العقبة الكؤود من طريق بحثنا ندخل في »
 « الموضوع على النسق الذي توخينا هنا من استجواب الطبيعة واستفتائها »
 « جريا على أمر القرآن الكريم والله المستعان . »

﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

« لكل كائن في هذا الوجود (كمال) مسير اليه بقوة الارادة ،
 « الالهية ليتم الابداع الذي قدره الصانع جل وعلا لمجموع هذا الكون ،
 « البديع . فلكل شخص من أشخاص المواليد الثلاثة من جماد ونبات ،
 « وحيوان (كمال) خاص به قد تكلفت العناية الالهية بسوقه اليه رغم ،
 « انفه إما بواسطة النواميس الطبيعية كما في الجماد والنبات وإما بواسطة ،
 « الالهام الفطري كما في الحيوان . أما الانسان وهو ذلك الكائن السامي ،
 « فقد اقتضت حكمة البارئ عز وجل لفرض قد لا يدركه الا الراسخون ،
 « في العلم ان لا يخلقه مطبوعا على عمل خاص وانما يهبه مقابل ذلك قوة ،
 « ادراكية تصلح لان يتناول سائر ما يتصور من المعلومات الغير متناهية ،
 « من طرق غير متناهية وبوسائل لا يحصرها حد . »

« ومن يدقق النظر في أجزاء هذا الكون البديع يرى ان الخالق ،
 « تقدست أسماؤه قد وهب كلا منها خصائص يباين بها سواء لتسوقه ،
 « بقواها الكامنة الى اداء عمل خاص يخالف سائر أعمال الاجزاء الاخرى ،
 « ليتكون من مجموع تلك المتباينات الكونية هذا الوجود الذي نحار ،
 « العقول والابصار في جماله وكماله . على اننا لانستطيع أن ندرك كمال ،
 « جزء من أجزائه الا اذا علمنا (ماهية الوظيفة) التي خلق لاجلها ،
 « فيكون كماله على قدر احسانه القيام بتلك الوظيفة ،

« سبحانه الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى ، . قضت حكمته ،
 « تعالى أن يكون شأن الانسان في كل شيء مباينا لشؤون سائر الانواع ،

« الحية لحكمة لا يفقه كنهها الا هو . فينما ترى كلا من الكائنات قد »
 « سيق رغم أنه الى أداء وظيفته وطبع على التزام حدودها ترى هذا »
 « الانسان لم يزل يتساءل (الا من أحياء الله بالعلم اليقين) لماذا خلقت »
 « ومن أين أتيت والى أين أذهب ؟ ولكن لا نظن ان الخالق العظيم »
 « قضى على الانسان بالبقاء أبديا في هذه الخيرة فلا بد أن يكون قد »
 « أحاط وجوده بعوالم تتقاسم أحواله وأطواره حتى تؤدبه ولكن بعد »
 « هنا وهنات الى الطريق الاقوم والصراط المستقيم (سأريهم آياتي فلا »
 « يستعجلون) ونحن لو أردنا أن ندرج سر تدرك الانسان من البهيمية »
 « الى الانسانية الكاملة نجده في اكتشافاته المتوالية لنواميس الطبيعة »
 « وعدم معارضته لسيرها واستخدامه قواها لمنافعه الخاصة حتى يمكننا »
 « أن نقول ان نهاية الكمال المدني الذي سيدركه الانسان يوما ما (وان »
 « يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) هو اكتشافه لسائر نواميس »
 « الكون السائدة على وجوده »

« ولكن يجب علينا هنا أن ننبه بأن الانسان ليس بمفطور على ان »
 « يعمل بما يعلم فهو كثير المحاولة شديد المراوغة والتلاعب يلوح له الخيال »
 « والحقيقة في أمر فيغره الاول بظاهرة الموه وروائه المزخرف فيميل »
 « اليه وهو عالم بما يسوقه من النتائج الوخيمة عليه على أمل أن يقضي »
 « منه وطرا ثم يعود الى الحق عود التائب المنيب وقد يشكل عليه كلا »
 « الامرين أحيانا فيختار أكثرهما تأثيرا على هواه طائنا ان فيه دواء . »
 « وهو مثار جواه . ومنبعث بلواه . ولكن الطبيعة واقفة بالمرصاد تنزل »

« على العايب بنظام مبدعها عقاب ما اجتاحت يدها مصداقا لقول الله »
 « (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) لينفي الناس الى رشادهم وليتبينوا »
 « بتأثير المصائب طريق اسعادهم (لنذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم »
 « يرجعون) »

« كل هذه المقدمة لاتمد شرودا منا عن موضوع البحث فقد »
 « انتضاها المقام كما يلوح لكل متأمل فلندخل الآن الى سر مسئلتنا »
 « ولكن بعد أن نرجو القارىء أن يستحضر في فكره كل خرافات »
 « المتغاليات من النساء في المطالبة بالمرأ كز السياسية ومشاركة الرجال »
 « في ادارة الشؤون العمومية وفي الاشتغال بسائر الاعمال الصناعية »
 « ليطبقه على ما سنتلوه عليه من وظيفتها الطبيعية ليرى ان تلك المطالب »
 « يستحيل تحقيقها اللهم الا اذا تفسر شكل جسمهن وزاياتهن لوازم »
 « جنسهن فنقول : »

ماهي وظيفة المرأة الطبيعية

« للمرأة في الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع »
 « البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل ان يشاركها فيه لانه يتعلق بشكل »
 « التركيب الجسمي الامر الذي لا يمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد »
 « فمن يكون على بينة من علم التشريح يرى أن هذين الكائنين اللذين »
 « لا يفترقان في ظاهرهما الا بفروق صغيرة مختلفان في تركيبها الداخلي »
 « اختلافا كليا مما لا سبيل للمقارنة بينهما . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة »
 « لها جملة أدوار تعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لا تزايلها يجب الا لمام »

«بها لتدرك أهمية هذه الوظيفة وخطرها . فهي تستلزم الحمل والوضع ،
والارضاع والتربية . ومن يتأمل في مقدمة مقالتنا هذه ويتحقق ان
«لكل كائن وظيفة يتوقف (كحاله الشخصي) على حسن أدائها وجب»
«أن يتساءل معنا عن ماهية حدود وظيفة المرأة وعن كيفية حسن»
«أدائها لها لنعلم تبعاً لهذه البديهة العلمية على أي شيء تتوقف سمادة»
«الجنس اللطيف فنقول» :

ماهي حدود وظيفة المرأة واختصاصاتها ؟

«قلنا ان وظيفة المرأة تستلزم أربعة أدوار حمل ووضع وارضاع ،
وتربية . ولكن ماذا يفيد هذا الاجمال بالنسبة لهذه الاحوال الاربع ،
«التي وضع العلماء في شرحها قديما وحديثا مالا تكفي عدة صحف لسرد»
«أساميتها فضلا عن التعمق فيها ؟ فمن يبلغ عني تلك المرأة الحامل التي»
«تحمش نفسها في زمرة المضربين عن العمل بأنها انما تعرض نفسها»
«باستهدافها للوكرز والدفع الى أشد الاخطار على حياتها وحياة جنينها !!»
«ومن يبلغ عني تلك المرضع التي تصيح وتنفل انتصارا لرأيها السيامي»
«انها بذلك الانفعال النفسي تفسد لبنها فتسقي ولدها منه سما زعافا ربما»
«قضى على حياته القضاء المبرم !! ومن يبلغ عني تلك الام الحامية التي»
«تقضي طول نهارها في المدافعة عن مجرم تتخفف ويلات المقاب عنه»
«ومعظم ليلها في جمع المستندات وتنقيب شروح الشريعة انها باهمالها»
«التعمق في علم التربية تسيء آداب ولدها من حيث تظن انها تحسنها»
«فيشب شربرا اعتلا زنيما ثم لا تستطيع أن تبرئه عند المحاكمة بفنونها»

«الجدلية !! أليست هذه الاشياء كلها تمر دا على نوااميس الطبيعة وعصيانا»
«لاحكام مكوونها» ؟

«الليست اهمالا من المرأة اشؤون وظيفتها الطبيعية التي يتوقف»
«عليها كمالها وسعادتها واشتغالها بما يضرها هي ومجتمعها لا بماده اياها»
«عن كمالها الذي لا يتم كمال المجتمع الا به ؟»

«يقول قائل : وماذا يضرنا لو أحسنت المرأة عملها الخاص بهائم»
«التفتت الى عمل غيرها فساعدته فيه ؟ نقول لهذا المعارض لا يفصل»
«هذه القضية بيننا بحكم لا يقبل استثناءا الا الطبيعة البشرية نفسها فلنوجه»
«اليها هذا السؤال :

«هل تستطيع المرأة أن تبلغ الكمال في وظيفتها الخاصة بها مع»
«مشاركتها للرجل في وظيفته الخارجية ؟ انا لنسمع الطبيعة نصيح بيننا»
«بلسان فصيح قائلة كلا ثم كلا واليك التفصيل : أما في مدة التسعة»
«أشهر للحمل فلا تستطيع المرأة احسان عمل من الاعمال مطلقا لان»
«جنبنها في تلك المدة يدخل في أدوار مختلفة ولكل دور منها آثار تبدو»
«عليها وأعراض لا تفرق عن أعراض الامراض في شيء لانها نتيجة»
«تفاعلات باطنية تؤثر على مجموع البنية تأثيرا يختلف باختلاف طبيعة»
«الجسم نفسه من قوة وضعف . ولهذا الدور من أدوار حياة المرأة»
«شرائط صحية كثيرة اكتشفها الاطباء من تجاربهم العديدة ويجب على»
«الحامل ملاحظتها بالدقة وتطبيقها على سائر أطوار الحمل المختلفة لتخرج»
«منه هي وولدها سليمين والا فتكون قد عرضت نفسها لخطر قد»

«تذهب بحياتها هي وفلذة كبدها دفعة واحدة»

«يقول الاطباء : ولما كانت مدة الحمل في الحقيقة حالة مرضية»
 «وجب على أهل الحامل أن يعاملوها بمزيد الرعاية مع إبعادهم عنها كل»
 «ما يكدر أفكارها أو يعارض مزاجها لتأثير كل ذلك على صحتها وصحة»
 «جنينها وان يحتملوا ما يبدو منها من حدة الخلق وشدة الانفعال لأنها»
 «تكون مكرمة على ذلك من جراء الاضطراب العصبي الذي يلزم»
 «تلك الحالة»

«أما دور الوضع فهو دور شديد الهول كثير المخاوف تتعرض»
 «الحامل فيه لآلام حادة وتقع بعده في مرض حقيقي وضعف شديد»
 «وقد أفرد الاطباء لهذا الدور كتباً ضخمة ملأى بما يجب مراعاته»
 «نحو الوالدة من القواعد الصحية التي تكفل نجاحها من الحيات الكثيرة»
 «الانواع التي تهددها في ذلك الحين»

«أما دور الارضاع فهو وان كان أقل خطراً من الدورين السابقين»
 «بالنسبة للام الا أنه أشد خطراً بالنسبة للطفل فان له قواعد مخصوصة»
 «وقانوناً يجب مراعاته تمام المراعاة لان اسراف الام في أكلة متبلة»
 «ربما جرت على طفلها نزلة معدية أوردته حتفه أو ربما أكرثت من»
 «ارضاعه بغير تدبير فسببت لديه نخمة تنكد عليها حياتها وحياة أهل»
 «بيتها أجمعين . وليس الامر قاصراً على هذا فان الطفل يحتاج من يوم»
 «ولادته الى يوم فطامه للملاحظة شروط حمة بالنسبة لتغذيته وكسوته»
 «وتنظيفه لو أهمل منها واحد أثر على المولود تأثيراً سيئاً ولو كان في»

« بلادنا أحصائيات كاملة لعلمنا منها ان أكثر الاطفال يموتون من جهل »
« الامهات بشروط التربية الطفلية . »

« أما وظيفة التربية فهي من أقدس الوظائف وأدعائها للعناية »
« والاهتمام فان الطفل عند ما يخرج من ذلك العالم الغيبي تكون مرآة »
« نفسه خالية من جميع الصور مبرأة من جميع النوائب الاخلاقية والمعائب »
« النفسية وقابلة لأن ترسم فيها كل صورة عرضت اليها على علاقتها »
« ولكل من هذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عند »
« ما يشب وتسوقه رغم أنفه الى الوجهة التي تهيتها له . فما الجبن والشجاعة »
« وما المكرم والبخل وما البشاشة والعبوس الى غير ذلك من الرذائل »
« والفضائل في الانسان الا آثار تلك الصور التي ارتسمت في مخه وهو »
« خالي الذهن من كل شيء . فاذا كان الناس قد اعتادوا أن ينظروا الى »
« من ورث مالا فأساء التصرف فيه بعين الأسف المتلهب فبالأولى »
« يجب عليهم ان ينظروا بتلك العين الى الام الجاهلة بشرائط تلك التربية »
« بل شتان بين كنز يبذر وبين نفس كريمة تقتل قتلا أدبيا فيشب »
« صاحبها رغم أنفه جائحة على بني جلدته ومصيبة على اخوان ملته »
« أو بالاقول غير نافع لقومه مع انه لو كان ممن أسعده حظه فأحسنتمه »
« تربية ملكاته وتنمية مواهبه لشب وهو واحد من أولئك الافراد الذين »
« تسعد بهم الامم وترقى بهمهم الى أوج الجلالة والعظم . فهل يأتي على »
« الناس زمان يدركون فيه هذه الحقيقة الجليلة فيلقون على الأمهات »
« هذه المسؤولية العظمى ؟ وهل يأتي عليهم حين يعلمون فيه ان فن »

« تربية الاطفال ليس من الفنون البسيطة التي تتعلم في شهر أو شهرين »
« بل تقتضي سنين طويلة لانها تتناول معظم العلوم النفسية وكيفية »
« تربية الملكات ومعالجتها بالطرق الحلمية ؟ وهل يأتي عليهم وقت »
« يعرفون فيه ان هذه العلوم لا تساع موادها وتشعب أصولها لا تدع محلا »
« لسواها من العلوم الاخرى الا بما يقيم أود الفكر ويصقل مرآة البصيرة ؟ »
« اذا أتى علينا الزمان المنتظر فهل نقول وقتها بلزوم اشتغال النساء »
« باشغال الرجال وقد أثبتنا من قول علماء العمران في مقالاتنا السابقة »
« انها تسلخنهن من عائلتهن سلخا وتقوض دعائم أسرهن تقويضا ؟ ثم »
« هل نذهب الى ضرورة نبذ الحجاب واختلاط النساء بالرجال وقد »
« برهننا من أقوال العلماء من العالمين الاوروبي والامريكي على ان لا نتيجة »
« لذلك الا التهاك على التزين والتبرج واقنا الادلة من قول نفس المرأة »
« ان ذلك الاختلاط الذي يدعون ان فيه فوائد لنوعين لا أثر له في ترقية »
« شأن المرأة لانهم يقصرون المقابلات على تبادل التحايا ذوات المعاني »
« المتنوعة التي كانت تستعمل بعينها في مدة لوزير الخامس عشر ؟ بأي صفة »
« يلزمنا ان نصف المرأة التي تترك فلذة كبدها في حجر مرضعه أو مربيته »
« الجاهلة لتذهب هي الى اندية السياسة لتلقي الخطب في تأييد وزاوة »
« أو في تقنيده مطالب حزب من الاحزاب ؟ لا شك يجب علينا ان »
« نصفها بالجرمة الجانية المتعمدة لحدودها ولبازم منعها واستئذانها بما يمكن »
« من الوسائل الى ذلك المولود الذي ألقته القدرة الالهية الى عهدها »
« لتقيم أود جسمه وعقله عوضا عن اشتغالها بما لا يتعطل بدونها لانها »

«بخطبها إنما تؤدي وظيفة خطيب وكثير ما هم ولكنها باهمالها شأن»
 «مولودها تدعه لتربية الصدف وهي لا تكفي مهما كانت حسنة لان تبرز»
 «مكنونات الفطرة أو تستخرج عجائب القوى النفسية فيشب كما يجي»
 «لا كما يجب مع انه كان في مكنة امه ان تبت في روحه روح الكمالات»
 «والفضائل ومحيط نفسه بسياج من الحكمة تمنعه من مقارفة الرذائل»
 «ومسدانة المقاذر فيكبر رجلا صالحا يخدم امته خدما ترفع مجدها الى»
 «عنان السماء ويخلد لوالدته الفاضلة اسما بين فواضل هذا النوع الانساني»
 «فيرحمها من في الارض ويعلي عليها من في السماء هذه هي (المرأة الكاملة)»
 «المرية المحتجبة بحجاب العفاف والصيانة . حجاب الكمال والرزانة التي»
 «هي في لزوم بينها وعدم تبرجها كالقلب من الجسد محتجب بين الاضلاع»
 «لعدم استمداده مثلها لمقاومة المؤثرات الخارجية ولكنه احتجاب لم يمنعه»
 «من تأدية وظيفته السامية للبدن كله كما لم يمنع الناس من تقديره حق»
 «قدره فهو مستودع الحياة ومنظم حركات سائر الأعضاء . وهو»
 «المخصوص بالرعاية والملاحظ بكل العناية»

«يقول: قائل ان كلامك هذا يقرب ان يكون خياليا شعريا بالبعد»
 «تحققه لاسيما ونحن في زمن لعبت فيه الالهواء بألباب الرجال وصار»
 «من الصعب فيه تمييز النقص من الكمال حتى لانجد فيه الا غارا أو تي»
 «هيل الشياطين أو مغرورا دافعه وهمه الى أسفل سافلين . زمن لا يطبق»
 «فيه العلم على العمل الا في الصناعة فقط وأما ما يختص بهذيب النفس»
 «وكبح الالهواء فيقتصر على تدوينه في الاسفار الضخمة ليتلوه من أراد»

«أن يفهم معنى علم الاخلاق فلبست الوحشية والبعاذ بالله لباسا من»
 «استبرق الصناعة ونحلت من حلي الفنون الجميلة بما يغفر البسيط حتى اذا»
 «قرب منها أبرزت له أنياب الافاعي ومخالب الاسود الضواري فزقته»
 «أو يهجر ضررتها الانسانية هجرا كليا ويظل أمام هيكلها راكعا ساجدا»
 «يعبد هواه حتى يقضي الله أمرا»

«نقول لهذا القائل : نحن لم نرد أن نبعث في عجالتنا هذه عما اذا»
 «كان من الممكن أن أهمل المدنية المادية المصرية يوفقون بينها وبين»
 «مطالب الانسانية ولكننا أردنا فقط أن نعرف ماهية (المرأة الكاملة)»
 «وقد استجوبنا الطبيعة في ذلك الشأن فأجابتنا بلسان نواويسها الناطقة»
 «بأن كمالها لا يتأتى الا اذا عرفت كنهه وظيفتها ومبلغ اختصاصاتها وقد أريناك»
 «انها اختصاصات خطيرة على ملاحظتها سعادة البشر كما ان على اهمالها»
 «شقاءه ولا نظن ان ما أوردناه هنا يقبل جدلا لانا انما استفتينا نواويس»
 «الحكمة الالهية فافتتنا ومن أراد جدالها فقد جادلها كثيرون فكبتهم»
 «بعد ما بكتهم ولم يزل يجادلها الناس في كل مكان وهي تقيم عليهم الحجة»
 «بعد الحجة قولا وفعلا . أما قولا فبلسان علماءها ممن ذكرنا بعضهم»
 «سابقا ولو شئت لاتيناك بهم قبلا . وأما فعلا فبالفساد الذي ينتشر»
 «فيهم كلما لجوا في جدلها وتمادوا في محاولتها»

«نحن لانقول ان المرأة حاصلة على حريتها في أي أمة من الامم»
 «بل هي لم تزل مستعبدة أسيرة بجهلها في كل بقعة . ولكننا نقول»
 «والبراهين بين أيدينا انها أشد عبودية في البلاد الغربية منها في البلاد»

«الشرقية لان حريتها ليست في رفع الحجاب والاذن لها بالخوض في»
 «معتك الحياة وهو ذلك المعتك الهائل الذي لا ينال الفوز فيه الا باقتحام»
 «المخاطر . وتكبد مشاق تشق المرائر . معتك يا كل القوي فيه الضعيف»
 «وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلافة المضل أو بليته فقط بل بأمور»
 «أخرى أيضا مركزها العقل وحسن التصرف بقوى الفكر . ولوقارنت»
 «الرجل والمرأة من هاتين الحثيتين لحكمت لاول وهلة ان الغالب ان»
 «يكون على أي حال الا الرجل دون سواء كما أثبتنا ذلك علميا . فأي»
 «خديفة نخدع بها هذه المرأة الضعيفة أشد من جعلها ترمي (سلاحها»
 «الطبيعي) الذي يمكنها أن تنال به مركزها السامي في هذه الحياة وتتناول»
 «سلاحا آخر لا تحسن استعماله امام مغاليبيها مهما استبسلت وامتنانت»
 «اذا علمت ان الحياة حرب عوان وتنازع في البقاء فقل لي أي سلاح»
 «يليق أن تخترق به المرأة المسكينة صفوف هذه الهجاء المستمرة ؟ اتجعل»
 «سلاحها العلم ؟ السياسة التجارة ؟ الصناعة ؟ الزراعة ؟ كل هذه أسلحة»
 «يستطيع الرجل أن يغلبها بها ولا سبيل للمكابرة . اذا اهل خلقت المرأة»
 «ليطحنها الرجل بكلا كل الغلبة والقهر كما يرى ذلك في بلاد المدنية»
 «حيث نجد أسرابا من ذلك الجنس اللطيف يقضين الليل والنهار في»
 «العمل الشاق بالمامل لسد رمقهن وكسوة أبدانهن حتى لم يسمح لهن»
 «الشغل أن يتزوجن فصرن كما يقول الاستاذ (فريرو) وغيره لارجالا»
 «ولا نساء بل جنسا ثالثا من مميزات شعوب الوجه وعبوسه ودوام»
 «الا ككتاب والماليخوليا ؟ وهل من آثار حرية المرأة هجرة الشابات»

«والمعجائز منهم انى البراءة الشرقية بمشرات الالوف ليؤدين وظيفة»
 «خادمت عند الشرقيين أو حاملات لطفالهم ؟ اللهم ان كان ذلك»
 «التحرير يؤدي المرأة الى هذه الحال التيمسة فما أجدر نساءنا بأن يرفعن»
 «أيديهن الى السماء داعين الله أن يسبغ عليهم نعم الاستعباد باكثر»
 «مما هن فيه !!»

«كلا لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها»
 «ولكن بأي سلاح ؟ بسلاح وهبه الله اياها وليس من جنس سلاحنا وليس»
 «في مكنتنا أن نقابلها بمثله ولكنها بغاية الاسف غافلة عنه ولا تفكر فيه»
 «وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطورة وظيفتها وسمو مقام الهبة التي»
 «منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع»
 «التعجّل والاحترام ومحل الاجلال والاعظام لانها تعتبر عندئذ مايكة»
 «لازمة لاحساسات وسلطانة على منازع الطباع فهي ان شاءت جعلت»
 «الحكومة ملوكية وان شاءت قلبتها جمهورية وان شاءت عملتها اشتراكية»
 «وما ذلك الا بترية الاطفال على حسب أميالها وسوقها الى الغاية التي»
 «تتمناها فتها بها الحكومات ويخشى سطوتها الملوك في عروشهم السامقات»
 «ويعدونها مزعزة ان لم ترض عنهم الامهات . وتستطيع وقتها ان»
 «تقتاد الرجل بزمام من حديد لتنتقم منه على ما جترحت يدها في حقها»
 «حيث كان يتركها تعمل بجسمها لتنال بلفة تلمظ بها هربا من انياب»
 «الموت لولا ان الخالق قدست صفاته قد احتاط لهذا الأمر فوهبها»
 «من رقة الاحساس والشفقة المتناهية والمواطف الرقيقة مايؤهلها»

«لنزلنا هذه من السيطرة وقيادة الاميال فهي لا تأمر الانخير ولا تبعث»
«الامرحة»

«هذا هو سلاح المرأة الذي لو علمته لسمت اليه سميا حيثما ولرمت»
«بقول كل من يريد ان يلتفتها عنه عرض الحائط ولا تهتمه بأنه يحسد»
«مستقبلها فيريد ان يوجهها الى ما يزيد لها أسرا ويجعل عيشها مرًا . هل»
«ترضى المرأة عند ما تعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب ؟ كلا»
«لأنها تعلم ان ذلك يسوقها الى محجة الزين والتبرج ويمنحها الى البذخ»
«ومتابعة الاهواء كما اثبتنا لها ذلك مما لا سبيل معه للمكابرة وهو أمر»
«يعطنها بل يعيدها عن بلوغ شأوها المنتظر . ثم هل تميز لان تجاري»
«الرجال في الاشغال ؟ كلا . لان ذلك يسلمها عن عرش ملكها (اسرتها)»
«سلمها فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذي فيه سعادتها وحريةها . اذا»
«ماذا تعمل ؟ تعلم كيف تكون اما وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على»
«مطالعة أسرار التربية ومعائبها التي بها يصير الجبان شجاعا والبخيل»
«كرما والامبراطوري جمهوريا والاشتراكي ملكيا الخ وتترك التبرج»
«والتباهي بتعلم اللغات الاجنبية ولا تسرف في الزخارف فان الانهماك»
«على كل ذلك يعيدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجا»
«الى ما فيه عبوديتها ورفها . ولا يغرها لآراء من انطلاق النساء في غير»
«قومها ولا تستنتج من تطوافهن مع أزواجهن في الشوارع انهن أقرب»
«منها الى ذلك المستقبل السامي . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق»
«الى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن في التشكي من»

«حالتهم وقد نقلنا عنهم كل ذلك تفصيلا ومن استزادنا زدناه تطويلا»
 «تلك هي المرأة الكاملة وتلك هي حريتها الحقيقة وذلك هو سلاحها»
 «في معترك هذه الحياة فليتخذ الشرقيات هذا المثال نصب أعينهم»
 «وليعلم أن على التقرب منه شيئا فشيئا حتى ينل سعادتهم وينلنا سعادتنا»
 «المرتبطة بهم والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل . اهـ»



﴿ ذيل ﴾

كتب بعضهم - الموسيوا . م . دي افيرينو - في جريدة الفارد
الكسندري في عددها الصادر في ١٥ دسمبر سنة ١٨٩٩ مقالة عنوانها
« تحرير المرأة » يقول فيها ان نساء المسيحيين في البلاد الاسلامية كن
يحتجبن احتجاب نساء المسلمين لمهد غير بعيد ثم نبذن ذلك الحجاب
وبرزن من خدورهن واختلطن بالرجال وقلدن الفرنجيات فتقدمن تقدا
عظيما وافادهن الاختلاط فوائدهما ما كن يحصلن عليها وهن محتجبات.
وانه يصعب عليه ان يرى نساء المسلمين محرومات من هذه المزايا والفوائد
ولذلك يدعو الى الحث على رفع حجابهن واختلاطهن بالرجال وتخليصهن
من هذا السجن الذي هن فيه وهذه الحياة المرة التي تقاسيها: ويقول انه
ليس بعد ما أصبح عليه النساء المسيحيات دليل على نعم الاختلاط وعلى
ضرورة الاقتداء بهن وان من يرميهن بغير صفات العفاف والصوف
والكمال فقد افترى عليهن وكذب والا فلو كان ما يرموهن به صحيحا
ما كنا نشاهد هذا التقدم السريع والعظيم في البلاد المسيحية وهي اعظم
البلاد منعة وقوة واقدارا في هذه العصور باعتراف الجميع . كما أنه لا
يعتقد بقول من يقول ان لكل دين خلقا ولكل قوم آدابا وطبائع وان هذه
العوائد لا تلائم أخلاق المسلمين ولا طبائعهم اذ ماذا يضر المسلمين لو قلدوا
الفرنج في هذا الامر أيضا بعد ان قلدوهم في كل شيء : فقد قلدوهم في
الملأ كل والملبس وتعلموا لغاتهم وبنوا بيوتهم على طرازهم وسبقوهم حتى

في شرب الخمر الذي تحرمه ديانتهم !!

واختتم الكاتب مقالته بقوله انه مهما كانت مزايا الاختلاط ورفع الحجاب عظيمة ويجب تحقيقها للمسلمات فان يشك في أن النتيجة تكون حسنة بالنسبة لمن حتى لو اتبع في ذلك التدرج مادام الطلاق وتعدد الزوجات على ما هما عليه ولم تضيق دائرتهما ولم يجعلا على طريقة تضمن للمرأة بقاء الزوجية فان المرأة المسيحية يمنعها من الابتذال ارتباطها بزوجها أما المرأة المسلمة فاذا أيسح لها الاختلاط ورفع الحجاب مع بقاء الطلاق وحق الزوج بغيرها في يد الرجل كما هو الآن لكات النتيجة أوخم والعاقبة اسوأ والضرر أعظم ولا صبحت المرأة كمتاع تصبح في يد زيد وتمسى في حوزة عمرو بدون أن يكون لها بيت حقيقي تنسب اليه ولا وطن اليه تمزى ويكون مثل من دعى الى تحريرها كمثل من يملك منزلا آيلا للسقوط فلما حاول ترميمه تهدم وبقي صاحبه بلا مأوى ولا ملجأ ولذلك يجب على كل من يريد تحسين حالة المرأة المسلمة وتحريرها أن يسمى أولا في تضيق دائرة الطلاق لدرجة أن يكون كمنوع ثم تحرير الرجال من نير الجهالة الذي أثقل كاهلهم ورفع الفشاوة التي أعمت أبصارهم وبصائرهم . اهـ

هذا ما جاء في جريدة الفار . واثنا لا نتكلف الرد عليه بغير ما ذكرناه في هذا الكتاب ولا نقول ان عدم الطلاق من مسببات الابتذال ولا أن المرأة لو وجدت نفسها مهددة بالطلاق تعمل جهدها في ارضاء زوجها فقط نستلفت الانظار الى كتاب حديث وضعه الموسيو «اليرسيم» أحد علماء

فرنسا باسم « النساء المحررات » ليُلم نصراء تحرير المرأة ماذا انتج هذا التحرير بالبلاد لاوروبية وماذا ينتظرها من الاخطار من جراء فوشو هذا المذهب بل هذا الداء المضال . وهذا الكتاب وحده كاف للرد على جميع مدعيات نصراء الابتذال ومدحض لكل الحسنات الموهومة التي يتوسمونها أو يتخيلونها في تحرير المرأة . ومظهر ماهي أمانى المرأة الوهمية ومطالبها الخلية التي تحاول الوصول اليها باسم التحرير

فلنعتبر ولنتمظ ولا نفتر بما نراه ونسمعه من زخرف القول والكلام اللين ومحاولة الاقتناع والتأثير فللقوم غاية لم يبق مجال في اخفائها أو في تجاهلها بعد ان تردد صداها في الخافقين : فقد نقلت مجلة الموسوعات الفراء في عددها الصادر في أول شعبان سنة ١٣١٧ ضمن مقالة غراء عنوانها « نفقة صدور » بقلم حضرة مديرها محمود بك أبو النصر كلاما نشر بمجلة العالمين الشهيرة ليس لنا بعد ان نقرأه ادنى عذر في الاخترار بما يقولونه :

قال حضرة بعد كلام طويل :

« ومن قبيل هذه النفثات نفثات أخرى صادفتها في عدد ١٥ سبتمبر الماضي من مجلة العالمين منشورة في خلال مقالة ضافية للكاتب الفرنسي الشهير مسيو إتين لامي عنوانها « فرنسا في الشرق » وهي إحدى رسائله الطنانة في هذا الموضوع وقد شرح تاريخ نفوذ فرنسا في البلاد الشرقية وما اعتوره من قوة وضعف وبين مقدار ما يبذله قومه من المساعي المديدة والاموال الباهظة في سبيل تعليم مسيحي الشرق وغرس محبة فرنسا في أفئدتهم ليكونوا لها مصانع واحزابا ثم قال : « ومع ذلك

فهذه المساعي لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف المسيحية فمن الضروري اذن جمع شتات هذه الفرق حتى لا يما كس بعضها بعضا : ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم»

« وفي كلامه على المدارس المسيحية التي اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شط به القلم فظهر ما تكتنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى ولم يخش هذا الكاتب الفيلسوف الذي طالما تمسحق بكلمة الانسانية والتمدن وحرية الاعتقاد واحترام الأديان ان يجاهر في أشهر المجلات : مجلة العالمين بأن من الواجب على الامم المسيحية ان تما كس الاسلام في كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح ثم اخذ يقدح فكره في البحث عن اقرب الطرق وانجح الوسائط لنوال بغيتهم السافلة من ديننا وديننا اجزاء وفاقا على ما وقعنا فيه من الجهل والغفلة والاغترار حتى اهتدى الى ان مقاومة الاسلام بالقوة لا يزيده ان انتشارا فالواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على مقال هي تربية بنيه في المدارس المسيحية والقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لامسلمين ولا مسيحيين مذبذبين بين ذلك . قال : « وأمثال هؤلاء يكونون بلا » « ارتياب أضر على الاسلام وبلاده مما اذا اعتنقوا الديانة المسيحية » « وتظاهروا بها . »

« ولما انتقل الى تربية بنات المسلمين نفى كل ما في جرابه فانكشف الستر عن مكنون سره وتصعدت زفراته عن نار تتأجج في كبده الحرى

وتضطرم في نواذه اللبل فقال :

« ان طريقة تربية أولاد المسلمين في المدارس المسيحية وان كان »
 « لها من التأثير ما يبناه فان تربية البنات في مدارس الراهبات ادعى »
 « لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التي وراءها نسمى »
 « بل أقول : ان تربية البنات بهذه الكيفية هي التربية الوحيدة للقضاء على »
 « الاسلام من يد أهله » وهالك طرفا من عباراته عسى أن تكون عبرة
 وذكري للمسلمين عموما والفائين برفع الحجاب واختلاط النساء بالرجل
 خصوصا . قال ما ترجمته بالحرف الواحد (صحيفة ٣٢٨)

« ان التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد »
 « الاسلام في داخل حصنه المنيع عدوة لداء لا يمكن الرجل قهرها فإن »
 « الاسلام أسس على اهانة المرأة واذلالها فيكون خروجها من الاستعباد »
 « سبب دماره والتربية المسيحية أقوى باعث على خروجها لان المسلمة »
 « التي تربيها يد مسيحية تعرف ولا شك درجة اعتبار المرأة في المجتمع »
 « الانساني وتكتسب من المعارف ما يبرر اطعامها في الاستقلال »
 « ويقوي آمالها في الارتقاء فتعرف كيف تغلب على الرجل حيث تقوى »
 « رغبتها في الاستزادة من المعارف وتطلب علم ما لم تكن تعلم فتكثر »
 « من مطالعة الكتب جدها وهزلها حتى تظهر لها وظيفة المرأة متمثلة »
 « في مرآة التصور فلا تكتفي بأن تكون هي الزوجة المفضلة بل تحتم أن »
 « تكون الزوجة الوحيدة وتصبح وحدة الزوجة بتأثير المرأة من الامور »
 « الاعتبارية في الطبقات العالية كما هي الآن لدى أغلب الاثراك بتأثير الفقر »

« ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرّة وأصبح في قبضة »
 « تصرفها وهنا له تظهر تربية الراهبات لانه سهل على المرأة والحالة هذه »
 « أن تؤثر على احساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الاسلام وتربي أولادها »
 « على غير دين أبيهم وكلما قويت مداركها وعرفت بمقدار حقوقها »
 « وواجباتها كلما زاد بغضها لدين يهين الام باهانة الزوجة وفي اليوم الذي »
 « تغذي الأم فيه أولادها بلبان هذه التربية وتطعمهم على هذه الافكار »
 « تكون المرأة قد تغلبت على الاسلام نفسه »

« تلك هي أقرب الطرق وأتجح الوسائط لمحاربة الاسلام بأهله »
 « دون جلبه ولا ضوضاء وهي ولا شك أدعى لنوال المآرب وبلوغ »
 « المرام فليس لنا الا اتباعها . أما السمي جهارا في محاجة المسلم واقناعه بما »
 « هو عليه من الضلال فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة في نفسه »
 « الساكنة بين جوانحه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم في شيء اهـ »
 هذه نقشات مصدور أكتفي بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو
 أن تكون عبرة للآباء وذكري للامهات والابناء اهـ



مختار علاوة

قرأنا في مجلة «المنار» الاسلامية ، مقالات في الحياة الزوجية ، من إنشاء صاحبها ومحررها السيد محمد رشيد رضا المشهور باستخراج قواعد المدنية الصحيحة من الكتاب والسنة فأثرنا إلحاق ما نشر منها بهذا الكتاب ، لما اشتملت عليه من الحكمة وفصل الخطاب ، وهذه هي بنصها

﴿ الحياة الزوجية ﴾

١

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* (سورة الروم ٣٠)
« وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » (سورة النساء ٤)
الازواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الامم والشعوب .
يجتمع فردان فيكونان زوجا ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت به للاخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كونا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة ظهرت في صورتين ، وروح واحدة انبثت في جسدين ، وبناء واحد أقيم بركنين ، بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت الانسانية ، ولو هدم بناء واحدتهما بدم وجوده لما بقيت لها بقية ، « خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الامة فالامة اثر الزوجية

وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فاذا كانت البيوت التي يعمرها
الازواج ويبشون منها الافراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها
أولئك الافراد أحياء وكونوا بيوتا يكون مجموعها بلادا ومدائن وقرى
ومزارع يطلق على عمارها لفظ الامة . والمكون من الاجزاء الحية يكون
حيا بحياتها ، فالحياة الزوجية الطيبة هي الاصل في حياة الامة والنظر في
الاصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال معناها والى أثرها في
نفس الزوجين وفي آلهما وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل
إلى طلب الازدواج بامرأة وكل امرأة الى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي
تربط قلوبهما وتمزج نفسيهما وتوحد مصلحتيهما وتجعل الصلة بينهما أقوى
من كل صلة بين اثنين في هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الآخر
عند كل اضطراب ، ويأنس به مالا يأنس بالاهل والاصحاب ، وهي التي
تنقل المودة منهما الى اهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عونا للآخرى
على دفع مضار الحياة وجلب منافعها ، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما
بالتعاون على تربية الولد فتتم هذه الرحمة فيهما حتى ينتفع بها من يمجز
منهما عن مساعدة الآخر في الشؤون المشتركة لضمف أو عجز فيرى عاطفة
الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الانتاج وعن الاحساس
بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف في الميل
الفطري فيحوله عن جادته ويسلك به المجاهل والشعاب فيضل ويردى ،

لذلك بنى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ أولها واءتزوا
عليهن بالقوة حتى ألزموهن بالكيد والمكر والكذب والخلابة والتصنع
والدهان فأشقوهن وشقوا معهن في أنفسهم وفي أولادهم فساءت حالة
البيوت ، وساءت بها حالة الامم والشعوب ، فجاء الدين مرشدا الى
الرجوع بالفطرة الى جادتها ، بل العناية بتكميلها وترقيتها ، ثم بنى الناس
في الدين كما بغوا في الفطرة حتى عميت علينا معالم أكثر الأديان ، وحسبنا
ما حفظناه من هداية القرآن

يندفع الرجل لهضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوته
عليها وحاجتها اليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمتها المسخرة أو
متاعه المملوك . فأما الشعور بالقوة فهو آلة البغي في البشر ولولا أن
للرجل شعورا آخر بحاجة الى المرأة وميله اليها يمارض ذلك الشعور الدافع
إلى البغي عليها فيكسر من سورته لكان البلاء أعظم والشقاء أشد .
وكان يجب عليه أن يجعل عقله مؤدبا للشعور الدافع الى الشر ومؤيدا
للشعور السائق الى الحسنى لولا ما يمرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد
فيخرج به عن الصواب اذ يعتقد أن له الحق في أن يعامل المرأة بما يسوقه
اليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل . ولا سعادة في الزوجية ولا للامة الا
اذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل
هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كل منهما متمما لعمل الآخر في
الوجود فيما يشتركان فيه وعونا له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة
جهة الوحدة كما تساعد احدى اليدين أختها وتم كل من الرجلين سعي

صاحبها وكما يؤدي العقل وظيفة الفكر والقلب وظيفة الشعور والوجدان وكما تسمع الاذن وتبصر العين والغرض من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص . فاذا قام بناء الزوجية على هذا الاساس كان بناء الامة - الذي يتألف من الأزواج والافراد التي ينسلها الأزواج لتكوين أزواج في البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة - بناء محكما رصينا

اذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي في الامة فنقضت ما أبرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الأزواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة الى معالجة هذا المرض فإن انتشاره في الامة وباء محتاج ، وخسران لا يرجى منه نجاح ، لان من يضيع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمما لمعناه وحقيقته ، ومسوقا هو الى حبه بمقتضى غريزته ، فكيف يرجى ان يقوم بحقوق من لا يتصل به الا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة ؟ واذا لم يقم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تتكون الامة وتتحد على دفع الاذى ؟ وتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الابدان ومعرفتها أغمض وأدق ، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجماعات أكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة الا باصلاح العقل والقلب معا وذلك بافناع العقل بما تقدم الالماع اليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحد من الزوجين من الآخر وبترسية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيدا للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السمادة التي لا تبني الا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي متعذرة أو متعسرة وأما اقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير اذعان النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

إذا كان الناشئ على فساد الاخلاق وسوء الفعل لا يستطيع أن يقوم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على ان العلم بمعنى الزوجية والاعتناع بحقوقها لا يكون نافعا بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجدانا وشعورا فان العلم الصحيح ينزل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكلف حتى يزول اذا لم يكن راسخا وإلا ضعف أثره وحسنت الحال في الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدي الاخلاق أهنا من حياة الجاهلين الفاسدين أو أقل شقاء ونقصا . ذلك بأن العالمين يتجنب كل منها الى الآخر حتى يصير التكلف حبا أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يتقي كل منهما ما يسيئ قرينه بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معانها . ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساواة الزوجين فيما عدا رياسة المنزل وزعامة العشيرة يريان من يرزقان

من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما في ولدهما ما فاتهما من السعادة في
نفسهما . ولولا ان العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتحد بها القلب
مع العقل لما رأيت مصححا يظهر في الأمة الفاسدة الاخلاق يدعوها الى
التربية كما ترى في امتنا الآن اذن نحن في حاجة الى العلم بمعنى الزوجية
وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقةها

حسبنا في بيان معنى الزوجية وسرها تلك الآية التي صدرنا بها هذا
المقال وفي حقوقها بعض الآية الذي يليها . تفيد الآية ان أركان هذه الحياة ثلاثة
أولها سكن كل من الزوجين الى الآخر فان المراد بالنفس في الآية الجنس
والمراد بالزواج ما يعم الرجال والنساء . فالحكمة الاولى للزوجية ان يكون
لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن اليه من اضطرابه ومشاراته
الاضطراب في هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير معدودة وما
اخترع الناس انواع الملاهي واللعب الا ليقاوموها على ان اللب شأن
الاطفال لا شأن الرجال وان سكن الزوج الى زوجته وأنس الانسان بشقيق
نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون حياته لما يذهب بكل اضطراب
ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكمال معناها .

يقول المفسرون ان العلة في أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية
كما يظنه ظاهر اللفظ في قوله « وخلق منها زوجها ليسكن اليها » وهو صحيح
عقلا وطبعا فقد خلق الله في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا يجذبه الى
الآخر لا أجل ان يتحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب في بعض
أطوار العمر مبهما لا يتصور صاحبه الغاية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو ان

ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الغاية أيضاً. ولكن هذا التعليل لا يصدق على إطلاقه في الوجود الخارجي كما يعقل في الوجود الذهني لا مع كل زوجين ولا مع أكثر الأزواج كما قيل فإن الباحثين في حياة البيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالآخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهراً وباطناً. على أن هذا هو غاية الكمال في سعادة الحياة الزوجية وأتى اللاكثرين أو الأقلين بالكمال في هذا الحياة؟.

والصواب أن أكثر الأزواج في البشر يسكن بعضهم إلى بعض ويوده مهما كانت حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة في الحياة ولكن لهؤلاء الأكثرين منقصات في حياتهم هذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والامم وباختلاف الافراد في التربية والعلم والاخلاق والافكار واستقصاء هذا لا يكون الا في كتاب مستقل يكون فيه باب للزواج في القبائل البدوية وفي البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو في السذاجة وتقارب النساء والرجال في الأدب والمعرفة. وباب لاهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع افرادها أو أكثرهم. وباب أوسع للبلاد المذبذبة التي بعدت عن سذاجة الفطرة، ولم تصل إلى شيء من كمال العلم والصناعة، كالبلاد الشرقية التي طاف بها طائف المدنية الغربية فزائل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى ولم يبدلها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها. فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبعداها عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فانك تجد أكثر الذين أصابهم هذا

الزلال في حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه ، ونحن الى الدخول في هذا الباب أحوج لانا في بلاد الزال عأشون ، ولا هله في الاكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه في هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من وراثه

اختيار الزوج : جرى العرف بأن يكون الرجل هو الذي يتخير المرأة ويطلبها والاصل في الاختيار ان يكون للمصلحة وهي لا تتحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب في الصنف والطبقة لأن النفس لا تسكن وترتاح لمن يباينها في صفاتها ويخالفها في عاداتها. ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية في أعمالهم الاختيارية لأن اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعية يققون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والافتداء والعقل ينمو بالتجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود في نظر الافراد وترى بعض الناس يبني اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحة ويجعل مناطها الجاه والمال ، فالاصل في اختيار المرأة عند الامم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعا لهوى النفس المستلذ ، أو الثروة والجاه ايثارا للمصلحة الموهومة

أكثر ما يقع التخيير بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاهما) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفته الهوى لمن رأى أحدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش منبوطا ناعم البال قرير العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيئات

مايتوهم ولكن انى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشموره ووجدانه تعبت به الخواطر وتقوده الأمانى التي يوليهما عليه ذلك الشعور . ثم انى له أن يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون، وطاعة هواجس النفوس، فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث ان تحول الاستحسان استقباحا، والحب العارض مقتا وبغضا،

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال . ثم ان سلطانها على القلب الواحد لا يدوم أولا يطول الا إذا صار عشقا خياليا يخطف القلب من عالم الحس ويزج به في عالم الخيال . وهذا الضرب من العشق لا يكون مع ملك الاستمتاع بالمحبوب . على ان هوى الأغرار لا يتقيد بالحسن الرائع ، والجمال البارع ، قل لهؤلاء الاغرار ليست تلك العاطفة الرقيقة التي وجدتم ، عند ارسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم ، هي أثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلوم بل هي شيء كامن في النفس تحركه وتهزه في أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وقد يضعف ذلك الشيء في وقت ما وقد تمل الصورة المحركة له أو تعرض للمين صورة أخرى فتبطل حركتها، وتذسخ آيتها، فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة المعجلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لا هم لهم الا الاستمتاع والتنقل في الشهوات واللذات وهم أعرق في البهيمية من الطائفة الاولى لأن الشاب الغر الذي يكتفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه

دون الوقوف على أخلاق من أعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة أهلها وعشيرتها ليعرف المنبت والنبات - قد يتيقن ان تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعاده فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقمان باقامة هذا الركن الأول ركني الزوجية الآخرين - المودة والرحمة - بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة . وأما المترفون الذواقون من الامراء وأهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم أشقى الناس في بيوتهم وما أشقى نساءهم بهم . ذلك ان أحدهم لا يلبث ان يمل من تزوج بها لحسنها أو يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للأولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته، ومشق لمن يتصل به، فان المرأة عنده إما ان تفسد بفساده فتكون من الذواقات وما أسهل من ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليها وافتتانها هي بنفسها، وإما ان تعيش في نكد، وتظل في كبد، وكلا الامرين شقاء للبيوت وشقاء للامة - فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطأ في جمل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم أصلا لتخير المرأة زوجا . وأما جملة أصلا لتخير المرأة للرجل فذاك مما لا حاجة الي بيان فساد وخطأ الذهاب اليه

يقول قائلون ان النظر رسول القاب، وان الاستحسان علة الحب، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة له أو اثر من آثاره فما بالك تطلق القول في تخطئة

من يحكم استحسن الصورة وميل القلب في الاختيار كأنك تؤبد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالبا على السماع، غافلا عما يتبع هذه المادة من التنافرين الزوجين لأول وهلة، وما يرزآن به من الخصاص والجفوة؛ ونقول اننا قد يبدآن استحسن الصورة وميل القلب إلى ما يرضي العين مما لا بقاء له ولا ثبات لما يبنى عليه وإنما البقاء والثبات للحب الذي علته تعارف الارواح ومشاكله الطباع ولا ننكر مع هذا ان حسن الصورة وجمال الخلقة له أثر عظيم في نفوس عشاق المعاني ربما يفوق أثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات العارضة كالثياب والحلي . فان سليم الطبع لا تسكن نفسه إلى دوام معاشرة رث الثياب وسخها ويأنف طبعه من الطعام الطيب في الاناء الخبيث . وان من الناس من تشمئز نفسه وتنفر من بعض العيوب الخلقية فاذا هي فاجأتها في وجه من اختير له زوجها لا يلبسه ويأزجه حتى يتحد معه أتم اتحاد يوشك ان تنكمش نفسه انكماشا يتعذر معه الالتحام والالتئام لذلك كان من السنة في الاسلام ان لا يتزوج المرء الا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون في أكثر المدن أو جميعها مخالف للفطرة والشريعة جميعا ولكن حكم العادات أقوى سلطانا على نفوس الجاهل من كل حكم يخالفه ،

على ان من يطلب الازدواج لاقامة سنة الفطرة ، لا لمجرد ارضاء الشهوة، ولا لأجل التنقل في معاهد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة . ولعلنا لو أحصينا عدد الازواج الذين مقتوا أزواجهم استقباحا لصورهن لما وجدنا فرقا كبيرا بين من

تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فان للرؤية نظرا خادعا ليس معه للرؤية مجال ، والسمع يتثبت فيه ويتروى حتى يغني عن النظر في كثير من الاحوال ،

ويقولون في انتقاد ما عليه أكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب ان الحاجة الى رؤية الرجل من يريد الاقتران بها للوقوف على طباعها وأخلاقها وعادها ، أشد منها لمعرفة حسنها وجمالها ، بل لا بد لمعرفة الاخلاق والطباع من المعاشرة زمنا طويلا : ونقول ان هذا هو الذي يظهر بادي الرأي وأما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو أنه يتعسرا أو يتعذر على الشاب ان يعرف حقيقة أخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشعور والوجدان اذا كانت بمراي من الفتي ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عليها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على أخلاقها وسجاياها . ثم ان من وراء هذا الحجاب أو من امامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتي بالمظهر الذي تظن انه يرضيه ويجذب قلبه ، فالعمدة اذن في معرفة الآداب والاخلاق هي الوقوف على حال المنبت والعشيرة وخبر الصادق الذي يحسن النقد ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والجيران من المشائر أن يعرف فتيانهم أخلاق فتيانهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشمر برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ أحوالها وينتقد أعمالها وقلما يكون هذا في المدن الا بين الاقربين

وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) ان أهل الاستانة اذا رضوا بالخطاب دعوه الى دراهم وجمعوا بينه وبين بناتهم في مجلسهم فيراها وتراه ويسمع كل حديث الآخر وتسال عن آثاره الأدبية والعلمية ثم يكون المقدم بعد ذلك

وجملة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الأزواج ضالون لا يرجي لهم ان يكونوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاؤه حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يبنّي اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبنّي اختياره على ما يجب ان يبنّي عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا

٢

اختيار المرأة لمالها:

ان من يختار المرأة زوجها له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وانما كان غلطاً لانه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التغير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجة ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء ، أو مجلبة التماسه والشقاء ، وأما من يختار المرأة لانها ذات مال وثروة فهو انما يختارها لأمور خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وانما مطلوبه المال يتمتع به وهي عنده وسيلة له فاذا نزلت بالمال جائحة أو اغتالته غائلة صارت المرأة عنده كالشيء اللقا لا قيمة لها ولا حاجة اليها . وما عساها تصادفه مع وجود المال من الخطوة والكرامة فأجدر به ان يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء ان

يرائي بعضهم بعضا ويدهن أحدهما للآخر . وهذا شأن من يطلب المال
عفوا بغير عمل لا يكون الا مرثيا مدهنا

يعيش المنافق مع الناس الذين يدهن لهم في اضطراب دائم لأنه يشمر
في نفسه بأنه يعيش مع خصماء وأعداء فاذا لم يكن له من يخلص هو لهم
ويخلصون له كان شقاؤه دائما واضطرابه مستمرا . ومن أحق بهذا
الاخلاص من الزوجين اللذين خلقا ليسكن كل منهما الى الآخر ويلاسه
في جميع شؤونه لباسا يتحد به معه حتى يكونا كشخص واحد !! أرايت
إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح ،
ومبعث الحب والاخلاص ، وسبب المودة والرحمة ، علة للاضطراب
والانكماش ، ومثارا للرياء والدهان ، - أرايت اذا صارت الغاية التي يقصد
لأجلها الكسب ، وسيلة للرزق وطريقة للربح ، يلجأ اليها الكسالى المترفون ،
ويرغب فيها أهل الشر والطامعون ، - أرايت اذا وصل الناس الى هذا الحد
في فساد الفطرة ، والخروج عن محيط الشرعة ، أيكون المال الذي يعبدون
كافيا لتحقيق سماتهم ، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم ، ؟ كلا ان هؤلاء
لاحظ لهم في الحياة الا التوغل في اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا
يبالي واحد منهم بشرف البيت ولا بعزة الامة ، يخربون بيوتهم بأيديهم .
ويبدلون أمتهم بسوء مساعيهم ، بل هم آلات التفريق والتحليل لان كل
واحد منهم بهم بلذة نفسه ، ويجتهد في أن لا يتصل بغيره ، وكيف يمكن
ان يتحد بمجموع قومه ، من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه ، على
مالاتحاد الزوجين من العمل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية

يكثّر طلب المرأة الغنية لهذا المعهد في الطبقة المتعلمة على الطريقة المصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة الا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظرأن يرثن مالا كثيرا وأرضا واسعة ودورا عامرة . ولا تكاد تسمع منهم عند ذكر الزواج الا قولهم انني أطلب فتاة تملك دارا وكذا فدانا من الطين . وهذا دليل على ان التعليم الذي تعلموه ما كان الا ضارا بهم بما أفسد من فطرتهم ، وياشقاء من تزوج بواحد منهم ، فانما يكون حظها منه أن يستعين بمالها ، على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها ، وويل لها ان سكنت موافقة ، وألف ويل لها ان نطقت بخالقة ، لو ذهبنا نعد مفاسد هؤلاء المخدولين في اختيارهم هذا وآثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المنبهة ، ودخل في أبواب الكتب المطولة ، وكفى بما ذكرناه منها للفاصل وسائقا للنظر العقلي في ذلك وللبحث في حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين

وقد يشبهه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو استحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غير صحيح . ونحن لا نجهل ان مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « رمية من غير رام » والسبب في مثله أن يكون بين هذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب في الاخلاق وتقارب في العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران . ولكن هذا قليل لاسيما في طلاب المال وعباده الذين يرضون أن تكون الزوجية وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ

قلما يهنا لأحد معه عيش كما قلنا آتفا

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب ان يلاحظ في المرأة الصفات التي يرجى أن يتحقق بها مضمون قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله عز وجل « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » وقوله جل ثناؤه « محصنين غير مسافحين » وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها مالا بد منه في كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فما لا خلاف في اشتراطها منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والمآهات المنفرة ولا حاجة لتعليل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فانه من المعلوم بالبدهة ان النفس لا تسكن الا ذوي المآهات والادواء بل تضطرب وتزعج منهم . وأن المرأة المريضة لا تحسن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه . وأما ما يختلف فيه الاذواق فهو ما وراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسنا بارعا وجمالا رائعا . والميل الى الحسن والجمال غريزي في البشر وهو مما يختلف فيه الاذواق والمشارب ، « وللناس فيما يمشقون مذاهب » ولا نعرف شعبا من الناس يشترط رجاله الجمال البارع في الزوج وانما يمدونه من الاوصاف الكمالية الا من ذكرنا في النبذة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلا مع الهوى لا اتباعا للمصلحة ،

ولا اقامة لسنة الفطرة ،

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يندر من يمقت في المرأة صفة من الصفات إذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يمقت البهتة أو البهصلة أو الرسحاء أو النقواء . وقد تكون هذه الأوصاف من المنفات لبعض الناس . على ان لكل ساقطة لاقطة وانما يتخير الجمال البارع أو مادون البارع من يكون موصفا لتسايق رغبات النساء وأهلين اليه لمكاته وجاهه أو لثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليه اليه ويسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الأخلاق والملكات والعلم أو العلوم فأما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقاءها في جميع طبقات الناس على الجملة . وأفضل أخلاق النساء المفة والصيانة لان معنى الزوجية لا يتحقق بالاختصاص وانما تكون المرأة مختصة ببعلمها اذا كانت عفيفة . ثم إن الحكمة في الزوجية هي الانتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الامة وتعمق قوتها واختلاف الرجال على امرأة واحدة من أسباب قلة النسل فما هتك النساء حجاب المفة في أمة الاوغل نسلها بمقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك بما في اختلاط الانساب من المفساد . لا يوجد عيب من الميوب في الخلقة أو في الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها . ويمحو آيات منافعها وحكمتها ، كخيانة المرأة للرجل في نفسها . ويفتينا عن الاسهاب في بيان ذلك ما هو ثابت في الفرائض ومعروف بالاختبار . وقد من

الشاعر العربي على أولاده بتخير والدتهم من ذوات العفة قال
 فأول احساني اليكم تخيري لما جدة الاعراق باد عفانها
 ومن غريب اكبار الرجال لعفة نساءهم أنك تجد الفاسقين من أشد
 الناس غيرة لان علمهم بفساد النساء يزيد في حذرهم على نساءهم أن يكن
 كمن يعرفون من غيرهم وهذا من أسباب قلة الزواج في البلاد التي يكثر
 فيها الزنا لان أكثر الرجال يخافون أن يبتلوا بمن لا عفة لهن . وأغرب
 منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص ببعض البغايا .
 يحب الرجل بغيا توهمه ان له عندها من الخطوة ما ليس لغيره فيبذل لها المال الجم
 الكثير ليفنيها به عما تكسب من سواه ، وتكون خاصة به دون من عداها ،
 ومتى كانت البغي ترعي العهد ، وتصفي الود ، ؟؟ ولكنه جنون الرجال
 بالاختصاص والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب ، وكم أدى ذلك
 الى دماء تسفك ، وأرواح تزهق ،

ومن الاخلاق التي لا يتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة
 والحرص والاقتصاد فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يعهد اليها حفظه
 حريصة على ما بين يديها من مال الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء
 حال البيت ويقع فيه الشقاق ومحيط به الشقاء
 وأما الصفات والملكات ، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص
 والطبقات ، فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدير
 شؤون البيت . واذا كانت بيوت الشمر في الصحاري وشعاف الجبال ،
 وأكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين في المزارع والقرى ، ليس فيها من

الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال ما تعوز في ادارته وتديره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والعادة والقدوة فان في دور الطبقات العالية والمتوسطة من المتعالمين وكذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير. نعم ان غير المتعلمين لا يؤلمهم من فقد النظام في بيوتهم ما يؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه أو حملهم العلم بفائده على طلبه والاستقامة على طريقته . يبلغ حب النظام ببعض العارفين مبلغا لا يهنا له عيش ما دام يرى في داره شيئا من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خلاا يُطلب اصلاحه ككون حجرة النوم قليلة الاثاث تعرض فرشها وحشايا سريرها للشمس والهواء كل يوم ، وككون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا . ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها في يد ربه وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فاذا لم تكن امرأته قادرة على ذلك فان نفسه لا تسكن اليها ولا تكون هي قرة عين له . ولا تقل ان هذا يدخل في صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فان العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علما يقدر على العمل به وانما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة .

كثر في الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وربحانة معا وفي نسايتهم (لاسيما في الاستانة) عدد غير قليل قدربين على ما يحب الرجال . وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في

سوريا ومصر على هذا الرأي أيضا ولكن عدد المسلمات المتعلقات المتريات على هذه الطريقة قليل جدا في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المتعلمين ويبدأ وإذا ارتقى التعليم والتهذيب عما هو عليه الآن في الرجال فإن هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة ربحانة يتمتع بها ما صلحت للتمتع كالزهرة تشم ويمتني بها مادامت غضة ذكية فاذا ذبلت ألقيت . ولا رغبة لهم فيما وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبه فهي عندهم من جملة المتاع لا فرق بينها وبين ما يحصل معها إلى دار الزوج من الاثاث والماءون الا كما يفضل إناء آناء آخر من جنسه أو نوعه ولو أكثر عدد الفتيان المهذبن لبعه كثرة الفتيات المهذبات لانه متى عرف واشهر ان جماهير الشبان المحترمين لا يرغبون في غير المهذبة القادرة على ادارة المنزل واقامة النظام فيه بادر الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لان الفتيات يطلبن الفتيان دائما بلسان الحال والاستعداد - فكل ما يشكو منه بعض الشبان المهذبن من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين في الجمهور

وان لي كلمة قلتها ثم علمت أن للاوريين كلمة تخالفها فاذا ذكرها هنا أما كلمتهم فهي « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل على هذا ان النساء لا استقلال لهن في أنفسهن وانما هن تبع للرجال عند جميع الامم يولد للزوجين غلام وجارية فيريان الغلام على أن يكون رجلا مستقلا بيت كيتهما وعلى أن ينهض بكفالتهم عند الكبر أو المعجز اذا كانا فقيرين ، ويريان الجارية

على أن تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيموالها ويكفلها فيكتفيان أمرها .
ينشأ في الغلام من أول سن الإدراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة
غيره اليه وينشأ في الجارية شعور القصور والحاجة الى كفالة رجل غريب
مجهول ستكون تابعة له ، ومن التقاليد العامة في أمتنا وفي غيرها ان هم
النساء الا كبر هو أن يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لانهن في
حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم الا بلسان الاستعداد وكونهن
كالمحبوبين ويرغبون كما قلنا آنفا . ثم ان الولدين اللذين يريان الغلام والجارية
يعلمان ان تزويج الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث انه لا عار
عليهما ولا عليه في التماس امرأة بالطلب والبحث ولو ممن هم دونه وأنه
من العار العظيم أن يبحثا على زوج لبنتهما ويعرضاهما على الرجال وان كانوا
من الأكفاء وأشد من ذلك عارا أن تبحث هي عن الزوج وتعرض
نفسها على من تظن انه يرضاها ، وان الشرف والمصلحة محصوران في تعريضها
للخاطبين بتريبتها على ما يجب الا كفاء وبرضون . نعم ان الاوربيين قد
حاولوا تربية النساء على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات
رأيا في اختيار الأزواج وليكنهم لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم
يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات في معيشتهم غنيات عن الرجال
بل هم الذين يربون بناتهم على ما يرغب فيه جمهور فتيانهم ويخطبون الزوج
بالحال وبالمال جميعا ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر بمثله
من لم يبلغوا شأوهم في الحياة الاجتماعية وللجارية المخطوبة عندهم مقام
رفيع ولرربة البيت مكانة عالية ولأم الاولاد المقام الأعلى وانما قالوا كلمتهم

تلك للترغيب في تعليم المرأة اذ لا يقدر الرجال على إتقان التربية الاباسعاد
النساء لهم عليها . ثم ان هذه التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن
حتى علت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى منها ونقلنا بعض ما كتب
في المجلد الرابع فليراجع

الدين والاخلاق

ملاك تهذيب الاخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية
دينية صحيحة لم لهن تهذيب الاخلاق ، وكن مصدرا للحاسن الاعمال ،
وقرة أعين للرجال ، وقد عرفت الانتم الحية ذلك فعنيت بتربية البنات
على آداب الدين وأخلاقه وأعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها
وحكمائها . ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم مالا ينطبق على علمهم
القطعي فتركوا الدين للعلم يعتقدون ان الدين هو روح التهذيب والاداب
في البشر وأن هذا الروح هو الاصل في الحياة الزوجية والحياة القومية
لا سيما في النساء والناشئين فاذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال
غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة . والذين جروا على هذه الطريقة من
نصارى الشرق يتحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وان كانوا
لا يعتقدون ولا يؤمنون لئلا يتسرب الشك والارتياب إلى نفوس النساء .
بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين انهم يكونون في النادي أو
السامر ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون
الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف
الشعور به في قلبها . ولا تجد جزءا من هذه العناية عند المسلمين الذين

جهلوا الدين فأهملوه، بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم . وكل ما عند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل وياليت فساق قومنا وزنادقتهم يكتفون باهمال تربية النساء على آداب الدين وتعليمهن أحكامه ولا يظهرون لهن ما هم عليه من الفساد والاحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين أن كثيرا من المسلمين (الجغرافيين) (*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في شهر رمضان وإن منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ من أهل القاهرة أن رجلا تزوج بنت من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها إلى شرب الخمر معه فأبت ولما أعياء إلزامها طلقها . وأغرب من هذا ما يتحدثون به عن بعض أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال في معاورة الخمر ومن إحضار أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء إلى البيوت واجتماعهم في بعض الحجرات على المعاورة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاستار يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية أن الدين في أوروبا قد صار نسيا منسيا وأن ذلك لم يزد أممها إلا ارتقاء لأنه أثر الارتقاء وذلك أن هؤلاء لا تتوجه نفوسهم ولا يهذبهم استعدادهم إلا لمعرفة أمثالهم والصواب أن أكثر أهل أوروبا متدينون وإنما أبطلوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لأنها ليست إلا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك أشد الناس تعصبا

(*) نعبر عن المسلمين الذين ليسوا على شيء من الاسلام بالمسلمين الجغرافيين لان الاحصاء الذي يذكروا في كتب الجغرافية يمدحهم منهم . وقد نهينا على هذا من قبل

لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق في بلادهم لاسيما التي تغاب فيها الكاثوليكية كفرنسا وإيطاليا فان من الأسباب في ذلك المذهب الذي يمد من أصوله أن القسوس والرؤساء يغفرون الذنوب كما أن من أسبابه الحرية الشخصية وعدم النكير وإباحة الحرام الخبائث . ولقد يسهل على الفاسق ان يجد كثيرا من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الارض حتى ما كان فيها الفسق منكرا وممنوعا اظهاره لا يراه الا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما لا يخلو العمران منه وجده فاذا هو قصر همه عليه ، ظن أن كل الناس أو جلهم على مذهبه فيه .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
أهل فرنسا أقل الاوربيين تمسكا بالدين لتطرفهم في الحرية والجمهورية
التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطرا عليها ولذلك قاوموا جمعيات
القسيسين ومدارسهم وقد سألت فرنسيا عن تدين قوميه فقال أكثرنا
متدين يحب الله ولكن لا نحب الكنيسة

إذا فرضنا ان تعميم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية
قد يفني عن الدين في اصلاح حال البيوت والجمعيات فأوربا هي التي يمكنها
ان تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا
يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية التي أمسوا لا يبالون بها . هل الرابطة
الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل واضرابه من الأحداث المتفرنجين
كافية في هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية ، ووقع معظم أوطانها
في قبضة الدولة الأجنبية ، لأن تصلح ما أفسد الزمان فيها من الآداب

الشخصية والروابط الزوجية . لينكون منها أمة عزيزة قوية ، ؟ وهل يكفي في نفخ روح هذه الحياة الوطنية أن ينمق ناعق في الامة بمدحها وان لم يسمع نعاقه الا قليل ولم يفهم مراده منهم الا أقل القليل وأكثر من فهم ومن لم يفهم ، يرى ان النفاق وسيلة للدرهم ، ؟؟

ومن العجائب أن هؤلاء الاحداث المتفرنجين يهذون أحيانا أو كثيرا بالكلام في الامة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لا ينتبهون لوجوب بث روح الدين في البيوت وتربية النساء على أعماله وآدابها ليربوا الاطفال عليها بل تراهم يسيرتهم عوناً للجهل على افساد بقايا الدين التقليدية اذ لا يتعلمون شيئا من أحكام الدين ولا يعلمون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والموود هل عندها مال كثير يساعدنا على المصيف في أوروبا والتمتع بلذاتها؟ وأعجب من هذا انهم يدعون أحيانا الانتصار للدين بدم أوروبا وذكرا طمعها في بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم او على دينهم بما تبعته من الكتب والدعاة الى النصرانية . ويزول هذا العجب اذا عرف سببه وهو مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة الملة لينفحوهم بالدرهم والدينار وأنى يخدم الملة من لا يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يتحقق بمقائدها ولا يقيم عباداتها ولا يتخلق بأخلاقها بل أخذ عن أوروبا من الاخلاق والعادات السيئة ما يفرق به كلمتها ، ويبتل به وحدتها ، وينسخ به شرعتها ، ثم هو يشكو منها ومن آثارها في إفساد النابتة ومجموع الامة !!

وجملة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لا يمكن ان تكون سعيدة في نفسها ووسيلة لارتقاء الامة وتميزها الا اذا كان الزوجان مقتصمين بحبل الدين مستمسكين بعروته في الاخلاق والآداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادهم في ذلك . وان الخطر الذي يهدد المسلمين ، يندوهم بزوال سلطتهم من الارض لا يزول الا بصلاح حال البيوت الادبية على هذا الوجه . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لاربعة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا الترمذي عن أبي هريرة ولكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس لنا زعماء ولا سراة من أهل الدين والحكمة . واذا ظهر فينا زعيم فانا لضعف استمدادنا لا نتفجع به بل يحكم فيه جمورنا كلام الاحداث المفرورين ، الذين يضرهم ويفضحهم ما يدعوا من إحياء روح الدين ، !!

❦ المقالة الثالثة منقولة عن ص ١٨٢ من مجلد المنار الثامن ❦

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا الاثلة من المتعلمين والمتأدين على الطريقة الافرنجية وقليل من العارفين بكنه مدنية الافرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وان لم يتعلموا على طريقتهم . ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه ضارا من جهة واحدة هي عندهم لا توازن ولا تقابل بشيء الا وتكون أربى منه وأكبر وهي أن البنات المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكاتبته من تميل اليه من الشبان وإنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكى عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات

تسري وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس للقطع بأن علمها التعلم وأنه حيث وجدت العلة لزمها المعلول لا محالة. ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكاتبة البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وإنما هو شرط يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، لأن العامة لا تفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء فالعمدة في إقناعهم بمزايا تعليم البنات هو ظهور أثره الحسن في المتعلمات بمصروتونس وسوريا وغيرها من الاقطار ولم يظهر. علي ان التقليد يفعل في الامم مالا يفعل الاقناع وأشد الناس استعدادا لقبول له الشعب المصري واذا وجد في امرائه وكبرائه عناية بتعليم البنات تقليدا للأفرنج الذين يعاشرون ويمازجون فلا بد ان يعم جميع الطبقات وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام، وهي تنمو مع السنين والايام، فالآباء والامهات صاروا ينبذون بناتهم الى المدارس وهم لا يدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصلحة في ذلك الا أن البنات المتعلمة يرغب فيها الخاطبون الاغنياء مالا يرغبون في غيرها ثم انهم بهذا الاندفاع لا يميزون بين مدرسة اسلامية أو غيرها ولا يفكرون في خطر افساد عقيدة البنت وتحويلها عن دينها أو عادات قومها وخلاتهم الميزة لهم ولا في كونها تطرح الحياء وتجراً على مكاتبة الرجال كما يعتقدون لأن تيار التقليد الجارف لا تقف في طريقه هذه الخواطر ان هي طافت بهذه العقول الضعيفة والقلوب الميتة التي أعوزتها البصيرة والعزيمة، فلم تجدهما في واردة ولا تربية، وفي هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس به فيقبله المعتدلون وينبذه الفساة في الأفرنج

وقد أتيج لنا في هذه الأيام ما يقنعهم وهو ما قاله اللورد كرومر في تقريره عن مصر لسنة ١٩٠٤ واننا نذكره هنا لان بحثنا في الحياة الزوجية انما هو من حيث هي ركن لحياة الامة وسعادتها أو عكس ذلك قال

﴿ تعليم البنات ﴾

« كثير ما أسمع الناس يقيمون الحجج والأقيسة على حل بعض المسائل السياسية والادارية في بر مصر ويدنونها على فرض أن المصريين لا يزالون متصفين اليوم بصفات أجدادهم وخصائصهم . وعندي أن هذه الحجج والأقيسة لا تخلو من سفسطة . فالتغير حاصل ولست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وانما أقول انه لا يمكن ان كل خلق وصفة من الاخلاق والصفات القومية يتغير تغيرا تاما في ربع قرن ولو أمكن ذلك لما كان مستحسنا لانه يخشى في مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الامة بجريرة الرديء . ولكن ليكن معلوما عند الحكام المصريين وعند كل من له اتصال بأمور مصر ان هناك قوات عاملة قد أثرت في أخلاق المصريين القومية فغيرتها بعض التغير وستغيرها أكثر من ذلك على مر الايام . وهذه القوات العاملة معظمها يعمل تدريجا وبغير رويدا رويدا حتى لقد يخفى عمله عن عيون المراقبين في بعض الاحوال ولكن بعضها يعمل سريعا حتى لقد غير تغيرا ظاهرا محسوسا

» ومن الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير في هذه الاعوام الاخيرة تغيرا كليا في هذه المسألة الجوهرية المظيمة الشأن . ومما يزيدنا استعظاما لهذا التغير في الرأي العام انه آخر ما كان الناس حتى

الذين يراقبون منهم أخلاق أهل الشرق أدق مراقبة يتوقعون حدوثه
بمثل ما حدث من السرعة نظرا الى الآراء المعهودة عن مقام المرأة في بلاد
مصر. ولكن مصر بلاد العجائب والغرائب فلا عجب اذا كذب أهلها نبوءات
المصلحين الاجتماعيين بتحولهم عن حال الى حال تحول لم يكن يخطر على
بال فقد كانوا منذ عشر سنوات لا يبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا
به واستنكفوا منه ولذلك كانت كتاباتهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠
ماعدا ٢٧١ كتابا من مجملتها الكتابات التي تحت مراقبة الحكومة. وكان
عدد كل البنات اللواتي يتعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتا أما في سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد
الكتاتيب التي يتعلمن فيها ١٧٤٨ كتابا وبلغ عددهن فيها ١٠٤٦٢ بنتا.
وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طالبن دخول المدارس الابتدائية العالية ومدارس
تعليم المعلمات بالقاهرة في السنة الماضية فلم يجبن الى طالبن لعدم وجود
محل لهن فيها. فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم في بلادهم
تقوم بإنشاء مدارس ابتدائية منظمة للبنات في بنادر القطر

« هذا وان قلة المعلمات المدربات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم
البنات في جميع فروعها ولكن العقبات في هذا السبيل أسهل من العقبات
التي في سبيل وجود المعلمين المدرسين على التعليم. فان عند نظارة المعارف
في المدارس الابتدائية العالية والكتاتيب عددا قليلا من البنات المسلمات
الممرنات على التعليم. وعليه يتسع نطاق تعليم البنات شيئا فشيئا. وفي
مدرسة المعلمات الآن ١٥ تلميذة ينتهي معظمهن منها في الثلاث سنوات
القادمة وينتظمن في سلك المعلمات. وقد أخبرت انهن متى انتهين من

المدرسة لم يعسر وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن
«أما مقدار ما تؤثره هذه النهضة لتعليم البنات في أفكار الجيل المقبل
من بنات مصر وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهره لنا الأيام على مر الأعوام .
على أنه إذا تأتى عنها تغيير في مقامهن فالأموال ان هذا التغيير يكون تدريجيا
وعسى ان المصلحين الاجتماعيين من أبناء مصر يحفظون في أذهانهم قول
مثلهم العربي « العجلة من الشيطان والتأني من الله » وعلى الاخص في هذه
المسألة أكثر مما في غيرها لأن العجلة فيها يمكن أن تؤدي الى طامة أديبة
عظيمة . على أنه اذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغير تدريجيا فها قد المصربون
أهل التمدن الأوربي ظاهرا فمفاهيمات ان يتشربوا روح التمدن الاوربي الصحيح
بأحسن مظاهره حقيقة » اه كلام اللورد

فليُنظر وليتأمل القارئ البصير كيف عد هذا السياسي الحكيم تحول
هل مصر بسرعة من حال في هذه المسألة من العجائب والغرائب التي
لم تكن تخطر في بال أحد من علماء الاجتماع وكيف أشار الى أن هذه
العجلة شيطانية، ونقول ان نصيحته هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له
التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة باجلال الفضيلة والاخلاص
لا سيما اذا كان إثم الانقلاب المنتظر أكبر من نفعه كما يتوقع ،

كانت حال النساء في أوربا على اسوأ ما يخطر في بال البشر من المهانة والاحتقار
ولذلك كان ما يسمونه « رد الفعل » في التحول والانقلاب عظيما فبعد ان
كانوا يمتقدون ان المرأة ليست من البشر وانما هي حيوان دون الانسان
وفوق سائر الحيوانات وبعد ان كانوا يسومونها الخسف حتى حرموا عليها

أكل اللحم ومنعوا الكلام والضحك في حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة أزوجهما في كل شيء ولو كان ضارا أو خيسا أو شقا لا يطاق أطلقوا لها العنان تتعلم ما تشاء وتعمل ما تشاء وتهتك كما تشاء وتتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال في أعمالهم الخاصة خارج البيوت تأهل من أمر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجهما فهو مستغن بالرجال عنهن . وانتهى الأمر بكثيرات منهن الى اختيار التبتل فرارا من أثقل الزوجية وناهيك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة وما في ذلك من المفاسد والمضرات . وقد أنشأ العلماء والحكماء يشعرون بخطور هذا الاطلاق لصنف لاهم لا فراده غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لان وجدانهم أقوى من عقلمن ولكن كل ما يتعلق بصفات الامم وشؤونها لا يظهر نفعه أو ضرره ولا يمكن إيجاده أو منعه الا في زمن طويل .

ليس من غرضنا في هذا المقال أن نبحث عن أحوال الامم في انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء في أوروبا ومنافع تعليمهن ومضاره وانما غرضنا ان نبين ان العلم الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو ما لا يخرج بها عن كونها امرأة وهو ما تكون به قرة عين وخير سكن للرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عونا لها على تهذيب ولده وإدارة شؤون بيته لاما تكون به فيلسوفة أو سياسية أو صانعة ، وهذا ما اختارته أرقى دول أوروبا في الملوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب اليها بمض دول أوروبا التصير في تعليم النساء وستتضر كل الدول الى سلوك سبيلها في يوم من الايام

ليس البيت مملكة فيترقف عمرانه على المعلوم العالية والفنون الصناعية والزراعية والتجارة وتوقف إدارته على معرفة الشرع والقوانين ، وليست العلاقة بين البيوت كالعلاقة بين لدول فتضطرب ربة البيت في حفظ حقوقه الي التوغل في السياسة والفنون العسكرية . حسب المرأة أن تتقن لغة أمتها وتعرف آدابها وان تعرف الحساب وعلم تدبير المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الأخلاق وعلم التربية وان يكون هذان العلمان قائمين على أساس الدين مقرونين بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام بالاجمال وتاريخ أمتها وبلادها بالتفصيل وعلم تقويم البلدان وعلم لاقتصاد ثم مبادئ وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بوجه الاجمال ، وان تعرف الطبخ والخياطة والتطريز وما يتصل بذلك ، ولا يصدر عنها عن هذا أنهما من بيوت الاغنياء الذين لا يطبخون طعامهم ولا يخطون ثيابهم بأيديهم فن علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل ضروري وقد بلغنا ان قيصرية روسيا تحسن الطبخ والخياصة وكانت فيكتوريا ملكة اسكترا وامبراطورة الهند تنسج وتخطط وتطرز فهذا كمال للنساء وان لم يعلمن به فعلمهن ان يعلمن كيف يعمل في بيوتهن ويعرفن تفقته ودرجة جودته ويحسن المربية والرياسة على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات المعلوم والفنون المتداولة في الامم الحية فلها فوائد منها أن لا تكون عداوة أو كارعة لشيء نافع لتومها فن من جهل شيئا عاداه وكرهه وان الانسان يكون ناقصا بمقدار ما يجهل من المضار والمسايف . ومنها أن تعرف قيمة زوجها اذا هي تزوجت بمن يشغل

بتجارب زراعية أو كماوية مثلاً عرفت فضله في ذلك ورجت له من الفائدة ما تكون عوناً له على عمله. فإن المرأة التي تجهل قيمة زوجها المعنوية ومعارفه التي يمتاز بها لا يهتم بها معها عيش لأنها لا ترى عمله إلا شاغلاً له عنها كأنه ضرة لها وهو لا يهتم له معها عيش لأنه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله. وإن شئت قلت انهما يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لا يمكن أن تتكون منهما حقيقة الزوجية التي يدنا معناها في النبذة الأولى. ومن تلك القوائد أن يكون لها رأي فيما تنصرف وجهه أولادها لا تقاينه من العلوم والفنون بمد التلاميذ الابتدائي والثاني. وكثيراً ما يموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي أن تعرف وجههم في المدرسة وغايتهم في التعلم لتحسن القيام عليهم،

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بديهية لمن يقول بالتعليم للمرأة التي لا تفهم لغة أمها العلمية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لا تشعر إلا بالحاجات الجزئية التي أودع السمور بها في فطرة كل حيوان ويكون - يكون الرجل العالم الأريب إليها بمقدار الداعية الحيوانية إلى ملاستها وفي وقت هذه الداعية وتكون في سائر الاوقات كلاً عليه وبلاء ومصاباً إذ يراها مباينة له في إنسانيته لا تشاركه في حسن تصوره ودقة مداركه ورتة سموره بالمعاني الأدبية والأفكار الاجتماعية، ويرى اقناعها بالمسائل المقولة والمصلحة القطعية. تمذراً أو متعسراً عليه لأنها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة. ثم إنه إذا سافر تقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب إليها ولا تكتب إليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة

العشيرة إلا إعلاما بالصحة واستعلاما عنها ونحو ذلك ويتمذرعليه ان يشمرها بما يشمر به في سفره من لذة وألم وسرور وكآبة كناية مذر عليها ذلك وأما فائدة الحساب فلا يجهاها أحد في البشر الا أن يكون بعض أهل الازهر ، فالمرأة التي تمرنه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجمل الخرج على نسبة الى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد . وقلمما توجد امرأة في الارض لا تشتري ولا تبسع شيئا ولا تعامل أحدا بالمال والنساء اللواتي يملكن المال والعقار والارض والعروض كثيرات والاسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لا تعرف الحساب تكون عرضة للخطأ في كل معاملة مالية فيفسدها البائع والمشتري والوكيل والابير ويطمع في اغتيال مالها زوجها السفيه ويعبت به ولدها الصغير ،

وأما الاقتصاد الذي يمد الحساب من وسائله فهو روح المعاملة وأساس النظام وملاك المعيشة ودعامة السعادة . فاذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عاملة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر ، ويتناوبها الغنى والفقر ، وليس الرجل بمن في اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالعلم والمعرفة بأن مصلحتها ومصلحة بيتها في الاقتصاد . ألم ترأت معظم المسال يذهب في صرف النساء وخيلاثن ، ألم تسمع أنين الرجال وأطيطهم من ثقل النفقة على ما يبتدع النساء كل حين من الأزياء والتنقل في ضرب الحب والحلل ، ألم تعلم بأن لا يعذر الرجل إذا قل لا يستطيع

لا أقدر لأملك بل ينقصني عيشه ويسلبني راحته أو يبذل لهن ما يطلبن ولو استمدانه بالربا الفاحش أو باع لاجله الغالي النفيس بالثمن البخس ، هذا مما تعرف فهل لك أن تضم إلى معرفة الداء معرفة العلاج وهو أن تزوج بامرأة كاتبة حاسبة مقصدة وتجمل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي المنفقة والقيمة كما تجمل لارضك وعقارك ميزانية تكون أنت المنفعل بها وبذلك تكون امرأتك مقتنمة بأن ما توفر من الدخل في الحال ، هو عدة لها ولا ولادها في المستقبل .

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعا مفيدا ومنهم من أسعده الحظ به على غير علم بفائدته فأصاب السعادة عفوًا . أعرف رجلا مسرفا كان يضيع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر إلى الدين حتى أخذ الدين بتلايبه لانه كان جاهلا سكورا فتزوج بفنائة كانت يهودية وأسلمت إسلاما صحيحا فما عثم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة . وحدثت عن رجل في مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لسعته في تنفقاته الشخصية فتزوج بفنائة متعلمة مهندبة فهو يمدش معها في هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئا يدخره للمستقبل المجهول . أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم في أيدي نساءهم فكانوا معهم في عيشة راضية يزيد فيها دخلهم على نفقتهم زيادة لها شأن عندهم . وإني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع ما في أيديهن من المال في الأمور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات

ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن إذا كانت
 النفقة في أيديهم. فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير
 ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط إلا بالعلم وحسن التربية
 وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل إنسان سواء كان يعيش
 منفرداً أو زوجاً أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل
 عليه التوقي من أكثر الأمراض والأوبئة ووقاية من بؤله منها وإذا هو
 أصيب بمرض فإنه يحسن وصفه وبيان أسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون
 أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم أنه يحسن العمل بما يأمره
 به الطبيب من المعالجة. فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها
 وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقل الأمراض والأدواء في أمة إلا
 إذا تعلم نساؤها هذا العلم فكم من طفل فتك به المرض لجهل أمه بمداواة
 صحته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الأدوية التي وصفها
 الطبيب لشفائه لجهلها بأسماها وبمقادير ما يطى المريض منها. ولقد يتعسر
 على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لأن أي
 عمل في البيت لا يتم إلا بها

وأما علم الأخلاق فهو عون للإنسان على نفسه في الكبر وعلم التربية
 يتوقف عليه لأن من لا يعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها
 وانطباع أخلاقها وطريقة تأديبها وآثار صفاتها ووجدانها فهو لا يعرف
 معنى الإنسان أو هو ليس بإنسان كامل فيتعذر عليه تكميل غيره بحسن
 التربية التي هي أهم ما يجب على المرأة وأعلى ما يطلب منها

ويدخل كل ماتقدم في علم تدبير المنزل ماعدا مبادي الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لان المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الاولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه . والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للاولاد والخدم الى مايجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون العيشة رضية وليتربى الاولاد بالقدوة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الامة

ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الامة في القلب وتبعث فيه روح الفيرة فاذا كانت المرأة جاملة بتاريخ أمتها ومكانتها من غيرها فهي لا تشعر بأها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الافراد القيام بها وعلى الوالدين تربية اولادهم على احترامها والتنافس في المسابقة اليها واعتقاد أنها دعامة الشرف وركن العزة والسيادة . يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وانما هو واسع بروحه المنبثقة في عالم كبير يسمى الامة تعمل له كما يعمل كل عضو في جسده لمصلحة الجسد كله . ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لانه خالق ليعمل مايفيد البشر كلهم بالقريب ولجمع بين المختلفين والتأليف بين المتنافرين وغير ذلك من الاعمال أوبيث العلوم التي يدفع منها الجميع . ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله موجّهين لخدمة شخصه ومن

عساه يتصل به اتصالا محسوسا كأهله وعشيرته . ومن كانت هذه حاله فإنه لا يرجي منه أن يربي أولادا ينفعون أمتهم ووطنهم أو ينفعون الناس أجمعين . لذلك كان لابد لكل إنسان من ذكر أو أنثى أن يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعماده لعله يربي من ينفع الأمة والناس . وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منافي الأصل ثم صار أصلا مستقلا . تلك إشارة إلى ما يطلب من كمال المرأة وتختار لأجله . وسنكتب كلمة في اختيار المرأة للرجل . اهـ

❦ المقالة الرابعة منقولة عن ص (٢٠٨) من المجلد الثامن من المنار ❦

❦ اختيار المرأة للزوج ❦

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجا يجب أن تعتبر ضرورية أيضا في اختيار الرجل زوجا وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة أو أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريده العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت في بيت النعمة والترف ، وعمر ويستطيع أن يموت من نبتت في أرض الفاقة والشظف ، والناس أصناف وطبقات ، والله فضل بعضهم على بعض درجات ، وهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين في نظر أكثر النساء ، وعرف أكثر الأولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان رضاء امرأة أو أولياء امرأة بزواج غير قادر

على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لا يعتد به. والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على الزواج بالغني لأنها وأهلها يحقنون الفقير وما زال الأغنياء يتمايزون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة إلا أن يعلوهم بمجد أثيل ، أوجاه عريض ، قيمت الهم بشرف صاعد ، أوجد مساعدا ، ومن رفقه المال ، لا يلبث أن يمد عنقه إلى الجاه ، ويحاول أن يصيبه بتنصي أهل الودد (*) وتذري ذوي المجد المؤئل ، لاسيما من قل من هؤلاء مالهم ، وساءت في الثروة حالهم ، فالمال والشرف إذا انفردا كان كل منهما شقيعا الآخر ومن جمع بينهما لا يكاد يرضى بمصاهرة من فاته أحدهما ، إلا إذا لم يجد له صهرا مثله . وإنك لتجد من الدوانس في بيوتات المجد والبنى مالا تجده مثله في بيوت المتوسطين . وأكواخ الفقراء والمعوزين ، وذلك خطأ كبير . وعنو عظيم

تمذر المرأة ويمذر ولها وذو قرابتها إذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لأن المرأة ضعيفة الاستقلال ، قليلة الاحتمال ، إذا مسها العوز والاقلال ، لا تستقر من التناق على حال . ثم أنها ولوع بالحليسة ، فخور بالزينة ، هلوع عند الحاجة ، ضجور من الشدة ، فهي أحوج من الرجل إلى الكفاية ، وشدتظما إلى السعة والزيادة ، وإن قومها يألون لاعوازها مالا يألون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم ، وحافظ نسبهم ، ونصيرهم عند الشدة ، وغوثهم عند الحاجة ، لما انطوت عليه قوسهم من

(*) تدعى قوم زوج في نواصيرهم أي اشرفهم ومثله نذرهم أي زوج

في ذروتهم

الثقة باستقلاله ، وجدارته بإصالة المخرج من اقلاله ، وما أودته قلوبهم من الشمو بركة حاشيتها دون التحمل ، وضيق مذاهبها عن التحول ، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والغضاضة والنعرة وغير ذلك من ضروب الشمو والوجدان إنما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فيهم . قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؟ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسقيهم حتى يبرأ :

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين فانهم يمتنون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم ظانين ان سعادة بنتهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السعادة في النفس لا في اليد أو الجيب ويغفلون عن حال الجمل الفقير من أصحاب الجيوب المملأى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فمن يمتنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالهفة والوداء والحب والاخلاص ، إذ الكن أنعم بالا وأقر عينا وأهمل عيشا ، فان الانسان ليطفى ان رآه استغنى ، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى ، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى ، ان يغير صاحبه وزوجه وسكمه ويتغير عليها - يغيرها باتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان ، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والجيران ، فيمنعها بالغيرة عذاب الضمف ، أو يضارها ليضيق عليها من غير ذنب ، وانما هو ملل لذواقين ، وتقل المسرفين ، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والاتصاف منه عزيز ، لاسيما في بلاد

فسدت حكوماتها، وأكل السحت قضائها، فأين السمادة والهناء، في مصاهرة أمثال هؤلاء،

يسهل على الرجل المسلم أن يتخير من ربوات الخدود من ترضيه فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويعسر على الفتيات أن يعرفن ما يجب معرفته لصحة تخير الزوج وإن فارقن الحجال، وعاشرن الرجال، لأن المرأة سريمة التصور سريمة التأثر سريمة الحكم سريمة الانخداع فهي لهذا تليدة الروية كثيرة خطأ لا سيما إذا كانت عذراء، خاضعة لسلطان الحياء، تخذعها النظرة، وتتجاوزها الغرّة، ولذلك حظرت الشريعة لاسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجمعت أمرها في ذلك الى وليها واليه لا بد من رضاها مما على أنها منحتها من حقوق التصرف في أموالها ما لم تمنحه لها شريعة سواها بل تجد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في المال والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك الى أوليائها وعصبتها ومنهم من لا يتقيد باستئذانها واستئثارها كما أمر الاسلام بل كثرت هذه العادة في المسلمين على ماورد عن الشارع من الاوامر باستئذان أمها أيضا فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها بمن تكره ولو كان أباً أو جداً

يجب أكثر الرجال أن للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لا يدع فيه لغيره أمراً ولا نهياً وإن شغف النساء بالحسن يعملو شغف الرجال به فلو أطلقت لهن الحرية في تخير الأزواج لما اخترن الا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وإن كان خسيس الأبوين صفر اليدين عادم

الفضيلتين - فضيلة العلم والادب - وهذا هو الوجه في الحجز عليهن ان يتخيرن لانفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على ما فعلن ناديات بعد ان يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحسبان خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر . وهو السبب في تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء وإغوائهن وقد يمد نجاحهن في التصبي دليلا على صحة القياس وما هو بدليل الا عند من يجهل التعليل

ان الفتنة بالجمال أوسع بالرجال منها بالنساء فيقتل في النساء من قُتلت بجمال الرجل كامرأة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الاحصاء عدد الرجال الذين قُتلتوا بجمال النساء كبنى عذرة من جميع القبائل والشموب وهذا هو السبب عندي في شكوى الرجال من قلة الوفاء في النساء . انما يفتن المرأة من الرجل تحببه اليها فهي مجنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت عليّة بنت المهدي حكاية عن مخبزة صنفها * تحب فان الحب داعية الحب * فمن يفتن بالرجال على قدر تصديقهم لهن وتحبهم اليهن اذا هن صدقن وأمنّ الخلابة والحيالة ، وأما أسرع تصديق الفتاة الغرلوحى الميون ، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها للود الممدوق ، والحب المصنوع ، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان ، التي مارست الرجال وعرفت الزمان ،

قرأت قصة (رواية) في امرأة كانت تدعى (فاتمة باريس) وكانت تهوى اليها أفئدة الرجال ، ونمطرها سحائب الأموال ، فتفوز لديها آمال

وتحبيب آمال ، حتى إذا ما عرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع ويزها ، انقض من حواها الاس إلا رجلا واحدا كان الحب قد أخذه عن نفسه ، ورث على عقله وحسه ، ثم اختطفه من طبيعة الرجال ، وطاره في فضاء خال ، ولم تلبث المرأة ان أفقت من غشية المرض فلم تر من تلك الجموع لا ذاك الرجل فاعتمدت انه يحب لها مخلص في حبه فاصطنعته لنفسها ، وثبت على يديه الى رشدها ، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ما تملك .

هذا الذي ذكرته من افئدة النساء بالتعجب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورنين والمتطرسين ، وزهدهن في أهل العلم والدين ، فهن يمتقدن ان هؤلاء في شغل عنهن ، وان أولئك لم يبالغوا في التطيب والتزين إلا لاجلهن ، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن ، وقد فشت هذه العادة السوء في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان المذارى ليقترحن أن يغير الخاطب لهن زيه العلمي ان كان عالما وقد يكرن هذا التفير وبالا عاياهن بمسد الزواج لانه يسهل على صاحبه الدخول في بيوت النسق التي تخرب بيتهما وتوقع بينهما . اما أهل البادية ومن في حكمهم فان نساءهم لا يمان الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد في المدن شبان يعرفون بهذه الصفات لما فضل النساء عليهم أحدا فان صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ما هو من شأن

الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من ولعن
 بالخشين ومن يقرب منهم هو من فساد النظرة . وقد كان من حسن تربية
 النساء في بلاد الانكليز انهن قربن من النظرة السليمة فقد اقترح عليهن
 في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب
 من أكثر من أجبن ناطقا بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال
 والسلطة عليهن

يقول أناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه
 جميع أركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخا فلا يضر هذه
 الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لا تلبث ان تسقط
 فيجب ان يؤخذ للمعذاري والاياحى بمعاشرة العزاب على أعين أهليهن
 ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يديم قلبه ، ويصفيهن حبه ، وقد سبق
 القول في بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة
 الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يعسر على الرجل ان يعرف قلب المرأة
 بمثل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة أفلا يكون وصول المرأة إلى قلب
 الرجل اعسر لاسيما إذا كانت فتاة غرا ؟ ونزيد ههنا ان كثرة معاشرة أفراد
 كل من الصنفين للآخر يحجب اليهم التنقل في هذه الرياض ويزينه في
 قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للمال أو لما
 عساه يبدو لاحدهما أو كليهما مما لم يكن في الحسابان تحن القلوب الى من
 كانت عرفت بالمعاشرة وتنجح إلى التنقل ولا يعسر ذلك على من سبق له
 التمرن عليه والانس به

الحب هو الركن الاول أو الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمية «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها» أو هو علته وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ما قلنا هناك ان دوام الحب وسكون القلب إنما يرجى بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال إذا كان اختيار كل منهما الآخر على الوجه الذي بينا فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في أصل الفطرة وإنما يجب التحذير من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة في الاستحسان أو الاستهجان ولا شيء أقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتها من ميل أحد الزوجين أو كل منهما الى غير زوجه ميلا للمعنى الخاص بالزوجية

ان الحب الذي يكون للزوجين برابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجى دوامه اذا روعي في عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأديب بأدب لدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيبا له لا ينفضي الى سواه . ذلك بأن النزعة الطبيعية في كل من الصنفين الى الآخر مهمة مضطربة في أصل الفطرة فاذا تعيدت في اثنين فأفضى بمضغهما الى بعض وقد وطننا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحسان كل منهما الآخر وعدم التطلع الى سواه فهناك السكون التام والحب الخالص . وليس وراء الفطرة والدين مطاع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سفيهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيفضل ويشقى

يقول غير المسلم : إن حب الزوجية لا يكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لأن المرأة تكون مهددة دائماً بأحد الأمرين الطلاق أو الغرة : ونجيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن في حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرف حقه من باضله . أما الأول فإن الزوجين اللذين يرى أحدهما أنه مازم بالآخر إلزاماً إجبارياً جملة كالوهق في عنقه ، والوقر على كامله ، فانه يله ويستقله فلا تسكن نفسه إليه ، ولا تقر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وإن كان قد رضي به قبل المقد الخداع بما ينخدع به الشباب ، أو ذهاباً وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تاج في الزهو والصفاء ، وتنادى في الخيلة والسرف ، والرجل يتجرع مرارة الصبر ولا يكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ إلى السلوة باتخذ الاخدان ، أو الاختلاف إلى ذلك المكان . . . إن كان ، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلياً فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالاً في الحياة الزوجية يقول ماثله : إن تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه مازم بالمرأة مجبور على ودها والتحبب إليها لا فضل له في ذلك وما أعصى الحب والود على إلزام كما يقول المثل « حبني غصبا » وإذا كان يعلم من نفسه القدرة على فرقا فانه يكون على فطرته وأدبه في معاملتها بشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية : فهذا هو شعور المهذبن الممنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبن اللذين يمجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكاف المحاسنة لمن يرتبط بهم ، والمرأة

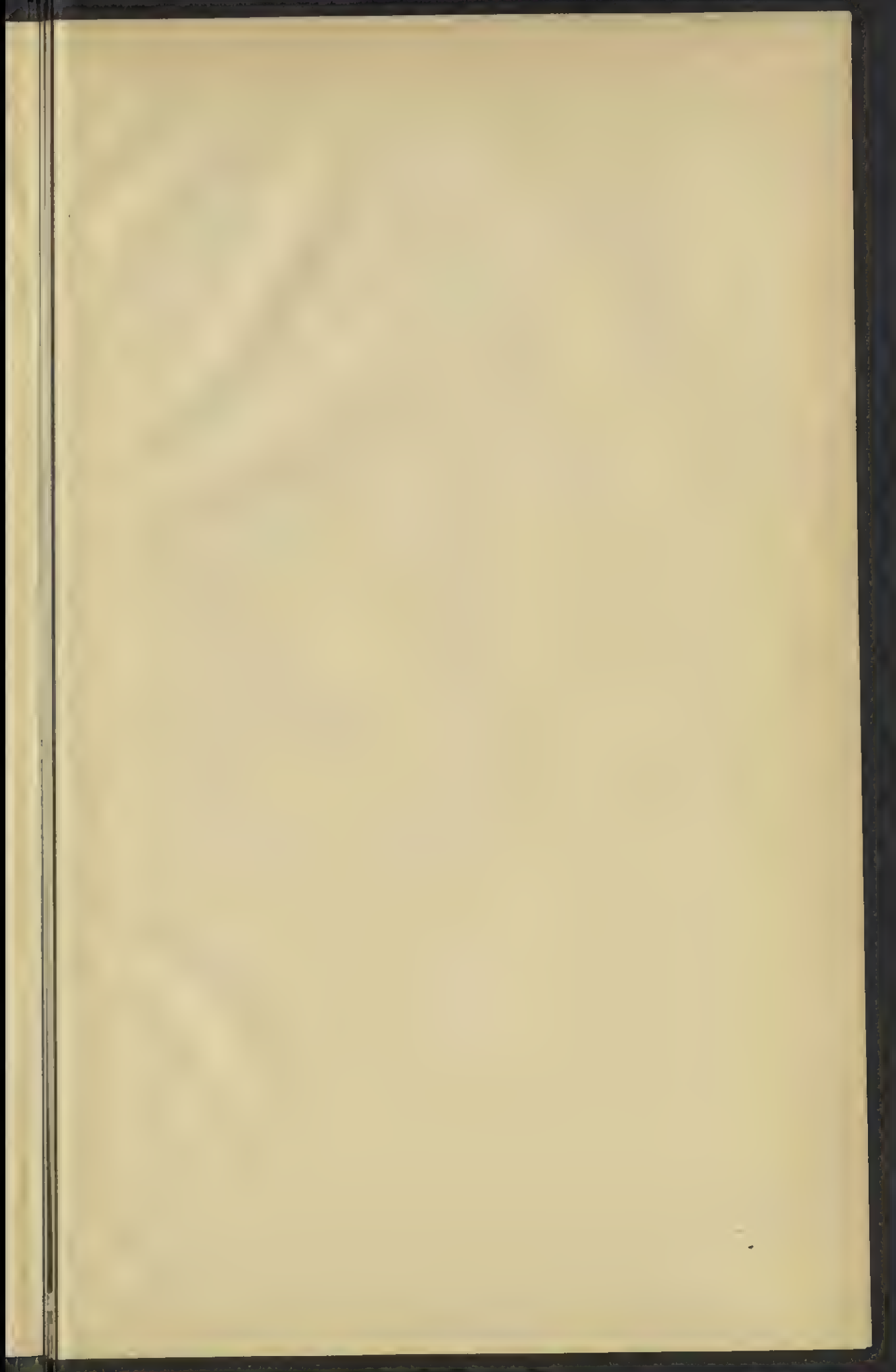
مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما ترى نفسها
أسيرة للرجل وثانيهما أنه لا بد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها
والآثر الطبيعي لهذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والعناد من
جهة أخرى . ولا يقال أن هذه فلسفة لا يصدقها الواقع فانه أن كذبها في
الزوجين المتشاكسين في الطباع المتناسبين بالتهذيب فانه يصدقها في الأزواج
الذين خانهم الحظ فلم يمنحهم المشاكلة والتناسب لاسيما إذا كانت المرأة
عاقرا أو ظهرت آيات الخيانة من أحد الزوجين أو كل منهما للآخر .
ناهيك بالمرأة الماقر عند ملك أو أمير قد جعل الحكم إرثا في ذريته أو
غني عظيم يعز عليه أن لا يكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحذرهما من الطلاق
أو الضرر فقد يقال فيه أنه يكون من أسباب تحببها إلى الرجل وعنايتها
بمروضاته وأن هذا السبب للتآلف يقابله في الرجل حذره من خسارة المال
إذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه أن يتمتع المتروكة
بما تنفقه على نفسها مدة العدة التي لا يباح لها الزواج فيها وهذه خسارة
فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو
يكون لها من مال تسمفه به أو تدخره لولده ، ثم إنه لا بد أن يبذل للزوج
الجديدة المهر اللائق بها . وهذان السببان في حرص كل من الزوجين
على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منهما إلى الآخر .
على أن الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه
الاكثرون من المسلمين واننا لنعلم أن الاكثرين من المتزوجين في بلادنا

لا يخطر في بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني ان الرجل لا ينويه والمرأة لا تتوقعه منه وأنا أكثر الدين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحدم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك . وما كان من ذلك تعليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو إلا أكثر يجعل الطلاق في يدها كما هو في يده فيشتركان فيه . وقد ذهب الكثير من الاوربيين الى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه . ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بإيمان اللجاج وكل لفظ لا يقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الأئمة ما يوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الطلاق من المسلمين لا مثل ما يقع ممن قلدتهم فيه من الافرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الاسلامية أقل منه في بعض بلاد الافرنج بل هو الآن أقل في بعض البلاد .

نعم لا ننكر ان المسلمين في بلاد مصر قد أسرفوا في الطلاق وفي الزوج بأكثر من واحدة فساءت حالة الحياة الزوجية فيهم وفي أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم في ذلك على غير ما يجب الاسلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما بينا في حكم تمدد الزوجات وشرطه في المجد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يتربون منهم بما يروعون نساءهم ويوقعون الريب في قلوبهم بكثرة الحديث في الزوج وإظهار الميل الى بعض المذراى أو الايامى بالقول أو الفعل . وقد

مرضت الفطرة في هؤلاء واعتن مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال
 الرابطة الزوجية ببعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لا يدونون
 للحياة الزوجية طمعا ولو لم يروا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن
 يقيموا وجهم للدين حنيفا فطرة لله التي فطر الناس عليها . فإن السعادة
 الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لا تكاد تنال الا بمكارم الاخلاق
 ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصلح الاعظم صلى الله
 عليه وآله وسلم «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» الخ (رواه
 الترمذي والليث بن سعد) ومن يطالب السعادة بغير ذلك فهو من
 «الخاسرين» اهـ



﴿ فهرس الكتاب ﴾

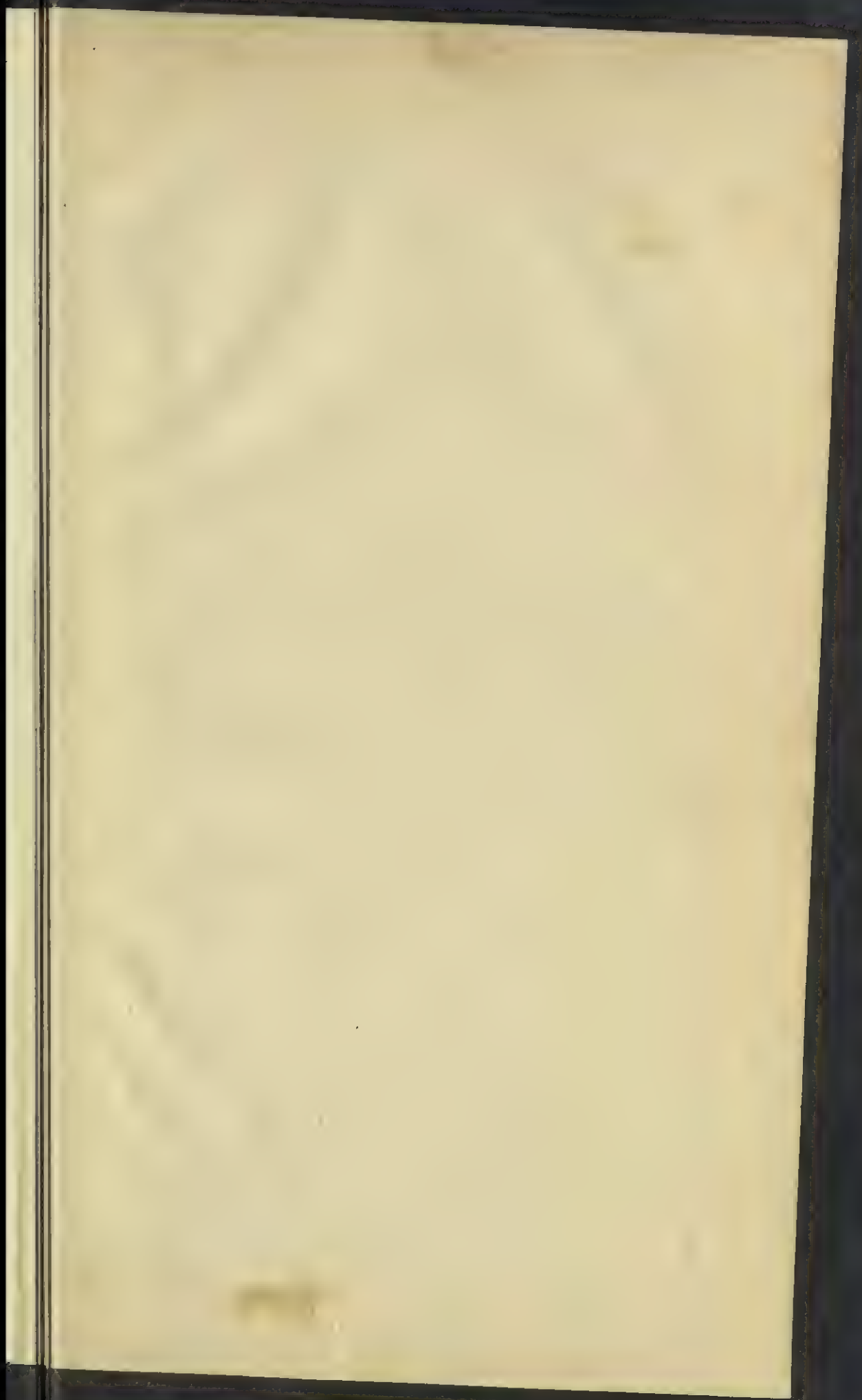
صفحة

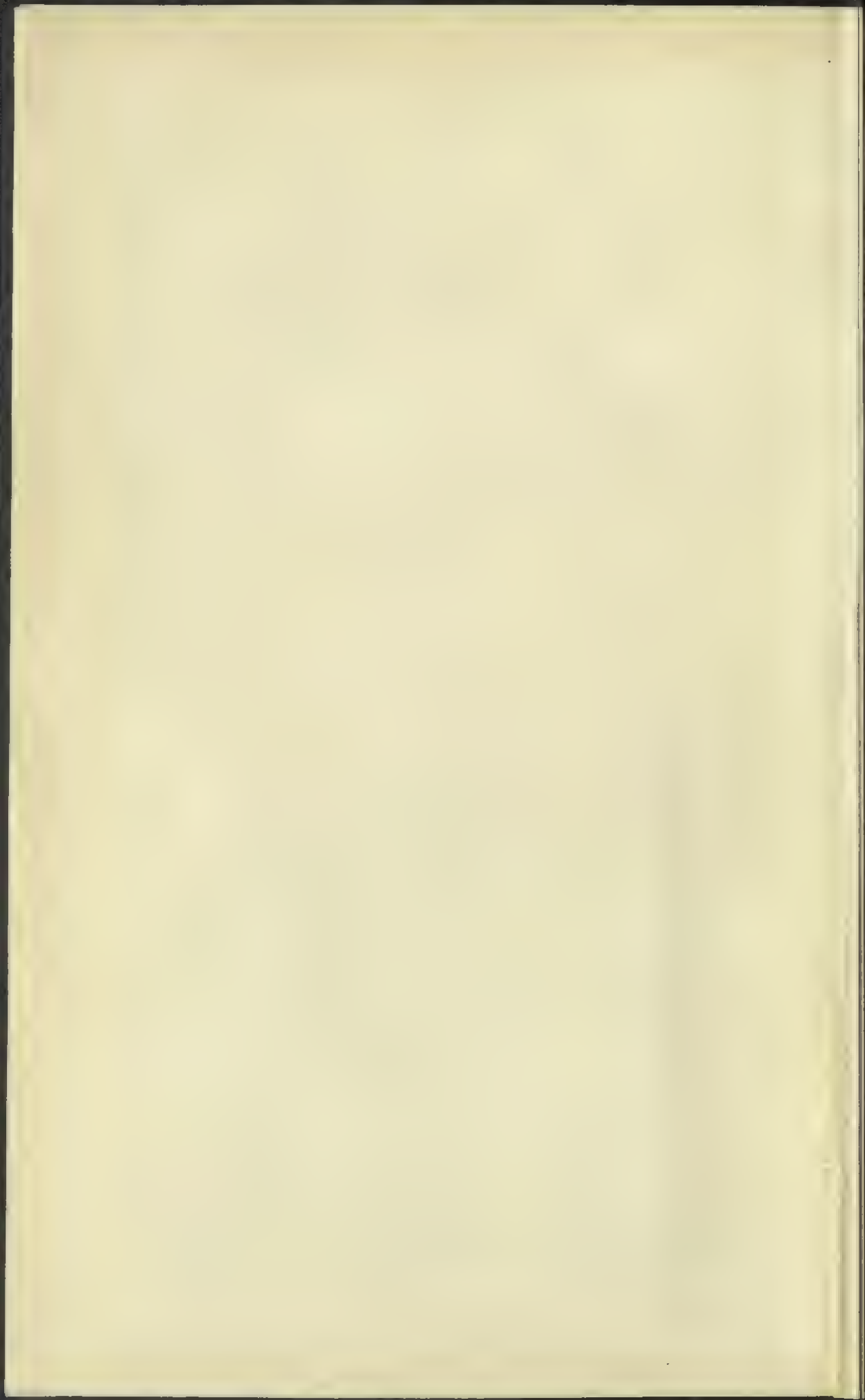
٢	مقدمة الطبعة الثانية
٩	مقدمة الكتاب
١٨	(الباب الاول) - المرأة أقل من الرجل ادراكا وحسا
٢٤	نتيجة ما تقدم
٢٥	وظيفة المرأة - اقرار بعض علماء الفرنج بأن
٣١	المرأة لا يلزم بأن تتعدى وظيفتها
٣٤	هل للمرأة ان تشتغل باشغال الرجال
٣٧	ماهي نتائج تحرير المرأة في أوروبا
	❦ الباب الثاني ❦
	ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها
	(الفصل الاول)
٤١	تمهيد
٤٢	تسليم الكل بوجوب التربية
٤٦	حالتنا الحاضرة في التعليم والأدب
٥٠	مداواة الحالة الحاضرة
	(الفصل الثاني)
٥٤	التربية الصحيحة
٥٦	طرق التربية - التربية الاولى

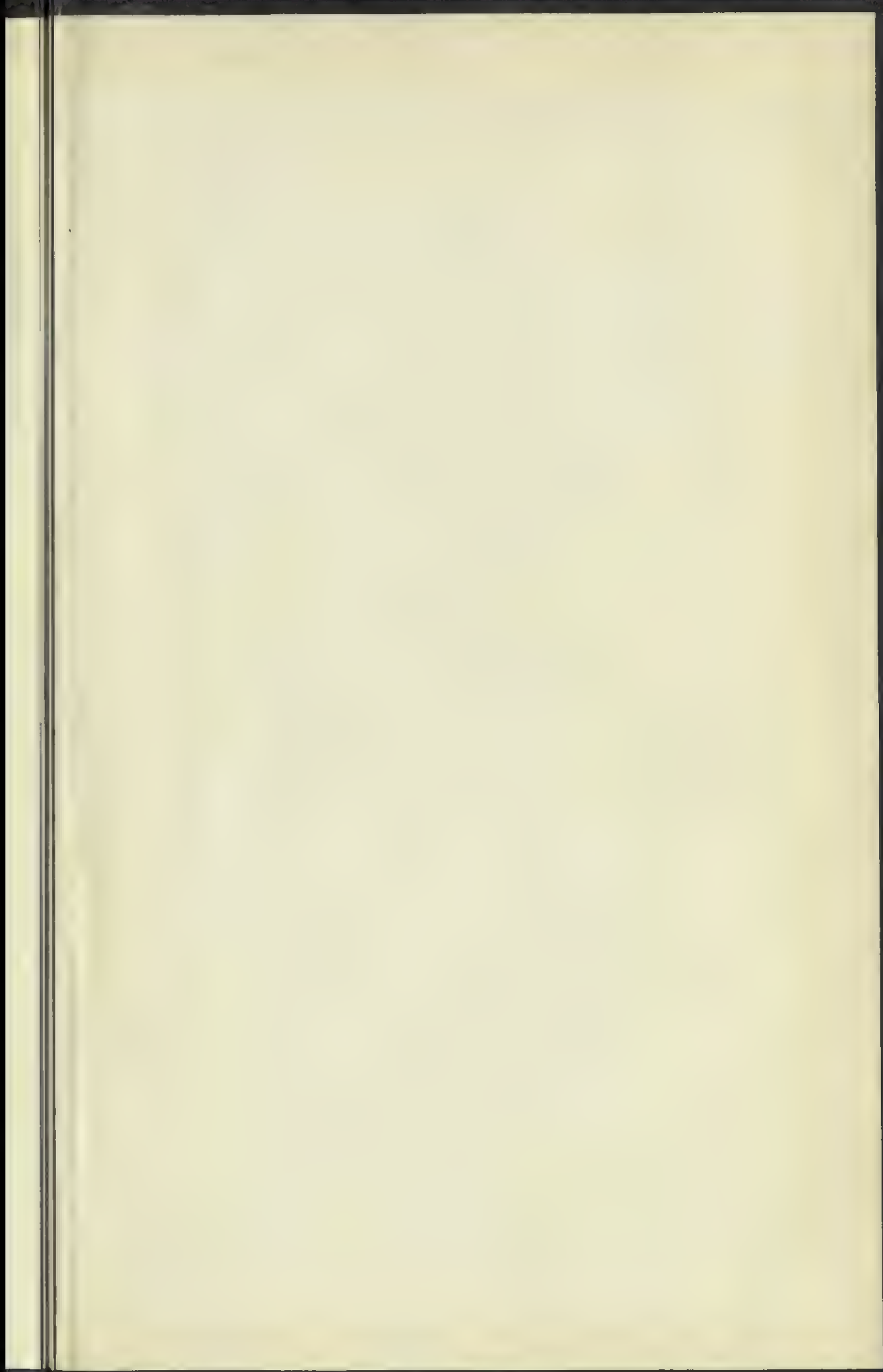
- ٥٨ طرق التربية - التربية الثانية
- ٦٤ " " " الثالثة التلميم
- (الفصل الثالث)
- (الحجاب)
- ٦٧ التربية والامانة والعفة
- ٦٩ الحجاب أعظم قائد للعفة
- ٧٣ " شرعي بأمر به الدين.
- ٨٨ دفع اعتراضات
- ٩٩ الحجاب الحالي وما يهددنا به
- ١١٣ نتيجة ما تقدم
- ١١٦ ما هو الاصلح في حالة النساء التحجب أم الابتذال
- ١٢٠ رأي الطبيعة في مسألة المرأة
- ١٢٢ الرجال قوامون على النساء (الآية)
- ١٢٧ ناكل شيء خلقنا بقدر (الآية)
- ١٢٩ ما هي وظيفة المرأة الطبيعية
- ١٣٠ " " حدود وظيفة المرأة واختصاصاتها
- ١٤١ ذيل
- (علاوة - وهي مقالات منقولة عن مجلد المنار الاسلامي الثامن)
- ١٤٧ الحياة الزوجية المقالة الاولى

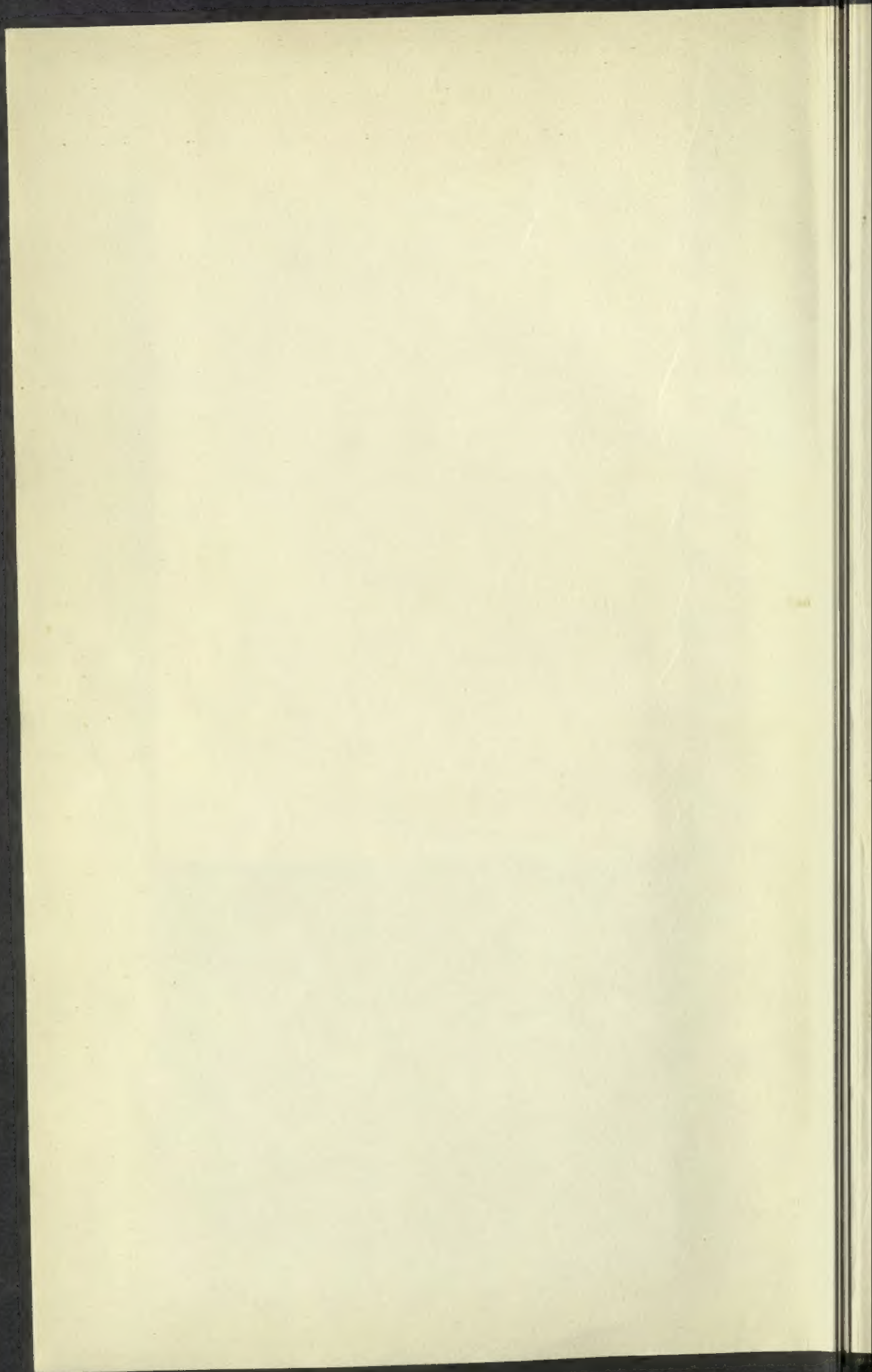
١٥٤	الحياة الزوجية - اختيار الزوج
» ١٥٩	المقالة الثانية - اختيار المرأة لمالها
» ١٦٢	الطريقة المثلى في الاختيار
» ١٦٨	الدين والاخلاق
» ١٧٢	المقالة الثالثة
» ١٧٤	تعليم البنات
» ١٨٤	المقالة الرابعة اختيار المرأة للزوج



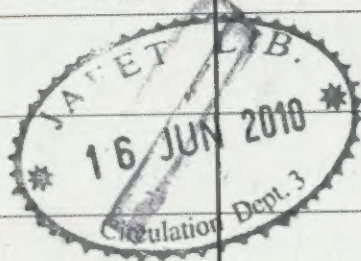
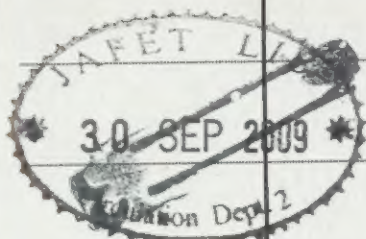








DATE DUE



396:H25tA:c.1

حرب، محمد طلعت

تربية المرأة والحجاب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01023998

396
H25tA

